

الرسائل الجامعية

روسيا القيصرية في عهد القيصر
بطرس الأكبر ١٦٨٩ ـ ١٧٢٥

اطروحة تقدم بها

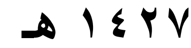
مشعل مفرح ظاهر الشمري

الى مجلس كلية الآداب – جامعة البصرة
وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في
التاريخ الحديث

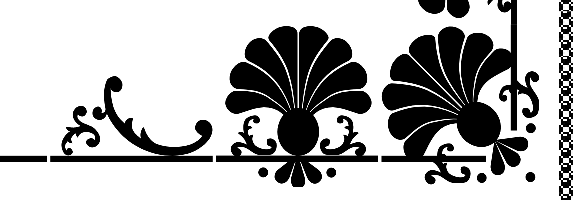
بإشراف

الأستاذ الدكتور

باسم حطاب الطعمة






بسم الله الرحمن الرحيم
نرفع درجاتٍ
من نشاءُ وفوقَ
كلّ ذي علمٍ عليمُ
صدق الله العظيم
((يوسف / آية / ٧٦))



الإهـــداء ...

إلى .. الذي لا معبود بحق الا هو سبحانه وتعالى ، عالم الغيب والشهادة .. اخلاصاً وخوفاً ورجاء .

إلى .. استاذ العلم والعلماء الاول نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه افضل الصلاة والتسليم .. محبة واتباعاً .

إلى .. من افنوا شبابهم وضحوا .. وسهروا .. وصبروا .. الى ينابيع الحنان .. والدي .. خفضا لجناح الذل من الرحمة واحسانا .

إلى .. من اشد بهم ازري .. اخواني في الله .. اعتصاماً بحبل الله واعتزازاً

إلى .. التي من نفسي وشقيقة روحي وسكناي .. مودة ورحمة

والى .. كل العقول النيرة وطلاب العلم والعلماء في هذا البلد المجروح الذين يعملون للخير والعطاء .. فخراً وتقديراً ..

أقدم هذا الجهد المتواضع ...

مشعل مفرح ظاهر

إقرار المشرف

أشهد إن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ **((الجزائر في العهد العثماني وصلتها بأسبانيا ١٥١٨ – ١٥٨٧ م))** والمقدمة من قبل الطالبة **ضمير عودة عبد علي زويد** ، جرى تحت إشرافي في قسم التاريخ – كلية الآداب جامعة البصرة - وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الاوربي .

التوقيع :

المشرف : الدكتور يوسف عبد الكريم طه الرديني

المرتبة العلمية : أستـاذ مساعد

التاريـخ : / / ٢٠٠٦

ترشيح رئاسة القسم

بناءً على التوصيات أعلاه أرشح هذه الرسالة الى لجنة المناقشة لدراستها وبيان الرأي فيها .

التوقيـع :

الاســم : الدكتور هلال ثجيل جلوي الخفاجي

المرتبة العلمية: أستاذ مساعد

التاريـخ : / /٢٠٠٦

نشـهد بإننـا رئـيس وأعضـاء لجنـة المناقشـة ، اطلعنـا علـى هـذه الاطروحـة الموسـومة بـ ((روسيا القيصرية في عهد القيصر بطرس الاكبر ١٦٨٩ - ١٧٢٥)) المقدمة من قبل الطالب **مشعل مفرح ظاهر الشمري** وقد ناقشناه في محتوياتها وكل ما له علاقة بها . ونرى أنها جديرة بالقبول لنيل درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ الحديث وبدرجة (( )) .

التوقيع :	**التوقيع :**
الاسم : الأستاذ الدكتور	**الاسم : الأستاذ المساعد الدكتور**
لازم لفته ذياب المالكي	**نذير جبار الهنداوي**
رئيس اللجنة	**عضواً**
التوقيع :	**التوقيع :**
الاسم : الأستاذ المساعد الدكتور	**الاسم : الأستاذ المساعد الدكتور**
هلال ثجيل الخفاجي	**احمد ناجي نعمة الغريـري**
عضواً	**عضواً**
التوقيع :	**التوقيع :**
الاسم : الأستاذ المساعد الدكتور	**الاسم : الأستاذ الدكتور**
فوزي خلف شويل	**باسم حطاب الطعمة**
عضواً	**عضواً ومشرفاً**

صادق مجلس كلية الاداب / جامعة البصرة على قرار اللجنة اعلاه بتاريخ / / ٢٠٠٦ .

التوقيع :

الاسم : أ. د. باسم حطاب الطعمة

عميد كلية الآداب

التاريخ : / / ٢٠٠٥ .

أ. م. د. نذير جبار الهنداوي الاسم : أ. م. د. هلال ثجيل جلوي

عضواً عضواً

أ. م. د. يوسف عبد الكريم طه الرديني الاسم : أ.م. د. طيبة خلف عبد الله

عضواً عضواً ومشرفاً

الجزائر في العهد العثماني وصلتها بأسبانيا

١٥١٨ ــ ١٥٨٧ م

رسالة تقدمت بها

ضمير عودة عبد علي زويد

إلى مجلس كلية الأداب ــ جامعة البصرة

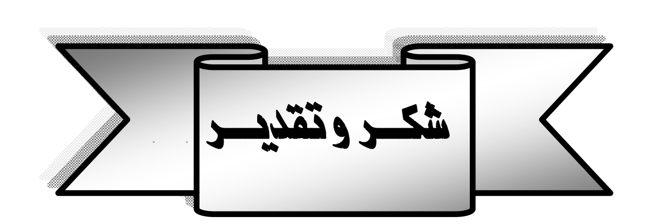
وهي جزء من متطلبات نيل درجة ماجستير آداب في التاريخ الأوربي

بـإشــراف

الأستاذ المساعد الدكتور

يوسف عبد الكريم طه الرديني

١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م



يتقدم الباحث بخالص شكره وتقديره لأستاذه الفاضل الأستاذ الدكتور باسم حطاب الطعمة ، الذي تفضل بالإشراف على هـذه الأطروحـة . وكـان لتوجيهاتـه وإرشاداته القيمة ، أثراً كبيراً في تذليل الصعوبات التي واجهت الباحث ، خلال مدة البحث . وأدعو من الله عز وجل ان يمد في عمره ، لخدمة الباحثين .

و أتقدم بالشكر إلى السيد رئيس قسم التاريخ الأستاذ الدكتور هلال نجيـل جلوي الخفاجي . كما اشكر أساتذتي في السنة التحضيرية لما قدموه من جهد وافر كان له ابلغ الأثر في بث روح البحث العلمي لطلبة الدراسات العليا في التاريخ الحديث وعلى الاخص الأستاذ الدكتور فاروق صالح العمر والأستاذ الدكتور حميد احمد حمدان والأستاذ المساعد الدكتورة طيبة خلف عبد الله. كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير الى جميع أساتذة وطلبة الدراسات العليا وموظفين قسم التاريخ بكلية الآداب لما قدموه من عون خلال فترة البحث ..

وأتوجـه ببـالغ الشـكر الى الأسـتاذ الـدكتور هاشـم صـالح التكـريتي الذي قرأ فصول الرسالة قبل طباعتها و ترجمة العديـد مـن المصادر الروسـية الى العربية . كما أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور كمال مظهـر احمـد الـذي قـام بتقديم كل ما يمتلك من مصادر تخص مادة البحث وأتقدم بالشكر للأستاذ الـدكتور صالح حسن العكيلي الذي أرشدني الى الكثير من المصادر المهمة . وأتقدم بالشكر ايضاً



للأستاذ الدكتور خليل علي مراد والأستاذ الدكتور عصمت برهان الـدين مـن جامعة الموصل على ما قدموه لي وزملائي طلبة الدراسات العليا فكانا خير عون لنا في محافظة الموصل والحصول على المصادر .

ويتقدم الباحث بالشكر والتقدير الى الأستاذة الدكتورة ليلى ياسين الأمـير التي قومت الأطروحة علمياً ، والى الدكتور عادل عبد الجبار الذي قـوم الأطروحـة لغوياً ، والى الأخت هناء وأخواتها من مكتب الهادي الذين قاموا مشكورين بطباعة هذه الأطروحة .

وأخيراً يثمن الباحث جهود كل الموظفين والموظفات في المكتبات العراقية . كما أتقدم بالشكر والامتنان العظيم الى موظفين وموظفات مكتبة الأسد والمركز الثقافي الروسي في جمهورية سوريا العربية .

ومن الله التوفيق ..

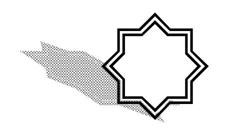
الباحث

المحتويـات

المقدمــة ..

تعد حقبة حكم القيصر بطرس الأكبر ١٦٨٩ ــ ١٧٢٥ من اهم الحقب في تاريخ روسيا الحديث ، لما حفلت به من أحداث وتطورات سياسية ، يأتي في مقدمتها إصلاحات القيصر الداخلية التي وضعت روسيا في مصاف دول أوربا الغربية، فضلاً عن تبني القيصر استراتيجية فتح نافذة على العالم والمتمثلة في اتجاهين الأول نحو المضائق العثمانية ، والثاني نحو البلطيق والتوجه الى أوربا الغربية ،

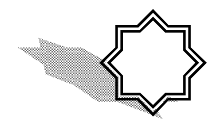
وعلى الرغم من أهمية تلك الحقبة ، بسبب تأثيراتها المباشرة في ميزان القوى الدولية آنذاك ، وظهور روسيا كقوة عسكرية دخلت مجال التنافس الاستعماري ، وتغييرها للخارطة الأوربية التي اقرها صلح ويستفاليا ١٦٢٣ وعلى الرغم من ذلك يمكننا القول اجمالاً ، وحسب علمنا المتواضع ان المكتبات العراقية والعربية تفتقر الى دراسة أكاديمية موثقة اختصت بدراسة روسيا القيصرية في عهد بطرس الاكبر ١٦٨٩ ــ ١٧٢٥ وربما تعود اسباب ذلك الى عدم الاهتمام الأكاديمي بدراسة تاريخ روسيا القيصرية ، ولعل هذا يفسر خلو المكتبة الأكاديمية العربية من البحوث الجادة في هذا المجال ، في حين ترك المجال امام بعض البحوث التي لا تعدوا عن كونها دراسات غير متخصصة مثل دراسة الأستاذ بسام العسلي الموسومة بطرس الأكبر والتي حملت الطابع الإعلامي الصرف ، ولم يجهد الباحث نفسه في تتبع المصادر الأصيلة في اعداد بحثه ، والشيء نفسه ينطبق على كتاب نخلة قلفاط الذي درس فيه تاريخ روسيا الحديث وهو مثال صارخ على التفسير الديني للتاريخ وكتابته بأسلوب روائي بعيداً تماماً عن التمحيص والتدقيق فضلاً عن لجوئه الى الأسلوب الروائي عند سرده الاحداث .



من هنا كان لا بد من التصدي لدراسة هذا الموضوع على الرغم من كل هذه العقبات ، ولا انكر دور قسم التاريخ في كلية الآداب التشجيعي لدراسة مثل هذه الموضوعات المهمة لتكون له الريادة الأكاديمية على مستوى الجامعات العربية وهو امر ليس بالغريب على الجامعة العراقية . ولهذه الأسباب واسباب اخرى ارتأيت التصدي لدراسة هذا الموضوع المهم في تقديري ، لما يشكل عهد القيصر بطرس الاكبر من اهمية كبرى في تاريخ روسيا الحديث ، ولأجل إعطاء الموضوع حقه من الدرس والتحليل ، فقد قسمته الى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة .

خصص الفصل الأول لدراسة الأوضاع العامة في روسيا خلال المدة ١٥٨٩ – ١٦٨٢ . ودرس المبحث الأول من الفصل الأوضاع العامة في عهد القيصر بوريس غودنوف والتدخل الاجنبي١٥٨٩ – ١٦١٢ وفيه تم التطرق لمحاولات القيصر غودنوف في إصلاح الأوضاع الداخلية في البلاد وموقف رجال الدين والنبلاء من إصلاحاته وكذلك محاولاته في مواجهة التدخل الأجنبي والمتمثل في الاطماع البولندية والسويدية في ضم الأقاليم الروسية المجاورة لها . اما المبحث الثاني فخصص لدراسة اعتلاء القيصر ميخائيل رومانوف في روسيا ١٦١٣ – ١٦٤٥ واجراءات القيصر الداخلية للسيطرة على الاوضاع ومحاولاته لطرد المحتل الاجنبي من الاراضي الروسية . اما المبحث الثالث فواكب مدة حكم القيصر الكسي ميخائيلوف ١٦٤٥ – ١٦٧٦ وقد تطرق لاصلاحاته الدينية وثورات القوزاق وسياسته الخارجية .

وعالج الفصل الثاني الأوضاع الداخلية في روسيا ١٦٨٢ – ١٧٢٥ وتناول المبحث الاول الصراع على العرش بين بطرس واخته الكبرى ، ومن المعلوم انها كانت قد اعدت نفسها لتكون وصية على العرش ، وما تبع ذلك من تعرض روسيا الى نكسات داخلية وخارجية بسبب ذلك الصراع وانعكاساته على الطريقة التي تسلم بها بطرس الحكم . ودرس المبحث الثاني إصلاحات القيصر بطرس الأكبر الداخلية بالتفصيل وما أحدثته تلك الإصلاحات من تطور في روسيا ووضعها في مصاف دول أوربا الغربية فيما بعد . اما المبحث الثالث فتصدى لدراسة المؤامرات والانتفاضات التي واجهت

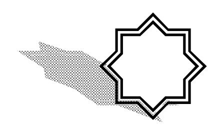


القيصـر بطـرس الأكبـر ومـن اهمهـا مـؤامرة ولـي عهـده ابنـه الأميـر الكسـي ، ودور الرجعيين من رجال الدين والنبلاء ، وما آلـت اليـه تلك المؤامرة من نتائج مريرة على القيصر وروسيا فيما بعد كفراغ العرش بعد موت القيصر بطرس الأكبر . كما اضاء هذا المبحث جانباً من كفاح المناطق الإسلامية التابعة لروسيا من اجل التحرير مثل انتفاضة استراخان وباشكيريا .

اما الفصل الثالث فقد عالج علاقات روسيا بدول الشرق الإسلامية والصين . وقد تنـاول المبحث الاول العلاقـات الروسية – العثمانيـة فـي عهد القيصـر بطـرس الأكبـر ، والصراع بين الامبراطـوريتين للسيطرة علـى المضـائق العثمانيـة الاستراتيجية والنتـائج المترتبة على ذلك الصراع الذي اجبر القيصر على التوجه عسكرياً نحو البلطيـق ، امـا المبحـث الثـاني فقد خصـص لدراسـة العلاقـات الروسـية – الصـفوية واسـباب تأزمهـا واستغلال القيصر أنهيار السلطة المركزيـة فـي إيـران انذاك لضـم الكثيـر مـن الأراضـي الإيرانيـة لإمبراطوريتـه . امـا المبحـث الثالـث فتنـاول العلاقـات الروسية – الاوزبكيـة ، وفيه جرى التطرق الى محاولـة القيصر في ايجاد موضـع قدم فـي تلك الأراضـي القريبـة من الهند لتهديد المصالح البريطانية فيها . الا ان فطنة القبائل الاوزبكية منعته من تحقيق هدفه في الوصول الى الهند ، الا انـه استعاض عن ذلك في ترسيخ المصـالح التجاريـة الروسية لما لها من دور في بناء إمبراطوريته .

واخيـراً تنـاول المبحـث الرابـع العلاقـات مـع الصـين ، فأشـار الـى طبيعـة تلـك العلاقات وما حصلت عليه روسيا من امتيازات واسعة من الصين وصفت بأنها لم تمنح من قبل لآية دولة اجنبية .

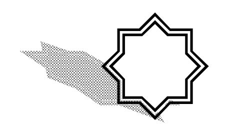
امـا الفصـل الرابـع فلقد كـرّس لدراسـة العلاقـات الروسـية – الأوربيـة اذ تنـاول المبحث الأول منه العلاقات الروسية – السويدية واسباب النـزاع بـين الامبراطـوريتين ، وما آلت اليـه حـرب الشـمال من نتـائج علـى القـارة الأوربيـة بعد معركـة بولتافـا ١٧٠٩ وبروز روسيا كقوة عسكرية ناشئة هددت اوربا الغربية ، ولعبت دوراً كبيراً في تغيير



الخارطة الأوربية بخاصة بعد توقيع صلح نيستاد ١٧٢٣ . اما المبحث الثاني فقد كرّس لدراسة العلاقات الروسية – الفرنسية التي تميزت بالطابع الودي بين البلدين ومنها محاولات القيصر بطرس الأكبر في ضم فرنسا الى التحالف ضد السويد والدولة العثمانية . وعلى الرغم من فشل تلك المحاولات الا انه حرص على بقاء الصداقة والسلم بين البلدين . اما المبحث الثالث فدرس العلاقات الروسية – البولندية ، وتناول التطورات السياسية وطبيعة الأوضاع في بولندا ، وكيف أدت تلك الأوضاع الى سهولة التدخل الروسي في الشؤون الداخلية لبولندا .

اعتمدت في كتابة هذه الأطروحة على عدد كبير من المصادر ذات الصلة بموضوع البحث ، والتي تعددت جهات إصدارها بين حكومية وشخصية . كما تنوعت في اصنافها بين وثائق ورحلات وكتب عامة وموسوعات وبحوث ورسائل جامعية ، ومنها وثيقة من الارشيف العثماني غير المنشور . وقد وضحت بعدة صفحات مدى التعاون الروسي الإيراني ضد الدولة العثمانية خلال القرن السادس عشر الميلادي . أما الوثيقة المهمة الأخرى فهي غير منشورة وهي رسالة بخط القيصر بطرس الاكبر محفوظة على مايكروفلم في المركز الثقافي الروسي في دمشق تضمنت اوامر عسكرية الى القائد شرمتيف فضلاً عن معلومات اخرى ، وأرخت الرسالة في ١٥ ديسمبر ١٧١٥ أي خلال حرب الشمال .

اما الكتب الوثائقية المنشورة فيأتي في مقدمتها وثائق الارشيف الوطني السويدي والتي نشرها المعهد السويدي للارشيفات الوطنية بعنوان Sweden and the World وقد نشرت هذه الوثائق من دون ترقيم لصفحاتها اذ تم الاقتصار على ذكر ارقامها ، ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان هذه الوثائق نشرت بأحجامها وألوانها الطبيعية وخطوطها الاصيلة ، مع مقدمة مختصرة عن محتوى كل وثيقة ومناسبة صدورها . وقد وضعت (S. I. O. I. A) اختصاراً في هوامش البحث للأرشيف الوطني السويدي .



لذا كان من الطبيعي ان تسد هذه الوثائق ثغرات واضحة في الأطروحة ، ومن الكتب الوثائقية المنشورة والتي افادت الدراسة المجلد المسمى بـ

Diplomacy in the Near and Middle East A Documentray Record 1535 – 1914 , Vol. 1 .

لمؤلفه : J. C. Hurewitz

وقد استفاد منه البحث في توثيق عدد من المعاهدات الروسية مع بقية البلدان المجاورة .

ومن الكتب الوثائقية الاخرى مجموعة الوثائق الانكليزية الخاصة بشركة الهند الشرقية الانكليزية ، والتي جمعها وصنفها Saldanha في عدة اجزاء ، وقد استفاد البحث من المجلد الاول المعروف بـ

Selection from State Papers , Bambay , Records the East India Companys Conection with the Gulf , with Summary of Events 1600 – 1800 .

وقد ضم هذا المجلد معلومات مركزة في تاريخ العلاقات الروسية – الإيرانية التجارية ، وذلك من خلال معلومات شركة الهند الشرقية الانكليزية والتي جسدتها المراسلات المتبادلة بين وكلاء الشركة في لندن وبومباي وروسيا .

اما الكتب العربية التي استفاد منها البحث فهي على الرغم من قلتها لم تتطرق بصورة مباشرة وعلمية لموضوع الدراسة ، فقد شكل كتاب نظير زيتون (روسيا في موكب التاريخ) مصدراً مفيداً لدراسة ظهور أسرة ال رومانوف ، والشيء ذاته يقال عن كتاب الأستاذ علي شعيب (بطرس الأكبر) فعلى الرغم من وجود المآخذ العلمية والمطبعية عليه ، الا انه مع ذلك قد معلومات عن سياسية بطرس الأكبر الداخلية . ومن الكتب العربية الأخرى التي أفادت البحث فيما يتعلق بتاريخ أوربا العام كتاب الدكتور نور الدين حاطوم (تاريخ القرن السابع عشر في أوربا) ، اما الكتب المترجمة الى اللغة العربية فقد أفادت هي الأخرى البحث الى حد لا بأس به كونها كتب اعدت لدراسة تاريخ

روسيا منذ القدم حتى ايام الاتحاد السوفيتي ، ومنها كتاب بيبانوف (تاريخ الاتحاد السوفيتي) ترجمة خيري الضامن ونيقولا الطويل . ويعد المؤلف من اشهر المؤرخين الروس في كتابة التاريخ القيصري وفيه تناول تاريخ روسيا منذ القدم حتى العهد البلشفي ، ومن الكتب المترجمة ايضاً كتاب أكاديمية العلوم في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية (تاريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية منذ العصور القديمة حتى اليوم) والذي ترجمه مصطفى فقير وهو كما دل عليه عنوانه كتاب غير متخصص بقدر كونه كتاب اعلامي ، ومن الكتب المترجمة ايضاً كتاب دانستيغ (الرحالة الروس في الشرق الاوسط) والذي ترجمه معروف خزنة دار وفيه معلومات مهمة عن طبيعة العلاقات الروسية – العثمانية قبل عهد بطرس الاكبر وخلال حكمه ، وبعضها معلومات موثقة عن مصادرها الأصيلة .

اما المصادر باللغة الانكليزية ، فيأتي في مقدمتها كتاب

Vasili Klyu Chevsky

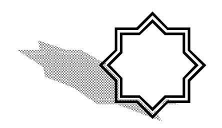
الموسوم Peter the Great

والذي ترجمته من اللغة الروسية الى اللغة الانكليزية Liliana Archibald وقد درس المؤلف الأوضاع العامة في روسيا زمن بطرس الاكبر الا انه لم يفصل السياسة الداخلية عن السياسة الخارجية بل اخذ أسلوب التسلسل التاريخي للأحداث في كتابة اشبه بأسلوب الحوليات في التاريخ الإسلامي .

وكذلك كتاب Robert Auty – Dimitri Oblensk الموسوم Antrodudcution to Russian history وهو دراسة تحليلية معمقة لحكم ال رومانوف في روسيا ، وتأتي اهمية كون الباحثين مختصا بالشؤون الروسية ، ولهم العديد من الدراسات في هذا المجال .

وكذلك كتاب Richar Char Ques

A short History of Russia



على الرغم من ان الكتاب موجز الا انه ضم معلومات مفيدة عن تاريخ روسيا في الحقبة قيد الدرس .

وكذلك كتاب George Vernadsky

الموسوم A history of Russia

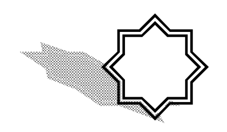
ويعد المؤلف من المختصين بدراسة روسيا في العهد القيصري ، لذا قدم تحليلاً مهماً للأحداث التاريخية لا يمكن للباحثين الاستغناء عنها عند الكتابة عن تاريخ روسيا القيصرية .

اما المصادر الروسية فقد أفادت البحث كونها مثلت وجهة النظر الروسية من الأحداث السياسية ، ويأتي في مقدمتها كتاب (تاريخ الاتحاد السوفيتي) Istoriya S. S. S. R. للمؤلفين Tikhomirov – Dimtriev وقد امد البحث بمعلومات وفيرة لم تدون في الكتب الاخرى ، وينطبق الشيء ذاته على كتاب المؤرخ Cmenahak الموسوم Ruccni hughlacomb to isapeui (روسيا تحت حكم القياصرة) .

اما كتاب المؤرخ Datsyuk الموسوم (تاريخ الاتحاد السوفيتي) Istoriia S. S. S. R. فلقد افاد البحث بالمعلومات المهمة عن إصلاحات القيصر بطرس الاكبر الداخلية .

اما مؤلفات المؤرخ الروسي Platonov فلقد كانت لها اهميتها في دعم مادة البحث وعلى الاخص محاضراته عن روسيا في عهد القياصرة . فلقد تناولت دراسة تفصيلية وتحليلية عن روسيا القيصرية لا يمكن ان يجدها الباحث في المصادر الاخرى على الرغم من تنوعها .

اما المصادر الإيرانية فقد افادت البحث كونها عبرت عن وجهة النظر الإيرانية بإزاء الأحداث المرتبطة بتاريخ روسيا القيصرية ، واهمها كتاب غلام حسين مقتدر . الموسوم نبرد هاي بزرك نادر شاه وفيه ذكر المؤلف الدور الروسي في زعزعة الأوضاع الداخلية في نهاية حكم الأسرة الصفوية لإيران .



وكذلك كتاب تاريخ روابط سياسي إيران ازهخامنش للمؤلف نجف قلي حسام معزي . والمؤلف من المختصين في كتابة التاريخ الصفوي وعلاقات إيران بالقوى المحيطة آنذاك .

اما الموسوعات فلقد استمد منها البحث الكثير من المعلومات عن الشخصيات الروسية مثل موسوعة

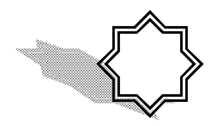
Great Sovit Encyclopedia

وكذلك موسوعة Every men's Encyclopedia

التي اسهمت في اثراء البحث بالكثير من المعلومات المهمة عن الشخصيات العالمية المعاصرة للقيصر بطرس الاكبر .

اما الرسائل الجامعية ، فقد افادت اطروحة الدكتوراه للطالب صالح حسن العكيلي الموسومة (بولندا ١٧٣٣ – ١٧٩٥) البحث بمعلومات مهمة عن العلاقات الروسية – البولندية في عهد القيصر بطرس الاكبر .

واخيراً ارجو ان اكون قد وفقت في عملي ، وان تجد دراستي هذه مكاناً لها في المكتبة التاريخية العربية والعراقية ، وانا لا ادعي الكمال بعملي فالكمال لله وحده .



الفصل الأول

الاوضاع العامة في روسيا
١٥٨٩ – ١٦٧٦

المبحث الاول – فترة حكم القيصر غودنوف والتدخل البولندي ١٥٨٩ – ١٦١٢

المبحث الثاني – فترة حكم القيصر ميخائيل رومانوف ١٦١٣ – ١٦٤٥

المبحث الثالث – فترة حكم القيصر الكسي رومانوف ١٦٤٥ – ١٦٧٦

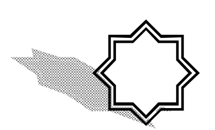
المبحث الأول

فترة حكم القيصر بوريس غودنوف والتدخل البولنـــــدي ١٥٨٩ ـ ١٦١٢

مرت الحياة السياسية في روسيا (*) اثر وفاة القيصر فيدور Vidor ١٥٨٤-١٥٨٩ بأزمة فراغ العرش الإمبراطوري فقد رفضت وريثته الشرعية زوجته ارينا Arina العرش مفضلة الانزواء بعيداً في حياة الرهبانية في يافنشي باسم الأخت الكساندرا . فأنهت بذلك حكم أسرة روريك Rorik بروسيا (١) . وبإزاء هذا الفراغ قرر

(*) روسيا نسبة للروس الذين ينتمون الى العنصر السلافي وهم مجموعة من القبائل التي سكنت اراضي اوربا الوسطى والشرقية منذ القرن الاول الميلاد في المناطق التي تمتد من جبال الكربات غرباً حتى نهر الفولفا شرقاً ومن بحر البلطيق شمالاً حتى مصب نهر الدنيبر والدانوب في البحر الاسود جنوباً ، وقد اطلق الرومان على هذه المجموعة من القبائل مصطلح السلاف وهي كلمة لاتينية تعني الرقيق ذلك لان التجار الرومان كانوا يشترون اطفال هذه القبائل ، وقد حورت هذه الكلمة الى اللغة العربية الى مصطلح (الصقالبة) ويرجع هؤلاء لغوياً الى الشعوب الايرانية . اما كلمة روس فقيل انها نسبة الى احدى القبائل السرماتية المسماة بالقبيلة الساطعة والتي اطلق عليها اسم Rus باللغة السريانية في القرن السادس الميلادي .اما موقعها الجغرافي فيحدها من الشمال المحيط المتجمد وشرقاً اسيا الوسطى وجنوباً بلاد القوقاز والبحر الاسود وغرباً رومانيا والمانيا وبحر البلطيق وبولندا ، للمزيد من المعلومات انظر: - محمد فريد وجدي ، دائرة المعارف ، المجلد الرابع ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٤٠٦ ؛ عبد القادر احمد اليوسف ، العصور الوسطى الاوربية ، بيروت - ١٩٤٧ ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ .

(١) هي اسرة سويدية تنحدر من قبائل الفايكنج . استولى زعيمها روريك عام ٨٦٢ م على مدينة نوفغورود اعظم مدن اللاف في ذلك الوقت . وقد قام خلفاءه من بعده وعلى رأسهم اوليج Oleg بالتوسع نحو الجنوب حتى عدت كييف عاصمة دولته . وقد ازدهرت التجارة في عهدهم بخاصة مع الدولة البيزنطية التي اعترفت بكيانهم السياسي . للمزيد من المعلومات انظر : -
نعيم فرح ، تاريخ اوربا السياسي في العصور الوسطى ، دمشق - ١٩٩٥ ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .



الفصل الأول

الأوضاع العامة في روسيا القيصرية ١٥٨٩ـ ١٦٧٦

المبحث الأول .... فترة حكم القيصر بورس غودنوف والتدخل البولندي ١٥٨٩ـ ١٦١٢

مجمع الأقاليم الروسية وهو هيئة اقطاعية عليا (*) في اجتماعاته بموسكو لاختيار بوريس غودونوف B . Godunov ١٥٨٩ - ١٦٠٥ حاكماً للبلاد (١) .

حمل القيصر الجديد معه الى القصر طموحات كبيرة للارتقاء بالبلاد . فعمد الى معالجة ما اعتقده أسباب تخلفها . فأمر بتسريح فرقة الحرس الخاص . بعد اتهامها بالفساد . لذا كان من الطبيعي ان يعتمد في تنفيذ إصلاحاته على حلفائه النبلاء الجدد من الدفوريان (**) الذين أوصلوه الى سدة الحكم فمنحهم الألقاب والرتب العسكرية في جيشه الجديد، ووزع عليهم الأراضي بعد مصادرتها من نبلاء العهد القديم (البويار) . اما الأراضي الحدودية الغربية من روسيا . فأعاد توزيعها لتكون بمثابة ثغور على الفلاحين وامر لهم بالمال اللازم لذلك ، وأستثنى أراضيهم المحروثة من الضرائب تشجيعاً لهم (٢) .

ولرغبته في مسايرة أوربا الغربية في تعليمها استدعى القيصر الأساتذة والخبراء الأجانب الا انه اصطدم بمعارضة ابرز دعائم النفوذ القديم الا وهم طبقة رجال الدين (الاكليروس) الذين عدوا الانفتاح الثقافي على الغرب ، كسراً لأحتكار التعليم الكنسي الذي كان يعد احد مصادر قوتهم في المجتمع الروسي اذ زعموا ان الأفكار الغربية تزعزع إيمان الفرد الروسي بدينه . وبإزاء هذا الإصدار اضطر القيصر الى



(*) هو مجلس ممثلي الطبقات أسسه ايفان الرابع الرهيب Ivan Iv ١٥٣٣ - ١٥٨٤ . وهو عبارة عن مؤسسة مركزية تمثل جميع الطبقات بأستثناء الفلاحين لكونهم من املاك النبلاء . ويجتمع في حالات الطوارئ مثل اعلان الحرب وعقد المعاهدات وانتخاب القياصرة . للمزيد من المعلومات انظر : -

Henri Troyat , Ivan the trible , London – 1980 .

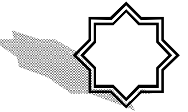
(١) غودنوف هو صهر القيصر فيدور ينحدر من أصول تترية اعتنقت آسرته الارثودكسية منذ القرن الرابع عشر الميلادي . استلم ارقى المناصب الادارية والعسكرية في عهد ايفان الرهيب وفيدور . للمزيد من المعلومات انظر : -

S. F. Platonov , Boris Godunov , Pruge - 1924 ., P. 5 .

(**) هم الحاشية ، وقد علا شأنهم في عهد القيصر ايفان الرهيب حين انشأ دوما الدفوريان أي المجلس الاستشاري وهو يمثل وجهاء الدفوريان . اما البويار فهم اعلى فئة من الاقطاعيين في روسيا ما بين القرنيين العاشر والسابع عشر الميلادي . للمزيد من المعلومات . انظر : -

Sovet Skaya Istoriches Kaya entsi Lopediya , Tom . 5 . Mockva - 1962 , PP. 19 - 25 .

(٢) **Ronald Hingley , The Russian Mind , London - 1978 , P. 108 .**



الاكتفاء بتعليم ولديه بالعلوم الغربية . فضلاً عن إرساله بعض البعثات الى أوربا . ولان الطلبة المبعوثين يعلمون جيداً بمصيرهم عند العودة ، فقد فضلوا البقاء قرب جامعاتهم على الاصطدام في بلادهم بفتاوي الاكليروس بالحرمان الكنسي وغيرها [١] .

وبعيداً عن رجال الدين استقدم غودونوف العمال والفنانين والطباعين والصيادلة والمدربين العسكريين من جارته ألمانيا ، وأسكنهم في إحياء خاصة بهم في موسكو لتدريب جيشه الجديد على الأسلوب الألماني المنضبط ، وفي الوقت نفسه قام الفنانون والعمال المهرة بتزيين جدار الكرميلين [*] ، وصب جرس موسكو المعروف باسم جرس ايفان الكبير [٢] .

وفي خطوة جريئة تؤكد إصراره على المضي في إصلاحاته عمد الى فك ارتباط الكنيسة الروسية عن بطريرك القسطنطينية ليضعف من سطوة رجال الدين أو ما يسمى بالعائق الحقيقي في وجه طموحاته ، وتبعاً لذلك انتخب المجمع الديني ايوف Aiov صديق غودونوف بطريركاً عاماً لروسيا . فتحولت الكنيسة الى أداة لتأكيد سلطته المطلقة على العكس تماماً ما كانت عليه [٣] .

وفيما يبدو تكريماً لحلفائه النبلاء ، وإصرارا على التمسك بالإنتاج الزراعي بوصفه المصدر الأساسي للثروة اصدر القيصر مرسوماً عام ١٥٩٧ ، خول فيه النبلاء حق مطاردة الهاربين من أتباعهم الفلاحين وإعادتهم الى عبودية الأرض بعد ان كانت القوانين السابقة تمنح العبد الابق من سيده الحرية بعد مضي خمس سنوات من اختفاءه . واستثني من ذلك أيام المجاعة التي دفعت غودونوف الى إلغاء منع الفلاحين من مغادرة

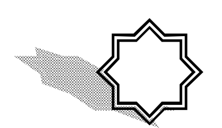
---

(١) George Vernadsky , A history of Russia , London - 1961, P. 114.

(*) هو الجزء المحصن في المدن الروسية الاقطاعية ، وعادة ما يكون محاطاً بأبراج عالية او خندق مليء بالماء . ويوجد بداخله قصر الامير والكاثدرائية ، وبنايات الادارة وقصور كبار البويار والدفوريان انظر : - Sovet Skaya istori cheskaya . Tom . 5 , PP . 658 - 662 .

(٢) ادوارد بروي واخرون ، تاريخ الحضارات العام ، ج٤ ، بيروت ـ ١٩٦٦ ، ص ٣٧٦ .

(٣) المطران ميشيل يتيم ، تاريخ الكنسية الشرقية ، لبنان ـ ١٩٩١ ، ص ٢٨١ .



اقطاعياتهم . وسمح لهم بان يلتحقوا باقطاعيين آخرين (١) . وبنظرة مادية بحته لا يمكن للباحث الا ان يفسر هذا القرار بالرغبة في زيادة ثروات البلاد على حساب الجانب الإنساني .

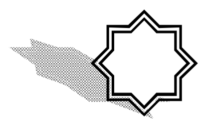
وبإخضاعه الكنسية وضم مصادر الثروة في البلاد الى سلطته . اعتقد القيصر ان الأوان قد حان للالتفات الى علاقاته الخارجية المتمثلة في جارات روسيا المختلفات . فبدأ أولا ً بإرسال السفراء والممثلين قليلي الخبرة . مما ارتد سلباً على علاقاته الخارجية ، وكادت في بعض الحالات وبسبب جهل المبعوثين الى ان تقود القيصر الى اتخاذ قرارات غير مصيبة . فعلى سبيل المثال عاد مبعوثه من انكلترا غاضباً ، واستنفر مليكه ، بعد ان اخبره ان الملكة اليزبيث Elazabith ١٥٥٨ - ١٦٠٣ م استقبلته بازدراء في حديقة يزرع فيها الثوم والبصل بينما في الحقيقة عمدت الملكة الى استقباله في حديقة معده خصيصاً لاستقبال الوفود الدبلوماسية (٢) . وليس دائماً العلاقات الودية هي الطريقة المتبعة في التعامل مع الجارات حسب اعتقاد القيصر . لذا فانه دخل في حرب ضد جارته السويد التي سبق لها ان حققت جملة من الانتصارات ضد روسيا في زمن القيصر ايفان الرهيب ١٥٣٣ - ١٥٨٤ وضمت أقاليم عدة الى أراضيها . مما خلف أطماعا ً في الاستيلاء على بولندا وليتوانيا المقاطعة المهمة على بحر البلطيق . وقد استطاع بعد سلسلة هجمات من تحقيق النصر عليها واسترجاع ما سبق لها ان استولت عليه (١) . وفي السياق نفسه نجح في صد وايقاف الزحف المغولي المتجسد بمحاولات أسلاف الاورطة الذهبية (*) في إعادة أحياء دولتهم الغابرة ، وفي الوقت نفسه نجح في ضمان حياد بولندا سنة ١٥٩٨ م ، لضمان هدوء جبهتها (٢) .

---

(١) **Warren Walsh , Russia and The Soviet Union , London - 1958 , P. 88 .**

(٢) **M. N. Tikhomirov - i.s.s. Dmitriev , Istoriya S.S.S.R, Tom I , Moskva – 1948, P. 143 .**

(١) **J. H. Elliott . Europe Divider 1559 - 1598 , London - 1990 , P. 228**



وعلى الرغم من الإنجازات العديدة التي حققها القيصر في المجالات المختلفة فان العقلية التقليدية بقيت لها السيادة في اثناء حكمه اذ انها التي كانت الطابع المميز للحياة العامة في روسيا ولم يكن القيصر شاذاً فيها عن الآخرين . لذا فان تطوراً مفاجئاً حصل في شخصيته ، واربكت عمله تماماً بل وأدت الى نهايته . ففي مطلع ١٦٠٠ اخبر احد الدجالين القيصر بان نهايته قد اقتربت . وستكون على يد أعداءه من آل رومانوف Romanov [٣] .

لذا صب جل اهتمامه على كيفية حماية ملكه والاقتصاص من خصومه فاجبر عميد أسرة الرومانوف على ترك الحياة العامة والانزواء راهباً متعبداً في دير القديس انطونيو Antonio بأسم القديس فيلاريت Vilariet واضطرت زوجته المسكينة على الترهب ايضاً حمايةً لنفسها . في حين نفي ولدهم الوحيد ميخائيل Micheal الى مدينة بيالو - اوزيورو النائية . وشتت شمل كل من يتصل به من أصحاب وأقرباء [٤] .

وقد تزامنت هذه التطورات مع حلول كارثة الجفاف العام بروسيا ، والتي دامت ثلاث سنوات . مما اضر بصورة تامة بالإنتاج الزراعي ، وجعل البلاد على شفى كارثة المجاعة فضلاً عن انتشار الامراض الفتاكة ، التي ادت بحياة عشرات الألوف من المواطنين الروس ، وقد قدرت المصادر الرسمية عدد الموتى في موسكو وحدها بثلاثمائة ألف شخص سنة ١٦٠١ [١] .

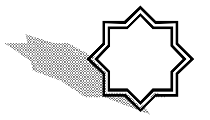
(*) هي مملكة أسسها المغول التتار في القرون الوسطى . امتدت من سيبيريا حتى جنوب روسيا وقد تركت هذه المملكة اثراً عميقاً على كافة الشعوب السلافية . للمزيد من المعلومات انظر : -
J. J. Saunders , The history of the Mongol conques and Russia , Yale - 1970 .

(٢) Micheal Dobbs , Poland , New York - 1980 , P. 13.

(٣) Vernadsky , OP. Cit , P. 114.

(٤) Glenn E. Curtis , Russia Acountry Study , London - nd ,P. 58, Cited http : // WWW.da.Wayne . edu / Policyi l Kdkleast europe / Sources / Russia . htm .

(١) Robert Auty - Dimitri obolensky , An Introduction to Russian history , cambridge - 1976 , P. 104 .



ومما زاد الامر سوءً الفوضى التي أحدثها الفلاحون الهاربون من الأرياف الى المدن البائسة وتشكيلهم للعصابات بحثاً عن الطعام . فسادت الجريمة وجرى قطع الطريق بغياب تام لسلطة الدولة القيصرية . وتطور الامر مع ازدياد اعداد المشردين الجياع ، الى تمرد عام هاجموا فيه قصور النبلاء ومخازن غلالهم ، مما لم تسلم مخازن الحكومة ايضاً من العبث بمحتوياتها وسرقة ما فيها من حبوب . وقد انتهز عدد من النبلاء هذه الفوضى التي أضعفت سلطة القيصر ، فطالبوه بالتنحي عن الحكم مذكرين إياه بأصوله التترية [٢] . واستطاع احدهم والمدعو خلوبكا Khalboka من قيادة المتمردين لمهاجمة موسكو سنة ١٦٠٣ . الا ان القيصر استطاع الدفاع عن عاصمته مستفيداً من بسالة القائد باسمنوف Basmanov الذي دفع حياته ثمناً لولائه للقيصر وتأكد ذلك من نجاحه في احدى الهجمات من اسر قائد التمرد خلوبكا واعدامه وهروب اتباعه الى الفولغا و الدون [٣] .

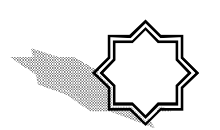
وفي الوقت الذي كان يجري فيه تكبير دور القيصر في صد اعداءه استغل احد النبلاء الهاربين والمقيم في بولندا الفرصة ليدعي بأنه الأمير ديمتري Dimtrii ابن القيصر ايفان الرابع (الرهيب) وانه قد نجى بأعجوبة من المجزرة التي اوقعها بهم القيصر غودونوف . وقد وجدت دعوته ترحيباً من اعداء روسيا في بولندا ، فاعترف به ملكها سجموند الثالث Sigsmond III ١٥٨٧ - ١٦٣٢ . وريثاً شرعياً للعرش القيصري ، ومنحه لقب امبراطور ، وخصص له راتباً سنوياً . وسمح له ان يجمع سراً الفصائل لغزو روسيا واستعادة عرش اسرته المغتصب شريطة تنازله في حال نجاحه عن سمولنسك Smolinsk لبولندا [١] . كما وعد ديمتري خطيبته البولندية ارينا

---

(٢) Gregor Alexinsky , Modern Russia ,London-nd ,PP.51-52 .

(٣) يبيانوف - فيدوسوف ، تاريخ الاتحاد السوفيتي ، ترجمة خيري الضامن - نيقولا الطويل ، موسكو - د ت ، ص ١٤٠ .

(١) سمولنسك تقع غرب موسكو تعود الى دولة كييف الوسطى ثم اصبحت امارة مستقلة عام ١١٢٧ م الا انها اصبحت تابعة للتوانيا منذ عام ١٤٠٤ م والى موسكو منذ عام ١٥١٤ م . للمزيد من المعلومات انظر : -



Arina وهي ابنة احد القادة العسكريين البولنديين بإهدائها مدينة نوفغورود Novgorod كهدية زواجهم فضلاً عن إعطائها مليون زلوتي (*) . كما تعهد للفاتيكان بفرض الكاثوليكية على الروس .وتأكيداً على صحة قوله اصطحب عملاء البابا الجزويتيون معه في حملته على موسكو (٢) . التي بدأت في تشرين الاول ١٦٠٤ بطلائع من المرتزقة البولنديين فضلاً عن توزيع المنشورات التي وزعت على الروس وفيها دعاهم الى التخلي عن القيصر غودونوف وقد نجح ديمتري في ضم الكثير من الفلاحين وقادة الجيش والنبلاء المستائين من حكم غودونوف وحقق بفضلهم بعض الانتصارات البسيطة ، الا انه تعرض بهزيمة قاسية على يد القائد الروسي فاسيلي شويسكي Basil Shuski (٣) .

غير ان وفاة غودونوف المفاجئة في ١٣ نيسان قلبت الأمور لصالحه فتحالفت معه قبائل التتار والقوزاق (*) واستطاع ان يحتل مدن بوتوفيل وكرومي وغيرها .

واخيراً وبفضل خيانة القادة الروس . دخل ديمتري موسكو دون ان يقدم خسائر كبيرة وحال دخوله الكرملين أرسل للملك البولندي سجموند الثالث اكد فيها بانه سيفي بوعوده السابقة . ثم بدأ بتصفية اعدائه في الداخل مبتدأً بعائلة غودونوف فأعدم ابنه فيدور وامه ، واجبر ابنته كاسينا Kasina على الترهب في احد الأديرة كما عزل القائد فاسيلي شويسكي ، وعزل ايضاً البطريرك ايوف وعين رئيس أساقفة ريازان بدلاً منه

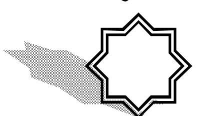
Every man's Encyclopedia , Vol 7 , London - 1958 , P 416 .

(*) عملة نقدية بولندية .

(٢) Dobbs,OP.Cit.,P.14.

(٣) Auty , OP. Cit. P. 14 .

(*) كلمة من اصل عثماني . تعني المحاربيين الاحرار قدموا خدمات قتاليه للقرم وروسيا وكانوا يحترفون الفلاحة في تجمعات كبيرة منذ القرن السادس عشر على امتداد نهري الدنيبر الاعلى والاسفل والدون وقد تعرض القوزاق للاضطهاد في اكثر من عهد للقياصره . انظر : -
حسين مجيب المصري ، معجم الدولة العثمانية ، القاهرة - ١٩٨٧ ، ص ١٦٠ .



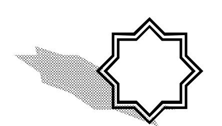
الراهب فيلاريت رومانوف رئيس اساقفة روستوف . علماً ان ديميري قد تنصل من وعوده الى البابا بكثكلة روسيا (١) .

قام ديمتري بعدة محاولات لكسب الشعب الروسي فابتدأ بزيادة رواتب الموظفين ، وبدأ بترغيبهم بزيارة أوربا الغربية ، وأكد على امتيازات النبلاء واكد لهم قوانين البحث عن الفلاحين خلال خمس سنوات وإعادتهم الى أسيادهم فبدأ الفلاحون بكراهيته (٢) . ورافق ذلك ان المشاكل سرعان ما بدأت تواجه ديمتري بعد ان رفضت خطيبته البولندية التخلي عن الكاثوليكية مما عده الشعب الروسي اهانة لهم . فضلاً عن استهتار المرتزقة البولنديين في موسكو، وإهانة الروس وابتزاز أموالهم وسرقتها . وفي أيار ١٦٠٦ اندلعت الثورة في موسكو في أثناء الاحتفال بزواج ديمتري ومارينا فهجمت الجماهير على الكريملين واسرت القيصر واعدمته في الساحة الحمراء واحرقت جثته واطلق رمادها بمدفع باتجاه بولندا في إشارة واضحة الى النقمة على بولندا وقواتها . كما قتل الكثير من الشلياخت البولنديين (*) المدعوين لحفل الزفاف واعيدت زوجته ارينا الى بولندا (١) .

وقد انتخب البويار بعد اعدام ديمتري القائد شويسكي قائداً عاماً للبلاد ، وعاد معه الاضطهاد الاقطاعي ، مما ولد نقمة شديدة لدى الثوار فحدثت أول ثورة فلاحية في تاريخ روسيا الحديثة لتشمل عموم البلاد بين عامي ١٦٠٦ - ١٦٠٧ اذ حمل الفلاحون والاقنان أسلحتهم البسيطة بغضب شديد بزعامة ايسايفيتش بولتنكيوف (**) A.

---

(١) نظير زيتون ، روسيه في موكب التاريخ ، ج١ ، سان باولو - ١٩٤٥ ، ص ٢٠٩ .
(٢) Tikhomirovis , OP.Cit. ,P. 145 – 146.
(*) هم نبلاء بولندا وبوهيميا . وكان شلياخت بولندا الاقطاعية يتمتعون بامتيازات عديدة منها عدم شمولهم بالضرائب وحق انتخاب الملك وخلعه وحق الفيتو على القوانيين الصادرة . للمزيد من المعلومات انظر : - صالح حسن العكيلي ، بولندا ١٧٣٣ - ١٧٩٥ م ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد - جامعة بغداد ، ١٩٩٩ ، ص ٣٧ - ٣٨ .
(١) Auty , OP. Cit. , P. 107 .



Pelkhanov الذي دعاهم عبر عدد من منشوراته الحماسية الى قتل النبلاء والتجار والاستيلاء على ممتلكاتهم ، وكان يوهم الثوار بان ديمتري حي وهو يحارب تحت رايته . وبدأ بولتنكيوف زحفه على موسكو من بوتفيل واستطاع هزيمة القوات الحكومية بالقرب من كرومي وابليتس في الجنوب [٢]. وبعد عدد من المعارك في تشرين الاول ١٦٠٦ م اقترب من موسكو ، وعسكر في قرية كولومنيسكويه . والتحقت به قوات أكثر من ٧٠ مدينة ، وكذلك شعوب مناطق الفولغا ، ولم يستطع شويسكي اخماد الثورة . بل انه حوصر في موسكو بعد ان حطم بولتنكيوف قواته الاساسية ، وقد اقترب الاخير من موسكو ، وانضمت اليه فصائل دفوريان تولا وريازان برئاسة بروكوبي ليبانوف P. Liapunov . ويستوما باشكوف A. Pashkov وحاول الدفوريان اخضاع الفلاحين لنفوذهم ، وجعلهم اداة لنضالهم ضد قيصر البويار . وبالقرب من موسكو خانت فصائل الدفوريان الثوار . وانتقلت الى جانب القوات القيصرية [١] . ولقد كافأ القيصر الخونة ، وحاول استمالة القائد بلتنكيوف الا انه رفض . وانقلب الموقف لصالح شويسكي بعد ان وصلته إمدادات المدن الاخرى اذ كان رجال الكنيسة يقفون الى جانبه ويمدونه بالرجال والمال ، وأعلن البطريرك غيرموغين Germogen في **نشراته " ... ان الفلاحين الثائرين ما هم الا كفرة ولصوص وقطاع طرق "** . ودعا الدفوريان الى وقف المنازعات والى الالتفاف حول القيصر . وهدد رجال الدين المشتركين في الانتفاضة بالفصل من الكنيسة ونقمة الله . ونجحت تلك النشرات نجاحاً كبيراً في موسكو وبقي سكانها الى جانب القيصر [٢] .

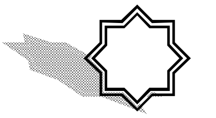
(**) عاش بولتنكيوف حياة صعبة مليئة بالمحن . اذ كان رقاً ثم اسيراً عند العثمانيين حيث كان طول سنين عدة مجدفاً في السفن العثمانية ، واستطاع بعد ذلك الهرب الى البندقية والعودة الى روسيا عبر بولندا . للمزيد من المعلومات انظر : -

Great Sovit Enceclopedia ,New York – 1979 , Vol. 1 , P. 453 .

(٢) شميدت - تارنوفسكي - بيرخن ، موجز تاريخ الاتحاد السوفيتي ، د م ، موسكو - ١٩٨٦ ، ص ٤٩ - ٥٠ .

(١) Tikhomirovis , OP. Cit. , P. 147 .

(٢) Auty , OP. Cit. , PP. 106 - 108 .



في كانون الأول ١٦٠٦ انهزمت قوات بولتنكيوف بالقرب من موسكو ، واضطرت للتراجع الى كالوغا . فحاصرتهم القوات القيصرية لمدة ثلاثة اشهر دون ان تستطيع اقتحام المدينة . فعمدت الى حرق جدران القلعة الخشبية بواسطة سور متحرك من الخشب . الا ان المحاصرين ادركوا خطة المهاجمين . فحفروا نفقاً فيما وراء الجدران ، وفجروا السور الخشبي ، ولقد اثار الانفجار الفوضى والرعب في قوات شويسكي . فتحول بولتنكيوف الى الهجوم ، واستطاع فك الحصار عن مدينة كالوغا وهزيمة اعدائه [٣] .

وفي تلك الاثناء اضطر شويسكي بان يرسل حملة عسكرية الى اواسط الفولغا ، بغية اخماد حركة نشبت ضد الاقطاعيين اذ احتل التشوفاسيين والترويوردفين وغيرهم من الشعوب المضطهدة عدداً من المدن ، وحاصروا مدينة نينجي - نوفغورود كما احتلوا مدينة بوتفيل ومدينة تولا ومن ثم توجهوا لمؤازرة قوات بولتنكيوف[١] . بعد ان قامت بصد هجوم القوات الحكومية ، وفي ربيع ١٦٠٧ م استطاعت قوات الثوار اجبار قوات شويسكي على التراجع الى داخل موسكو بعد الانتصار عليها بمعركة نهر بتشلينا في كالوغا . وعلى الرغم من تحقيق الانتصارات الا ان المؤن والعتاد بدأ بالنفاذ حتى وصف احد المعاصرين معسكر **الثوار " ... حل بهم الجوع العظيم .... فأكلوا الحبوب كلها . ثم المواشي جميعها والخيول ايضاً ، واخذا يشعرون بان قواتهم قد خارت "** [٢].

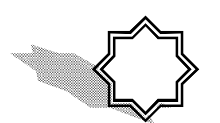
لم يستطع بولتنكيوف اقتحام موسكو بجيوشه المنهكة مما اضطر الى التوجه نحو مدينة تولا للاتصال بالقوزاق . اما شويسكي فلقد اصدر قراراً في مارس ١٦٠٧ منح فيه الاقطاعيين حق البحث عن الفلاحين الهاربين مدة خمسة عشر عاماً. وكان يهدف من ذلك القرار كسب قوات اكثر من الاقطاعيين .وبالفعل جرى تحقيق ما أراده ، اذ

---

(٣) **D. Lasamo Kvasov , Ar Kivny Matrial ,Vol. II ,Moskow -1950, PP.51-56 .**

(١) **Ibid , P . 57 .**

(٢) **يبيانوف ، المصدر السابق ، ص ١٤٨ .**



استطاع جمع جيش كبير يبلغ قوامه ١٥٠ الف جندي . تولى قيادته بنفسه وتحرك نحو تولا في حين لم يبلغ جيش بولتنكيوف ٢٠ الف جندي . الا انهم تمكنوا من صد القوات الحكومية ومنعها من دخول مدينة تولا لمدة أربعة اشهر ففرضت قوات شويسكي حصاراً على المدينة الا انها لم تستلم ، فأعلن شويسكي بأنه سيهدم السد ويغرق المدينة ، وأعطى الأمان لكل من يلقي السلاح وينظم اليه . فأجبر الثوار في تشرين الأول عام ١٦٠٧ م على الاستسلام حفاظاً على المدينة . الا انه لم يصدق في وعده اذ قام بمجزرة كبيرة ونكلّ بأعدائه ، واعاد العبيد الى أسيادهم . وإعدام قائد القوزاق غورتشاكوف بعد تعذيبه . اما بلتنكيوف فلقد سمل عينيه . ونفاه الى كارغوبول المتجمدة وفيها تمت تصفيته بالقائه في احد الأنهر الجليدية [١].

استغلت بولندا الأوضاع الناجمة عن الثورة ، وما ترتب عليها من فوضى ودمار وفقدان الأمن في معظم المدن الروسية لتآزر مدعٍ جديد بالعرش الروسي زاعماً بانه الامير ديمتري ، وانه لم يقتل . وكانت بولندا تأمل من ذلك تقسيم الأقاليم الروسية بين العائلات الأجنبية المالكة بها لايجاد كونتات ضعيفة لا تهدد وجودها ، وبالفعل جرى التنسيق بين الحكومة البولندية وتلك العائلات على تقسيم روسيا . وفي ٢٠ حزيران ١٦٠٨ تحركت فصائل ديمتري المزعوم نحو موسكو من نوفغورود - سيفرسكي . الا ان المدافعين صدوا الهجوم ، واجبروا الغزاة على التراجع فاتخذوا من قرية توشينو معسكراً لهم فعرف ذلك في التاريخ الروسي بسارق توشينو [٢] .

وقد فرض ديمتري المزعوم حصاراً على موسكو وارسال جزءاً من قواته لاخضاع بقية الأقاليم الروسية . وبالفعل تمكنت قواته من الاستيلاء على حوض الفولغا الوسطى والعليا ، ومناطق الوسط والشمال . واثارت عمليات النهب والسلب والاغتصاب ، فضلاً عن الاضطهاد المذهبي بين الفلاحين وفقراء المدن . الامر الذي

---

(١) زيتون ، المصدر السابق ، ص ١٤٨ .

(٢) The New Cambridge Modern History ,Vol. III , Cambridge - 1971 , P. 394.



دعاهم الى تشكيل وفد لمقابلة ديمتري كي يلتمسوا منه رفع المظالم عنهم ومما قالوه له " **... ارحم اليتامى ايها السيد ، ولا تسمح للبولنديين ان يقتلونا ويأسروا نساءنا وأطفالنا . وينهبوا أموالنا ويدنسوا أديرتنا "** [٣] . غير ان الفصائل البولندية تابعت أعمالها . فواجهها المواطنون بأعمال مسلحة مثل الكمائن وحرب العصابات ثم تطورت في شتاء ١٦٠٨ - ١٦٠٩ م لتحرير معظم مدن الفولغا والشمال وأعادتها الى سلطة الدولة بعد ان تمكنوا من توحيد صفوفهم والتخطيط العسكري لعملياتهم [١] .

اما شويسكي فقد اضطر بسبب انهاك الثورة الفلاحية لقواته العسكرية الى التحالف مع السويد وجرى ذلك في شباط ١٦٠٩ م . والواقع ان السويد لم تدخل في التحالف بغضاً بالبولنديين بل لرغبتها في ايجاد موطئ قدم لها في الاراضي الروسية ، وتبعاً لذلك تمكن التحالف بقيادة الجنرال الروسي سكوبين Skobien . في صيف وخريف ١٦٠٩ من استرجاع حوض الفولغا العليا وفك الحصار عن موسكو [٢] .

وعلى الرغم من هذه النجاحات . فأن الأوضاع الداخلية استمرت في التدهور بسبب اثارة الحروب الكثيرة ، ومؤامرات النبلاء المدعومين بالقوى الخارجية . فقد اتفق عدد من الدفوريان وبدعم من السويد لاسقاط حكومة شويسكي. وتنصيب ابن اخيه الجنرال سكوبين الذي سبق وان حرر موسكو من قوات ديمتري الا انه مات فجأة ، ويقال انه مات مسموماً. فعين اخ شويسكي وهو ديمتري رئيساً للقوات الروسية [٣] .

ومن جانبها عمدت بولندا بعد فشل محاولات مدعي العرش ديمتري الى مهاجمة الاراضي الروسية بقيادة ملكها سجسموند الثالث . فحاصرت سمولنسك . كما طلب من قوات القوزاق برئاسة زولكيوسكي Zolkuoski في حزيران ١٦٠٩ مساعدته في

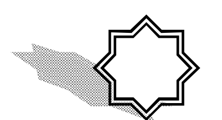
---

[٣] زيتون ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

[١] In Gvar Andersson , A history of sweden , London - 1957 , P. 156 .

[٢] بيبانوف ، المصدر السابق ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

[٣] المصدر نفسه ، ص ١٥٤ – ١٥٥ .



مجهوده الحربي . وبهذا الدعم تمكن من الحاق عدة هزائم بالقوات الروسية قرب قرية كلوشينو مستفيداً من تخاذل المرتزقة السويديين العاملين في الجيش الروسي ليبدأ حصاره الفعلي للعاصمة الروسية . ومما زاد في اضطراب الاوضاع في موسكو الانقلاب الذي قام به النبلاء والدفوريان والبويار ضد القائد الروسي واجباره على الانزواء من الحياة العامة مترهباً في احد الأديرة ، وقد سميت الحقبة التي استولى فيها النبلاء على السلطة في موسكو باسم حكومة البويار السبعة (*) . وفي ١٧ آب ١٦١٠ م عقدت هذه الحكومة الهامشية مع ملك بولندا اتفاقية نصت على تنصيب ابنه فلاديسلاف Vladyslav قيصراً على روسيا . شريطة ان يصبح ارثودكسياً وبعد شهرين من ذلك فتحت الأبواب للجيوش البولندية لتدخل موسكو ، وقد نفذ البولنديين مخططاتهم السابقة في تقسيم الأقاليم الروسية قبل إعلان فلاديسلاف قيصراً لروسيا (١) .

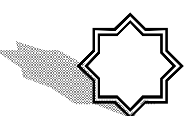
لم يفوت السويد الفرصة في احتلال الأقاليم الروسية المجاورة . فاحتلوا فوفغورود وبسكوف ، وكان الهدف من هذا الاحتلال هو منع روسيا من الوصول الى بحر البلطيق . وقطع تجارتها مع أوربا الغربية بعد الاستيلاء على مينائها الوحيد اركانجل . ولقد جاء الاحتلال نتيجة خيانة البويار في نوفغورود الذين عقدوا اتفاقية مع السويديين على اعلان مملكة نوفغورود . وان يرشح اميراً سويدياً ملكاً عليها (٢) .

(*) حكم البويار السبعة ١٦١٠ ـ ١٦١٢ م وانتهى حكمهم مع طرد البولنديين من موسكو وسماهم الروس البويار السبعة الخونة ومنهم الامير مستيسلافسكي وفورتنسكي وماسالسكي والبوياري سالتيكوف . وكانت هذه الحكومة تستمد اجراءاتها واوامرها من الحاكم العسكري البولندي غونسيفسكي . للمزيد من المعلومات انظر :

Krasov , OP , cit , PP . 55 – 56 .

(١) **The Royal Institute of International Affrairs , Nationalisn , A Rober by Study of Members of the Royal Institute affiars , London - 1963 , P. 62 .**

(٢) **Micheal Robar,A history of sweden 1523 –1611,Cambridge -1968, P.453.**



الفصل الأول

الأوضاع العامة في روسيا القيصرية ١٥٨٩ـ ١٦٧٦

المبحث الأول ...... فترة حكم القيصر بورس غودنوف والتدخل البولندي ١٥٨٩ـ ١٦١٢

ونتيجة للضغوط التي تعرض اليها الشعب الروسي على يد المحتلين . تم تشكيل اول مجموعة من المتطوعين عام ١٦١١ لتحرير روسيا في ريازان Ryzan بقيادة بركوبي بليبانوف P.Pliapanov . وانظم اليه التوشين تحت قيادة تروسكي Trotiski وزارتسكي Zartesky . وشكل سكان الضواحي والنبلاء والقوزاق في الجنوب الجيش الأول للكتائب المسلحة الشعبية . وعلى الرغم من وجود المقاومة وتنفيذها بعض العمليات المسلحة . الا ان البولنديين استطاعوا احتلال سمولنسك في حزيران ١٦١١ (١) .

واشتدت المقاومة في موسكو وباتت ضرباتها موجعة للبولنديين . فاتخذ القادة البولنديين قراراً باحراق المدينة والتحصن خلف جدران الكرملين . وعندما بدأ الجنود البولنديون بوضع مدافعه على سور الكرملين واجهوا مقاومة عنيفة مما عجل باحراق المدينة لينشغل السكان بإطفائها . وقد وصف احد المؤرخين الحريق بقوله **" ... كان الحريق هائلاً الى درجة ان الكرملين في الليل مضاءً كما في وضح النهار ... وبدت موسكو كالجحيم "** (٢) .

فاضطر الأحياء الى مغادرة العاصمة لينظموا الى فصائل المقاومة في الدفاع عن دير سيمونوف ، الا ان فصائل المقاومة تحاربت فيما بينها ، وانتهى القتال بمقتل القائد ليبانوف . فانحل الجيش الأول فكان ذلك نصراً للأعداء (٣) .

بعد احتلال مدينة نوفغورود ، وجه حاكمها كوزماминين Kuzma Minin (*) نداءً الى الأهالي وسكان المدن المجاورة وبدأ بتشكيل قوات من المتطوعين لتحرير

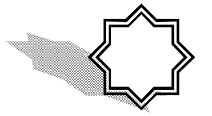
---

(١) الكسيف ـ كارتسوف ، تاريخ الاتحاد السوفيتي ، ب م ، موسكو ـ د ت ، ص ٣٧ .

(٢) كارتسوف ، المصدر السابق ، ص ٣٨ .

(٣) يبيانوف ، المصدر السابق ، ص ١٥٦ .

(*) اشتغل في بداية حياته بائع لحوم ، وقد عرف بوطنيته وشخصيته القيادية فعين عمدة لمدينة فينجي ـ نوفغورود . للمزيد من المعلومات انظر : ـ



بلادهم فتجمع المقاتلون في حوض نهر الفولغا ، وانضمت اليهم فصائل من المقاومة الاوكرانية ، وقد خطب فيهم مينين قائلا ً **" ... ايها الروس اذا رغبنا بمساعدة الدولة الروسية فلن نبخل بشيء والامر عظيم وسننجزه "** (١) .

وانيطت قيادة المقاومين بديمتري شويسكي ، وفي ربيع عام ١٦١٢ دخل بقواته مدينة ياروسلافل حيث أعلن تشكيل حكومة مؤقتة باسم المجلس الأعلى الذي يضم ممثلي المدن والأراضي المحررة (٢) .

نجح القادة الروس في تسوية الامور العالقة مع السويد وذلك لتأمين مؤخرة جيوشهم المتوجهة لتحرير موسكو . بعد ورود انباء عن مفاوضات بولندية سويدية لقيام تحالف ضد روسيا (٣) .

أرسل الملك البولندي تعزيزات لحاميته في موسكو . الا ان القوات الروسية استطاعت الوصول الى العاصمة قبل البولنديين . وفي ٢٢ - ٢٤ اب ١٦١٢ نجحت القوات الروسية في القضاء على جيش الإنقاذ البولندي وتحرير كيتاي - غورود . فاستسلم البولنديين الذين اختبأوا في الكرملين . وفي ٢٦ تشرين الأول ١٦١٢ تحررت موسكو (٤) .

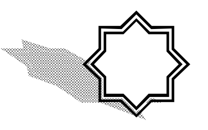
كارتسوف ، المصدر السابق ، ص ٣٨ – ٣٩ .

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٢) Robert , Op. Cit. , P. 45.

(٣) الكسيف - كارتسوف - تروتسكي ، موجز تاريخ الاتحاد السوفيتي ، ترجمة محمود الجندي ، موسكو - ١٩٧٤ ، ص ٢٣ .

(٤) Tikhomirovis , OP. Cit. , P. 150 .



المبحث الثاني

فترة حكم القيصر ميخائيل رومانوف ١٦١٣ ـ ١٦٤٥

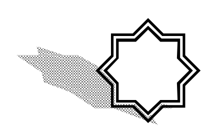
مع تفاقم النضال الاجتماعي في روسيا ظهر من جديد تقليد عقد اجتماعات مجمع الاقاليم (الزامسكي سوبور) لانتخاب قيصر للبلاد ، وقد كثر المتقدمين للعرش . الا ان المجلس قرر استبعاد كل من كان له تعاون مع القوى الاجنبية او ذو نسب اجنبي . حتى تم اخيراً الاتفاق على انتخاب ميخائيل رومانوف Michel V. Romanov [*] في ٢١ شباط ١٦١٣ . وكان عمره آنذاك ستة عشر عاماً [١] .

ومن ثم كان هدف البويار من انتخاب رومانوف السيطرة عليه لصغر سنه ليكونوا هم اصحاب القرار السياسي والمتنفذين في الدولة حتى قال احدهم " **... فلنختر رومانوف لانه لم يكمل حصافة العقل ...** " [١] فسيطرت اسرتي ساليتكوف Salitkov وتشير كاسكي

[*] حكمت اسرة رومانوف روسيا القيصرية من الفترة ١٦١٣ - ١٧٦٢ . غير ان اسرة هولشتاين غورتوب Holstein Gotrop المتفرعة بالمصاهرة مع عائلة رومانوف هي التي حكمت روسيا من سنة ١٧٦٢ - ١٩١٧ باسم عائلة رومانوف . انظر : -

The Romanov - Gottorp Dynasty ; cited wikibedia the free encyclopedia , http : // en wikpedia .org .

[١] نور الدين حاطوم ، تاريخ القرن السابع عشر في اوربا ، دمشق - ١٩٨٦ ، ص ٣٩١ .



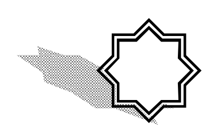
Tcherkasky على شؤون الدولة [٢] ومارسوا زعماؤهما السلطة الفعلية في البلاد . فانعكس ذلك سلباً على الأوضاع في البلاد . اذ انتشرت العصابات وقطاع الطرق من البولنديين والقوزاق [٣] .

ونتيجة لذلك أدرك القيصر ان زمام الأمور بدأ يفلت من يده فاصدر عدة قرارات لإعادة الأمور الى مجرياتها ، وكان في مقدمتها قراراته في إنشاء الكتائب العسكرية . اذ استطاعت هذه الكتائب القضاء على الفوضى الداخلية في مدة لم تتجاوز الثلاث سنوات [٤] .

وبعد ان تم الاستقرار الداخلي جرى التحضير لعمليات التحرير وصد العدوان الخارجي لا سيما بعد ان بادرت القوات السويدية بقيادة ملكها غوستاف ١٦١١ - ١٦٣٢ م Gustav بدخول الأراضي الروسية . ومن أهدافها احتلال موسكو . الا ان القوات الروسية استطاعت التصدي لها ، وارجاعها عن العاصمة وقد وقفت الدول الأجنبية ذات المصالح التجارية في روسيا كإنكلترا وهولندا الى جانبها ضد السويد سياسياً [٥] . فاضطرت السويد في ٢٣ شباط ١٦١٧ على توقيع معاهدة ستولوف Stolave . والتي استردت بموجبها روسيا مقاطعات نوفغورود وسترايا روسا ، ولا دوغا وغدوف . في مقابل تنازلها للسويد

---

(١) سرغي فيدورفيتش بلاتونوف ، محاضرات في التاريخ الروسي ، علي الاله الكاتبه ٥ اب ١٩١٧ (بالروسية ، مكتبة أ. د. هاشم التكريتي) ، ص ١٨٤ .
(٢) شميدت ، المصدر السابق ، ص ٥١ .
(٣) زيتون ، المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .
(٤) **Richard Char Ques , Ashort History of Russia , London - 1959 , P. 65 – 66**
(٥) **Divid Maland , Europein the seventeenth century ,London -1977, P.384 .**



عن كاريليا وليفونيا وكان هدف السويد من الاحتفاظ بتلك المناطق هو منع روسيا من وصول الى سواحل البلطيق [١] .

لم يبقى أمام القيصر سوى الخطر البولندي لا سيما وان حكومتها كانت قد أعدت عدتها بغية جعل ملكها سجسموند حاكماً لروسيا ، مستفيدة من احتلالها مقاطعات روسية واسعة منذ سقوط عائلة روريك . وبعد جهود مضنية تمكن الروس من اقناع البولنديين في الدخول في هدنة امدها أربعة عشرة سنة ونصف عام ١٦١٨ [٢] وطبقاً لشروط جرى تبادل الاسرى فيما بينهم ، واشهرهم كان البطريرك فيلاريت والد القيصر . وبما انه يتمتع بخبره سياسية وادارية ، فلقد اشركه القيصر في الحكم . فظهرت الأوامر القيصرية وهي تحمل توقيعين **" الملك القيصر ميخائيل والسيد العظيم فيلاريت "** [٣] .

وشرع الاثنان في تطبيق الإصلاحات اللازمة للبلاد ، فتم تنظيم الضرائب وطبع القانون المدني الجديد ، وتنظيم الإدارة المحلية في الأقاليم وجعلها على شكل عسكري بغية قمع تجاوزات حكامها المعروفين باسم (الغويغود) [٤] . فضلاً عن ذلك جرى تحويل الكتائب المأجورة الى جيش نظامي دائم . وزاد في أعداد الحرس القيصري المعروف (الاسترلتش) ، كما انشيء مجلساً يشبه مجلس الوزراء ولكن الشعب هو من يقوم باختيار

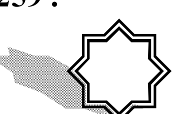
---

(١) **Till Lisk , The struggle for supremacy in the Baltic 1600 - 1725 , London - 1974 , P. 40 .**

(٢) **Dobbs , OP. Cit. , P. 14.**

(٣) **بلاتنوف ، المصدر السابق ، ص ١٩٠ .**

(٤) **Jerome Blum , Lard and Peasant in Russia from The ninth to the nineteenth Century , New Jersey – 1961 , P. 259 .**



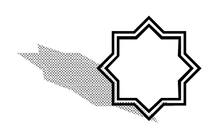
أعضائه [١] وزيادة على ذلك جرى تعزيز نظام التسلسل في الكنيسة الارثوذكسية، والاستعانة بالخبرات الأجنبية سيما من اوربا الغربية وإعطائهم امتيازات تجارية لروسيا . اذ اقام التاجر الهولندي فينوس Vinaus ثلاث افران لصهر الحديد في مدينة تولا . بالاضافة الى عدد من معامل الحدادة التي تدور بقوة الطاقة المائية ، وكانت تنتج الحديد والمدافع والقذائف وتقدمها الى الخزانة الحكومية بسعر محدود . كما انشىء السويدي أ . كوت A.Coot مصنعاً لزجاج في موسكو . وتم التعاقد مع الألماني مارسيلس Marsieles لسبك الحديد ونقله الى موسكو ، وحاول القيصر اقناع الفلكي والجغرافي أ . م اورلياريس A . M . Orlires الاستقرار في موسكو بعد عودته من ايران متجهاً الى المانيا الا ان اورلياسوس رفض البقاء .وارضاءً للقيصر وضع كتاباً عن العادات والتقاليد الروسية [٢] .

ونتيجة لذلك ، يمكننا القول ان العديد من الحرف نهضت العديد من الحرف في عهد القيصر ميخائيل رومانوف كالزراعة وتربية الماشية وانتعشت المدن بعد عودة المواطنين الفارين منها على اثر الحروب . كما ساعدت تنمية التجارة على تزايد الانتاج التجاري ونمو المدن . وعلاوة على ذلك انشأت الحكومة معملاً للنسيج في كادشيغو ، وكان العمل في معظمة يتم يدوياً والباقي بالمحركات المائية . وكانت اليد العاملة تتألف بشكل عام من الفلاحين الذين دفعت بهم الحكومة او الاقنان الخاضعين لاصحاب المصنع . واستطاع الحدادون في مدن سير بكوف وتولا وتخيفين ، والحياك والدباغون في يارو سلافل يلبون احتياجات الشعب في ظل الشتاء القارص الطويل [١] .

---

(١) اكاديمية العلوم في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، تاريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية منذ العصور القديمة حتى اليوم ، ترجمة مصطفى فقير ، موسكو ، دم - دت ، ص ٦٦ .

(٢) Platonov . La Russia Moscovite , Paris - 1932 , PP. 150 - 151 .



وقد أوجد التقسيم الاجتماعي للعمل والتوسع في السوق الداخلية ، المعامل اليدوية الأولى في البلاد ، وكان الحافز وراء إنشائها حاجة الدولة الى الأسلحة ، واتاح استخدام الطاقة المائية الى نشاط صناعة الأسلحة الثقيلة كالمدافع وغيرها من الأسلحة (٢) .

وعلى اثر تلك الإصلاحات والاستقرار الداخلي في روسيا زادت الهجرة الى المقاطعات الحدودية وتطورت في مدن مثل بيلغورود ، كورسك . اذ تدفق اليها الفلاحون من وسط البلاد وبدأ الملاكون الجدد ينقلون اقناءهم الى المناطق الجنوبية بعد ان وهبت الدولة الأراضي للنبلاء . فعاش الروس بجانب التتار بسلام ، واعتمد القيصر في تلك المناطق على الارستقراطية المحلية من أمراء وأشراف التتار الذين وضعوا أنفسهم في خدمة القيصر لقاء الأرض (٣) .

وقد ارتبط أغلبية نبلاء الفولغا بالدولة اذ فرضت عليهم ضريبة الباساك (*) فراءً لكون المنطقة تشتهر بجودته ، واقبال التجار الأجانب على شرائها بأثمان باهضة . ولجأت الحكومة الى الكنيسة لنشر المسيحية بين السكان . فانتهى النزاع بين امراء المغول بعد زوال العادات القديمة ، وانتشار الحرف والزراعة (٤) .

بدأت بقية المناطق الشرقية بالفولغا من الانضمام الى روسيا مثل بدو الكالموك والفوغايس ، وكتب الأمير الارميني عيساي خسن دجالايات الكاثوليكي الى القيصر قائلاً " **.... ان نير الاحتلال ثقيل ولا يمكن احتماله "** ويقصد الاحتلال الإيراني لارمينا . في

---

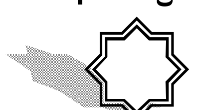
(١) اكاديمية العلوم السوفيتية ، المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

(٢) Grank Show , Op. Cit. , PP. 9 - 10 .

(٣) W.F. Reddaway , Ahistory of Europe 1610 -1716 ,Callan -1967 , PP. 53 – 60.

(*) هي ضريبة تفرض على الشعوب غير الروسية .

(٤) اكاديمية العلوم السوفيتية ، المصدر السابق ، ص ١٦٩ .



اشارة واضحة لدعوة القيصر الى مساعدته للتخلص من الاحتلال وضم ارمينيا لروسيا [١] .

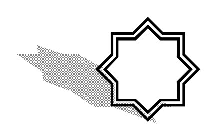
في عام ١٦٢٣ اندلعت الثورة في كرتاليا بقيادة الملك الجورجي ساكادزية Sakadziah الا ان المنافسات التي نشبت في الداخل اضطرته الى مغادرة البلاد الى المنفى ، فألحق عرش كرتاليا بتيمور راز ملك كاكايسيا الذي كان يرى ان الخلاص والتحرر من الاحتلال الإيراني يكمن في انضمامه لروسيا، فأرسل تيموررراز سفيراً الى موسكو كي يطلب مساعدة القيصر الا انه لم يستجب له وذلك لرفضه في الدخول في حرب لا يضمن نتائجها مع إيران [٢] .

وفي تلك الاثناء انتهت الهدنة الروسية - البولندية في مطلع ١٦٣٢ م ، وتهيأ الروس للحرب مغتنمين فرصة حرب الوراثة البولندية التي كانت في أوجها التي جاءت على اثر وفاة الملك سجسموند الثالث . فاصدر القيصر والمجلس الوطني الاكبر قراراً بمهاجمة بولندا . واناطة امر قيادة الجيش الروسي للقائد ميخائيل لاشيين M . Lashain [٣] .

الذي مني بهزيمة قاسية في سمولنسك على يد الأمير البولندي لاديسيلا الذي تمكن من محاصرة الجيش الروسي وقطع الامدادات عنه . مما اجبر الروس على الاستسلام بعد

---

(١) Bernard Pares , A history of Russia , London , 1962 , P. 190 .
(٢) انظر الفصل الثالث من البحث ، ص .
(٣) William H. Mcneill , A world history , oxford - 1967 , P. 347 .



ان رفضت موسكو إرسال الإمدادات لهم لفك الحصار عنهم وذلك لإرسالها قوات الى المقاطعات الجنوبية لصد هجمات تتار القرم الذين تقدموا نحو تلك الأقاليم (١) .

اضطر الروس بعد تلك الهزيمة الغير متوقعة على توقيع معاهدة بوليانـــوف Polyanov ١٦٣٤ المذلة التي تنازلت فيها روسيا عن سمولنك نهائياً لبولندا . فضلاً عن دفع غرامة حربية قدرت بعشرين الف روبل . مقابل اعتراف البولنديين بميخائيل رومانوف قيصراً لروسيا . واصدر القيصر امراً باعدام القائد لاشايين بعد عودته متهماً إياه بالخيانة مما يدلل على صرامة القيصر وطموحه في بناء دولة قوية (٢) .

وقد نجح القيصر بإنقاذ بلاده من حرب جديدة كادت ان تقع مع الدولة العثمانية اذ قام عدد من القوزاق التابعين لروسيا بمهاجمة قلعة ازوف Azov العثمانية . واحتلالها مبررين عملهم بان الدولة العثمانية قامت بقطع مصدر رزقهم . وهو صيد الأسماك بعد تحصين قلعة ازوف مما سد طريق البحر عليهم . وأرسل السلطان العثماني مراد الرابع ١٦٢٣ - ١٦٤٠ سفيراً ليفاوضهم فقتلوه ومثلوا فيه . فقرر تأديبهم واسترجاع ازوف بالقوة (*) . حاول القوزاق طلب النجدة من القيصر الذي عقد اجتماعاً طارئاً بالمجلس الوطني الأكبر(١) . فأقر المجلس بأهمية ازوف لروسيا باعتباره منفذاً بحرياً مهماً لكن وضع البلاد لا يسمح

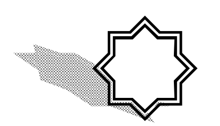
(١) زيتون ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٢) **J. Carl Friedrich , The age of the Baroque 1610 - 1660 , New York - 1952 , P. 250 .**

(*) خليج على البحر الاسود ويطلق عليه بحر زاباش يصب في نهر الدون ويتح على الحدود الجنوبية لروسيا .

Paul Lydolph , Geography of U. S. S. R , London - 1977 , P. 32 .

(١) انظر الفصل الثالث ، ص .

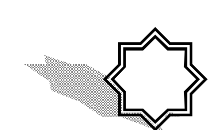


بدخول حرب ضد العثمانيين بالوقت الحالي . فاصدر المجلس أوامره الى القوزاق بضرورة الجلاء من ازوف . فنفذوا الأوامر بعد ان احرقوا ودمروا القلعة والحصن [٢] .

قضى القيصر ميخائيل رومانوف ١٦١٣ – ١٦٤٥ فترة حكمه بسلسلة متواصلة من الحروب الدامية من اجل وحدة الأراضي الروسية وتطورها . ولقد تزوج مرتين في حياته . كانت الأولى ايفانوفاد ولوروكونا التي اختارتها له امه . الا انها توفيت بعد ثلاث اشهر مسمومة وبعدها تزوج من اردوسيكا سترشينفنا عام ١٦٢٦ . وقد أنجبت له ثلاثة أبناء وهم ايفان وفاسيلي والكسي ، وثلاث بنات هن ارينا وحنه وناتيانا . وتوفي منهم ايفان وفاسيلي في حياته ومات القيصر عام ١٦٤٥ م عن عمر يناهز التاسعة والأربعين [٣] .

(٢) زيتون ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

(٣) Blum , OP. Cit. , P. 261 .



المبحث الثالث

فترة حكم القيصر الكسي رومانوف ١٦٤٥ – ١٦٧٦م

اعتلى القيصر الكسي العرش الروسي ١٦٤٥ - ١٦٧٦ بعد وفاة والده وكان يبلغ من العمر السادسة عشر من عمره . وتولى تعليمه وتهذيبه جده فيلاريت ومربيه بوريس ايفانوفيتش مورزوف الذي عرف بسعة علمه وثقافته الأوربية . فظهر القيصر الجديد ذو ثقافة عالية حتى وصفه المؤرخ الروسي سلوفياف **" ... انه حذق بكل الآداب السلافية الروسية ، وان مكاتباته تشهد له بسعة اطلاعه وغزارة المعارف فضلاً عن معرفته بالعلوم الطبيعية والسياسية "** [١] .

على الرغم من ذلك بدأ البويار بأحاكة الدسائس للايقاع بالقيصر مما أربك مسعاه في إدارة البلاد نحو الأفضل فاضطر إلى الاستعانة بخدمات أستاذه الطموح مورزوف Morzove فعينه مستشاراً له [٢] . الا أن الأخير كان يخطط للانفراد بحكم البلاد . فتزوج شقيقة زوجة القيصر ، كما عين مجموعة من أقربائه في المناصب العليا لضمان تفرده في السلطة ، وكان من اهم الإجراءات التي اقدم عليها ان أسس مجلس دوما جديد من أبناء

---

(١) S. ute Chin , Every man's con cise encyclopaedia of Russia , London - 1961, P. 15 .

(٢) Vernadsky , op. Cit. P. 123 .



النبلاء غير المؤهلين للشؤون الادارية والسياسية . ذلك ما عبر عنه المؤرخ الروسي غريغوري كوتوشخين G. Kotchkrin **" ... ان بعض البويار بلحاهم المستقيمة لا ينبسون ببنت شفة لان القيصر يرفع الى هذا المستوى أولاد الأسر العريقة وليس اعقل الناس "** (١).

ونتيجة لذلك تأزمت التناقضات الاجتماعية ، فضلاً عن بروز نزعة الصراع الطبقي في بنية المجتمع سيما على اثر سياسة البطش والنهب التي انتهجها مورزوف وأعوانه بعد احتكارهم للتجارة الداخلية والخارجية والمواد الغذائية كالقمح والخمر وغيره ، اذ شمل الاحتكار جميع المزارع المنتجة . وتصديرهم المحاصيل الى الخارج (٢) .

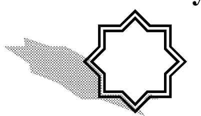
ونتيجة لفراغ الخزينة اصدر القيصر عام ١٦٤٦ قراراً اضاف فيه ضريبة الملح الى الضرائب المباشرة . فارتفعت اسعار الملح ثلاث اضعاف سعره الحقيقي . كما قررت الحكومة جباية ضرائب عامي ١٦٤٦ - ١٦٤٧ في وقت واحد مع فرضها ضرائب اخرى لم تكن اقل من ضريبة الملح التي اجبرت الحكومة على الغائها (٣) . فكان ذلك مدعاة لاندلاع تمرد شعبي في مطلع حزيران ١٦٤٨ في موسكو ، فقد استغل المتمردون مناسبة عودة القيصر من حج المناطق المقدسة برفع شكواهم ضد مورزوف واتباعه الا ان الحرس الإمبراطوري فرقهم بشدة . مما زاد من ردود الافعال الغاضبة . فعادوا في اليوم الثاني بعد ان انضم اليهم الاسترلتش المستاؤون من تقليص رواتبهم فنهبوا منازل البويار وأولها منزل موزورف ، كما قتلوا الأب نيستوي Nistway صاحب مقترح ضريبة الملح . ثم امتد

---

(١) لجأ كوتوشخنين الى السويد عام ١٦٦٣ . واصدر هناك كتاباً بعنوان روسيا تحت حكم القيصر الكسي ميخائيلوفيتش . للمزيد من المعلومات انظر : - اكاديمية العلوم السوفيتية ، المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(٢) **Blum , OP. Cit. P. 263 .**

(٣) **A. Lentin , Russia in The Eghteenth century , London , 1973 , P. 5 .**



التذمر الى الكرملين حين اجتاحة المتمردون وطالبوا القيصر بتسليمهم موزورف ومساعديه تراخياتوف Trakhyatov . وبلتشيف Peltchiev [١] .

وعلى الرغم من قسم القيصر بتسليمه لهم . الا انه قد هربه الى احد الاديره في الشمال . بينما هرب مساعده تراخياتوف الى خارج موسكو . في حين قتل المساعد الاخر بلتشيف ومثل في جثته [٢] . ومن موسكو امتد لهيب التذمر الى المدن الروسية الاخرى مثل فيليكي اوستبوغ ، وسول تشيفودوسك وتورسك . وكانت مطالب الفلاحين وسكان المدن تتلخص في عزل مورزوف ومساعديه وخفض الضرائب وعزل الموظفين المرتشين من اتباع مورزوف [٣]. وفي مطلع ١٦٤٩م دعا القيصر المجلس الوطني الاكبر للانعقاد . وإصدار تشريع جديد ، واجتمع المجلس برئاسة البطريرك نيكون Nikon [*] لدرس الوسائل التي تؤدي الى استقرار النظام والعدالة . فانتخبت لجنة للنظر في القوانين والشرائع الروسية وتعديلها على وفق تعاليم الرسل ، وآباء الكنيسة . مع الاستعانة بالشرائع البيزنطية والبولندية واللتوانية . دون إغفال ما تقتضيه الحياة الروسية من التنظيمات الجديدة . وقامت اللجنة بمهمتها . وأدمجت في عداد الشرائع الجديدة شريعتين مهمتين . تتمثل الأولى في انه لا يحق للكنائس والأديرة اقتناء الأراضي ، اما الثانية استعباد كل الفلاحين

---

(١) بيبانوف ، المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(٢) Alexander Kornilov , Modern Russiun history , translated by Alexander . Curtiss , New York - 1952 , P. 5 .

(٣) بلاتنوف ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ - ٢٠٦ .

(*) هو من اسرة فلاحية من ماردرفيا . اصبح قساً لما بلغ العشرين من عمره . ثم تدرج بالهرم الكنسي حتى اصبح بطريركاً . وكان يتصف بانه طموح وقوي الارادة .



وتحويلهم بصورة نهائية الى ارقاء . وقد تألف هذا القانون المدني من ٢٥فصلاً تحتوي على ٦٩٧ مادة . ووافق عليه المجلس الوطني الأكبر [١] .

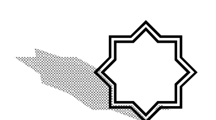
يتضح مما تقدم ان التشريع الجديد جاء مكرساً لخدمة النظام الاقطاعي الذي يعد وسيلة الانتاج الرئيسية في المجتمع الروسي آنذاك ،فضلاً عن دعم السلطة المركزية للقيصر ، وتأكيد عبودية الفلاح . وقد اصطدم التشريع بمخلفات العصور الوسطى ، وفي مقدمتها ادعاء الكنيسة في أولوية السلطة الروحية على السلطة الدنيوية . اذ كانت الكنيسة الروسية ترتبط بالدولة ، وهذا ما يميزها عن الكنيسة الكاثوليكية المستقلة عن الدولة . وقد سعت الحكومة بعد ذلك الى ضم الكنائس الارثودكسية في اوكرانيا والبلقان . وكانت المشكلة تكمن في الكتب الدينية القديمة التي لابد من تغيرها حتى يتم دمج الكنيستين الروسية والاوكرانية [٢] ، فأعلن القيصر ضرورة تصحيح النصوص القديمة على وفق الأصل اللاتيني ، وتبنى عملية الإصلاح الديني البطريرك نيكون ، الذي استخدم القوة والارهاب في فرض إصلاحاته . وقام بتعديل اشارة الصليب بثلاثة اصابع بدل الاثنين . كما اجرى تعديلات في بنية القداس [٣] . وقد استعان لتحقيق ذلك بالكتاب الذي وضعه مكسيم اليوناني . الا ان جزءً كبيراً من الشعب الروسي كان يرى في كل تغيير او تأثيراً أجنبي عملاً مريباً من رجس الشيطان .

---

(١) **Samuel Collins on the caurt of Alksei Mikhailovich , citedin : httt : // arts ci - chu- edu / reesp / documents / proc .**

(٢) **اكاديمية العلوم السوفيتية ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ .**

(٣) **المصدر السابق ، ص ١٧٥ .**



فأعلن الراكسول Raskolnilsi (*) انفصال وحدة الكنيسة الروسية . اذ وقف رجال الدين المعارضين ضد هذه التوجهات . وفي مقدمة هؤلاء افاكوم Avakome، ودانيال . اذ قدم الاثنان اعتراضاتهم على الإصلاحات الى القيصر . وفشلا في اقناعه بموقفهم ، وضرورة الحفاظ على المعتقدات القديمة . فجرى اللجوء الى اثارة الشعب الا ان الحكومة واجهت المتظاهرين بعمليات انتقامية منتهزين فرصة وجود بطريرك انطاكية ماكريوس والاساقفة اليونانيين عام ١٦٥٥ في المجتمع الكنسي ، لكي تصب حرمان الكنيسة على المؤمنين القدامى . واصبح اكثر العناصر تمسكاً بالمعتقدات القديمة عرضة للاضطهاد والقتل . فتكاثر عدد الهاربين الى الغابات حتى اقدم الكثير منهم على الانتحار (١) .

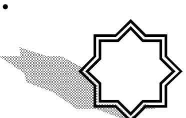
كان هدف القيصر ونيكون من هذه الإصلاحات هو ايجاد كنيسة قوية ومستقلة ولما حصل نيكون على لقب العاهل الاكبر ، بدء نفوذه يزداد ويتدخل بالقرار السياسي ، سيما بعد ان عين نائباً للقيصر وحاكم موسكو حال غياب القيصر (٢) .

بدأ نيكون باستغلال منصبه ، والتجاوز على قرارات القيصر نفسه مما اثار القيصر فامر بعزله من ادارة الكاثدرائية الرئيسية في موسكو ونفيه ال دير البعث . ومما زاد من

(*) هي حركة روسية دينية انفصالية مضادة لاصلاحات نيكون وتمثل معتنقي العقائد القديمة . للمزيد من التفاصيل ، انظر :
هربرت فيشر ، تاريخ اوربا الحديث والمعاصر ، ترجمة احمد نجيب – وديع الضبع ، القاهرة – ١٩٦١ ، ص ٣٦١ (هـ) .

(١) ظل عدد كبير من الروس على طقوسهم القديمة رافضين الاصلاح لا يدخلون الكنيسة التي تبنت الاصلاح ، واطلقوا على انفسهم صفة المؤمنون واطلقوا على الاصلاحين بالمنشقين . للمزيد من المعلومات انظر : - شميدت ، المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٢) Hingley , OP . cit , P. 108 .



صعوبة الأمر على الراهب المعاقب ان المجمع المسكوفي عزله من كل مناصبه الدينية ونفاه بعيداً الى دير سان تيرابوت [١] .

ايد المجمع الإصلاحات دون تبني أي موقف بخصوص العلاقات بين الكنيسة والدولة . حتى قرر اخيراً مع بطاركة الشرق تحديد تلك العلاقة **بالآتي " ... يمارس القيصر سلطته الدينيوية في حين يمارس البطريرك سلطته في الشؤون الدينية "** . وقد تسببت تلك الإصلاحات في انشقاق الكنيسة الروسية الى ارثوذكسية حاكمه ، وارثوذكسية ذات طقوس قديمة مما تسبب في اضعاف الكنيسة الروسية بصورة عامة [٢] .

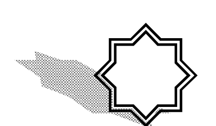
واذا انتقلنا الى معاينة الاقتصاد حينذاك ، فيمكننا القول ان الاقتصاد الروسي كان يعتمد على قاعدة الفضة ، والقائمة على تحديد قيمة العملة بما هو موجود من معدن الفضة في البلاد ، ولغرض منع تهريب العملة الى خارج البلاد ، عمد الى تحويلها الى معدن النحاس الاقل قيمة . وقد أثارت هذه الإجراءات غضب النبلاء المستفيدين من النظام السابق . فبدأوا يزيفون العملة حتى وصلت قيمة الروبل الفضي الى ١٢ روبل نحاس عام ١٦٦٣ . فثار الشعب ولم يهدأ الا بإلغاء القيصر ذلك القرار واعادة الروبل الفضة واستبدال النحاس بالقيمة نفسها وقد عرف هذا التمرد باسم (التمرد النحاسي) [٣] .

---

(١) Hingley , OP. Cit. , PP. 108 - 109 .

(٢) Alexinsky , OP. Cit. , P. 53 .

(٣) ييانوف ، المصدر السابق ، ص ١٧٨ .



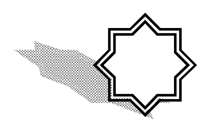
ومما زاد الامور سوءاً ظهور متمرد طموح من القوزاق على الحدود الشرقية كان قد قدم ولاءه للقيصر ، ويدعى ستنكارازين Stnkarazin [*] . اذ جمع حوله المتمردين والفلاحين الهاربين من اسيادهم وقطاع الطرق ، وبدأت عمليات رازين عام ١٦٦٧ بتجريد حملة عسكرية على سواحل بحر قزوين حتى بلغ البحر عن طريق استراخان عام ١٦٦٧ علماً انه يملك خمسة وثلاثون مركباً ، فاستولى على مدينة اياتسكي ، وفي عام ١٦٦٨ غادرها رازين الى شواطئ إيران . وحين تم جمع قواته مع القوزاق القادمين من الدون على سواحل بحر قزوين ، فاجتاح السواحل الإيرانية من دربند الى باكو ، واستطاع هزيمة اسطول تابع للشاه الصفوي سليمان ١٦٦٦ – ١٦٩٤ ، واستولى على ما يحمله من نفائس ومدافع . أرسل بعضها كهدية للقيصر [١] .

مع مرور الوقت دخل الغرور رازين وتصرف بانه سيد البلاد ، وتحدى سلطة القيصر باحتلاله استراخان . وفي ايلول ١٦٦٩ صعدت فصائل المتمردين تيار الفولغا ، واستولوا على تزاريتزن ونهبوا ما بداخلها لا سيما أملاك النبلاء والاقطاعيين . وتوجه رازين بقواته عام ١٦٧٠ من الدون الى الفولغا ، واحتل مرة اخرى تزارتيزن . ونشر اشاعة بانه اصطحب معه الكسي ابن القيصر والبطريرك المعزول نيكون ، اللذين ينظر لهما الروس بأنهما ضحايا مؤامرات البويار [١] . ونجح بالاستيلاء على مدن ساراتوف

---

[*] ينتسب الى اسرة غنية . شارك في عدة سفارات لقوات الدون لدى الكالموك والموسكوفين . وقطع روسيا مرتين لكي يقوم بالحج لدير سولونيتسكي . وكان رجلاً محنكاً وحازماً وذكياً ، وكتب الرحالة الهولندي ستروويس " ... كان رجلاً عظيماً وهادئاً ، قوي البنية . صادق الوجه ، وكان في مجلسه متواضعاً جداً " . انظر :-
بلاتنوف ، المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .

[١] كان الهدايا خاصة بزفاف ابن الشاه وابنته . للمزيد من المعلومات انظر : -
الفصل الثالث عن العلاقات الروسية الايرانية ، ص .



وسامارا دون مقاومة تذكر . وعند احتلال أي مدينة توزع الغنائم على الفقراء ويخطب بالناس قائلاً " **... بانه سيحرر العبيد ويأدب النبلاء ، ويسترد ما سلبه الأغنياء من الفقراء "** فاخذ تمرده صفة الثورة الاشتراكية . فضم سكان الفولغا من تشوفاس وموردوف والتتر . ولكنه لم ينجح في احتلال سابيرسك اذ استطاعت القوات الحكومية بقيادة الأمير بارياتنسكي Baritensky من صد هجوم المتمردين وهزيمتهم . وهرب رازين من المعركة بعد ان اصيب بعدة جروح الى ترازيتزن ليعيد تنظيم صفوفه ففشل بذلك بعد ان تخلى القوزاق عنه . مما سهل على القوات الحكومية أسره . ومن ثم أعدمه القيصر بالمقصلة يوم ٦ حزيران ١٦٧١ في الساحة الحمراء [٢] .

من جانب اخر استغلت بولندا وليتوانيا الاضطرابات الداخلية في روسيا فاستولوا على الأقاليم الغربية مثل اوكرانيا وبودليا وفولهينا وغالسيا .وعملت على ضمها نهائياً . فبدأت بكثلكة السكان الارثوذكس . اذ اطلقت يد الآباء اليسوعين في نشر الكاثوليكية ، واجيز لهم كل الوسائل المقنعة حتى لو تطلب الامر التعذيب ، كما أنشأت الحكومة البولندية المدارس الدينية ، واخذ رجال الدين الكاثوليك يتواجدون لالقاء المحاضرات والنصائح الدينية مجاناً [٣] .

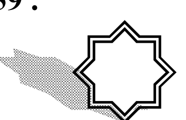
وفي مقابل ذلك تبنت الحكومة الروسية فصائل المقاومة والتصدي لعمل المبشرين الكاثوليك . اذ وزع الأميرين اوستروجسكي Ostergesky ، وكوربتسكي Corptsky

---

(١) **A. Alexeyev , V. Kartsav , A. Troitsy , A short history of the U.S.S.R , Moscow , 1972 , P. 24 .**

(٢) **ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة فؤاد اندراوس ـ محمد علي ابو درة ، مج ١٧ ، جـ ٣٣ ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٢٠ .**

(٣) **Utechin , OP. Cit. , P. 59 .**



كتباً ارثوذكسية لترسيخ الارثوذكسية في سكان تلك المناطق وصد الدعوات اليسوعية . وتم انشاء الاخويات والجمعيات الدينية [١] .

واخذ الصراع بين المذهبين يأخذ شكلين **الأول** فكري تبنته الطبقات الراقية من علمانية ودينية تجلت آثاره في ردود وكتابات وتفنيد لأقوال اليسوعيين ودعوتهم للكاثوليكية ، **والثاني** كفاح مسلح اذ نظم الشعب فصائل عسكرية بقيادة القوقازي بوغدان خملينسكي Bagdan Khmelnsky . ولكنهم لم يحققوا انتصارات مؤثرة في الجيش البولندي ، وذلك لقلة عددهم وبساطة تسليحهم مقارنة بالجيش البولندي . فاستنجدوا بالقيصر الروسي الذي قاد حملته عام ١٦٥٥ م لتحرير سمولنسك وفيلينا وكوفنو وغوردنو في حين حرر بوغدان غالسيا وبودلينا [٢] .

وقد استغلت السويد هزائم بولندا المتلاحقة فاحتلت المدن البولندية المجاورة لها مثل كبوسن وفرسوفيا وتراكوفيا . فمزقت بذلك وحدة الأراضي البولندية بين روسيا والسويد . ولكن القيصر الروسي قرر تفويت الفرصة على السويد اذ اعلن الحرب ضدها ، فضلاً عن عقد معاهدة مع بولندا عام ١٦٦٧ . وافقت فيها الأخيرة على إعادة جميع الأراضي الروسية المحتلة لروسيا [١] .

---

(١) Char Ques , OP. Cit. , PP. 72 - 73.

(٢) في ٨ كانون الثاني ١٦٥٤ دعا بوغدان خملنسكي الى عقد مجلس شعبي (رادا) في مدينة بيرياسلافل وسال بوغدان الجميع ((... تريدون الخضوع للملاكين البولنديين . او الاتحاد مع الشعب الروسي فارتفعت الاصوات : نريد ان نكون مع الروس)) . فقرر مجلس بيرياسلافل الشعبي انضمام الشعب الاوكراني مع الشعب الروسي . للمزيد من المعلومات انظر : -

Every man's encyclopedia , Vol. 7 , P. 467 .

(١) وقع هذا الصلح في قرية اندرسوفو الواقعة قرب سمولنسك . ومدة المعاهدة ثلاثة عشر سنة ونصف . وقد انهت هذه المعاهدة الحرب الروسية - البولندية ١٦٥٤ - ١٦٦٧ التي نشبت حول اوكرانيا ، وروسيا البيضاء . ونصت هذه المعاهدة بدمج الجانب الايسر من اوكرانيا مع روسيا ، والجانب الايمن وروسيا البيضاء مع بولندا .



ومن جانب اخر اخذت روسيا في التوسع شرقاً نحو هضبة سيبريا (*) الغنية بالمعادن . اذ كان يعيش فيها الياكوت ذو الاقطاع الاموي . كما كان للبوريات والتيتز والمانسيس وغيرهم في مرحلة تفكك النظام القبلي . اما الابوكاغير والتشوكش والكامتشادال فلقد كانوا متخلفين جداً ولا يقدرون اهمية المعادن التي في ارضهم . وساعد هذا الاختلاف بين شعوب سيبريا في سهولة دخول التجار والعسكريين الروس اذ دخلوها في القرن السابع عشر من الاوبي حتى الاينسبي ومنها لالينا . وأقاموا بين تلك المدن مدن صغيرة محصنة (٢) . كانت بمثابة مراكز ادارية تجمع فيها ضريبة الباساك . واهم هذه المدن مانغاديا ، وانيبسك وكراسفويارك. واياكومتشك التي اصبحت فيما بعد عاصمة سيبريا الشرقية وادى استثمار سيبريا الى ان تكون لها اهمية كبرى في الاقتصاد القومي الروسي ، فنزح اليها الفلاحون بعد التجار ، وعدت المركز الزراعي لروسيا. فوضعت الحكومة يدها على جميع أراضي سيبريا الخصبة باستثناء الأراضي الخاضعة للكنيسة وأدخلت الحكومة اليها وسائل زراعية متطورة وأصناف جديدة من الماشية الأكثر أنتاجا. وعلمت ابناء القبائل على زراعة القمح ، واستخراج الحديد والذهب والملح من المناجم (١).

كما نصت على ابقاء كييف بايدي الروس حتى عام ١٦٦٩ ، وفي تشرين الثاني ١٦٧٢ تنازل الملك البولندي ميخائيل ١٦٦٩ - ١٦٧٣ عن المناطق المتنازع عليها مع روسيا الا ان البرلمان البولندي رفض مصادقة القرار، وساند البرلمان الامير جون سوبسكي لاسقاط ميخائيل . للمزيد من المعلومات انظر : -

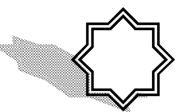
Dobbs , OP. Cit. , P. 20 .

(*) تمتد من جبال الاورال حتى المحيط الهادي شرقاً ، ومن المحيط المتجمد شمالاً حتى بحر قزوين جنوباً . وهي منطقة ذات غابات ضخمة وتعد من اغنى مناطق العالم بالماس الطبيعي والفحم والحديد والفراء والزيت . للمزيد من التفاصيل ، انظر :

Lydolph , OP. Cit. , P. 16 .

(٢) الكسيف ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(١) جمال حمدان ، بين اوربا واسيا دراسة في النظائر الجغرافية ، مصر - ١٩٧٣ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤.



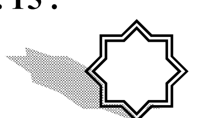
المبحث الثالث .... فترة حكم القيصر الكسي رومانـوف ١٦٤٥ـ ١٦٧٦

على الرغم من تدني الاقتصاد الروسي ، فأنها كانت تصدر الجلود والقمح والفراء والنسيج والشمع وتستورد الحرير والأسلحة والسكر والخمر . وكان ميناء اركانجل المنفذ الرئيسي للتجارة مع أوربا الغربية . اما مع الشرق كانت روسيا تصدر المنتوجات اليدوية والسلع الغربية الى إيران وبخارى وتستورد السجاد والحرير من اسيا الوسطى (٢) .

عمدت الحكومة عام ١٦٦٧ الى حماية التجارة والصناعة الروسية . فأصدرت حظراً على التجار الأجانب ، تضمن منعهم من مزاولة تجارة المفرد في المدن الروسية . كما اجازت لهم تجارة الجملة في المدن الحدودية فقط مع فرض رسوماً جمركية عالية (٣) .

---

(٢) Mark Man Call , Russia and China , cambridge - 1971 , PP. 9 - 18 .
(٣) Utechin , OP. Cit. , P. 15 .



الفصل الثاني

الاوضاع الداخلية في روسيا
١٦٨٢ – ١٧٢٥

المبحث الاول – الاوضاع في روسيا عشية تولي بطرس للاكبر العرش ١٦٨٢ – ١٦٨٩

المبحث الثاني – سفارة القيصر بطرس الاكبر العظمى لاوربا ١٦٩٧ – ١٦٩٨

المبحث الثالث – اصلاحات القيصر بطرس الاكبر الداخلية

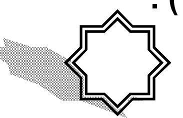
المبحث الرابع – المؤامرات والانتفاضات ضد القيصر بطرس الاكبر

المبحث الأول

الأوضاع في روسيا عشية تولي بطرس الأكبر [*] العرش ١٦٨٢ - ١٦٨٩

عانت روسيا القيصرية شأنها شان بلدان أوربا الأخرى من مشكلة وراثة العرش وادعاء الأخوة غير الأشقاء بأحقية كل منهم العرش. ففي كانون الثاني ١٦٧٦ م توفي القيصر الكسي ، وكان قد ولد له من زوجته ماريا ميلوسلافسكي Maria Miloslovsky ولدان هما فيدور وايفان وستة بنات . وولد له من زوجته الثانية ناتاليا نارشكينا Natalia Narshkina . ولد هو بطرس Peter وشقيقته ان Anne . وكان الكسي قبل وفاته بعامين قد نادى بابنه البكر فيدور وليا للعهد . فتولى الحكم وهو في سن الخامسة عشر وكان قد درس اللاتينية والبولندية ، والكتب المقدسة الا انه كان سقيم الجسم ضعيف الإرادة . وتبعاً لذلك انقسم البلاط الى فئتين تتنازعان السلطة . الأولى التفت حول الارملة ناتاليا بزعامة ماتفيف Matveev . اما المجموعة الثانية فقد دعمت

(*) ولد بطرس في الكرملين يوم ٣٠ ايار ١٦٧٢ م . وعلى الرغم من اخراجه من الكرملين ،فأن اخاه فيدور حرص على تعليمه اذ اتفق مع والدته على ايجاد معلم لابنها بطرس حتى وقع الاختيار على ثيدور سوكوفينين Theodore Sokovnin . وكان مشهوراً بمحاربته للاصلاحات نيكون لكنه اقترح على القيصر بان يكون نيكيتا زوتوف Nikitazotov موظف الجباية معلماً لبطرس . وذلك لكفائته العالية في التدريس وقد تعلم بطرس في سن الخامسة القراءة والكتابة . ثم بدأ يحفظ الكتاب المقدس ، ودرس حياة الرسل والرسالة الانجيلية ، واتقن اللاتينية والهولندية والبولندية وتعلم الرياضيات . ويذكر بعض المؤرخين ان بطرس هو ابن زنا وان اباه الحقيقي هو البطريرك نيكون لكون بطرس يشبه نيكون في كثير من الامور . ولقد عثر الفنان بنوا Panwa في متحف الارميتاج عام ١٩١١ م على قناع لوجه بطرس يمل عام ١٧١٨ يشبه صورة نيكون . للمزيد من التفاصيل انظر : -
هيئة تحرير مجلة سمينا ، مجموعة مؤلفات الكسي تولستوي، المجلد العاشر، موسكو-١٩٦١، ص ٢٠٩ . المركز الثقافي الروسي – دمشق بـ (الروسية) .



الفصل الثاني

الأوضاع الداخلية في روسيا ١٦٨٢ـ ١٧٢٥

المبحث الأول .... الأوضاع في روسيا عشية

تولي بطرس الأكبر العرش ١٦٨٢ـ ١٦٨٩

القيصره ماريا [1] . وحالما اعتلى العرش فيدور حتى جرى ابعاد نتاليا وابنها واقربائهم عن الكرملين الى قرية برابرجنكسية Preobrazhensky احد قرى موسكو ولكن سرعان ما توفي فيدور عام ١٦٨٢ قبل ان يبلغ من العمر العشرين عاماً دون ان ينجب فتفجر الخلاف مرة اخرى حول وراثة العرش القيصري وأحقية كل من ايفان الذي يكبر بطرس بست سنوات ، ولكنه ضعيف الجسم والعقل او بطرس صغير السن والأكثر قوةً وعقلاً . وعندما خشي المسؤولين من تفاقم الخلاف بين انصار الاخوين وضياع البلاد في حرب الوراثة . اجتمعوا برئاسة بطريرك موسكو واكيم Wakeem وقرروا تنصيب بطرس قيصراً للبلاد لعدم صلاحية ايفان للعرش زاعمين ان ذلك القرار جاء حسب وصية اخيهما فيدور [2] . الا ان الأميرة صوفيا Sophia رفضت الرضوخ للقرار وبدأت تجتمع بالعلماء والأدباء في مجلسها وتكثر لهم العطايا ، فاشادوا بها حتى شبهوها بملكة بريطانيا اليزابيث الأولى Elazabith I [3] ١٥٥٨ - ١٦٠٣ وبعد ان كونت صوفيا لها قاعدة سياسية وشعبية عقدت اجتماعاً مختلطاً من الأشراف والاكليروس وعامة الشعب ، أظهرت فيه حقها في الدفاع عن أخيها ايفان وحمايته بوصفه صاحب الأولوية بالعرش ، وأكدت مساعدتها له في إدارة شؤون البلاد . ولكنها فشلت في اقناع المجتمعين ، لاقتناعهم بضعف قدرات ايفان العقلية والجسمية لإدارة دولة مثل روسيا [1] .

---

(١) Vasili Klyuchevsky , Peter the great , translated by liliana Archipald , New York - 1961 , PP. 1- 2 .

(٢) Stephen Lee , Peter the great , London - 1993 , P. 3 .

(٣) اشتهرت بالحزم والاستئثار بالسلطة . دعمت البروتستانتية وعملت لها بحماس . ودعمت الاقاليم المتحدة الثائرة ضد اسبانيا ، وتحالفت مع هنري الرابع ملك فرنسا . دعمت الادباء والفنانين ، وشجعت التجارة والاستعمار ولم تتزوج . للمزيد من المعلومات انظر : -
Katharine An thony , queen Elizabeth , New York - 1929 .

(١) Klyuchevsky , OP. Cit. , PP. 3-4 .



الفصل الثاني

الأوضاع الداخلية في روسيا ١٦٨٢ـ ١٧٢٥

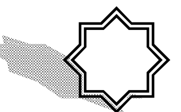
المبحث الأول .... الأوضاع في روسيا عشية تولي بطرس الأكبر العرش ١٦٨٢ـ ١٦٨٩

اتخذت صوفيا بعد ذلك طريقاً اخر وهو الاعتماد على قادة الحرس (الاسترلتش) في تحقيق أهدافها اذ استمالت قائد الاسترلتش الأمير فاسيلي غالتزين Vasily Golstien حتى اشيع بانه عشيقها . ومن ثم أعلنت ان أخاها فيدور قد مات مسموماً على يد احد الأطباء الهولنديين مدفوعاً من بطرس وامه على القيام بهذا العمل . وكذلك تبعه اخوه ايفان خنقاً ، وان بطرس قد اغتصب العرش منهم . فاثارت بتلك الشائعات الاسترلتش فقاموا بقتل الكثير من الأجانب على انهم الطبيب الهولندي . ومن ثم تحركوا بمدافعهم نحو الكرملين الا انه سرعان ما ظهرت ناتاليا وولدها بطرس وشقيقه الأكبر ايفان الذي ادعت صوفيا بانه قد مات فهدأ الشعب بعد ان تأكد من سلامة القيصر . غير ان عائلة ميلوسلافسكي لم ترضى بالواقع المرير كونها خسرت الامتيازات في البلاط. فعمدت الى تجديد الثورة . واثارة مشاعر الاستياء لدى الناس . فحاول القائد ميخائيل دولفروكي M.Dolvorky تهدئة الأوضاع لكنه قتل ، وطعن مساعده ماتفيف Matveev في صدره . وحاصر المتمردون الكرملين واسروا خال القيصر اثناسيوس Athnasious وألقوه من شباك القصر كما اختطفوا جد القيصر لامه وخاله ايفان وأرسلوهم لأحد الأديرة [٢] . وقد حاولت صوفيا بمكرها ان تخرج بمظهر الخائفة على اخيها بطرس ، وذاك انها خرجت للمتمردين ترجوهم الحفاظ على حياة من في الكرملين . لا سيما أخويها وتدعوهم الى التفاهم فاشترط الثوار ان يكون ايفان قيصراً وبطرس مساعداً له في الحكم . وهددوا بالثورة في حالة الرفض . فعرض الامر على مجلس الدوما الذي اجبر على ان تكون صوفيا وصية على اخويها في الحكم من عام ١٦٨٢ ـ ١٦٨٩ م [١] .

---

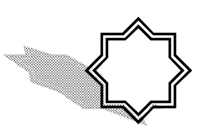
(٢) بسام العسلي ، بطرس الاكبر ، بيروت – ١٩٨٠ ، ص ٣٠ .

(١) مجموعة مؤلفين ، موجز تاريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، ترجمة طه الصواف ، موسكو ـ د ت ، ص ٩٥ .



وخلال هذه السنوات السبع . أخذت صوفيا تمارس دورها السياسي ، وتظهر في الحفلات الرسمية والدينية وتدشين الكنائس ، واستقبال السفراء الأجانب وغالباً ما يقترن ظهورها برفقة أخويها القيصرين معاً . ولم تمضي فترة طويلة حتى بدأت الكراهية تظهر بين صوفيا والاسترلتش الذين أصبحوا ينظرون ، لها بوصفها مغتصبة العرش ، كما انهم ارتابوا من تقريبها البطريرك نيكون Nikon ودعاة الإصلاح الكنسي والمدني . اذ ان غالبيتهم من المتدينين المحافظين . فضلاً عن إصدارها أوامر باعتقال كل من يتطاول على نيكون في محفل رسمي . وبدأت باعتقال المؤمنين القدماء الذين رفضوا الإصلاحات ، فأعدمت الكثير من زعمائهم ، واغلقت كنائسهم ، واحرقت الكثير منهم احياء داخل منازلهم . كما انها عينت عشيقها غالتزين قائداً عاماً للجيوش الروسية، مع انه لم يتمرس على الشؤون الحربية [٢] . فبدأت المعارضة تتوسع ضد صوفيا ، وبخاصة بين قادة الاسترلتش ، وقد اشترك رئيسهم القائد خوفالسكي Khovalsky في التنديد بسياستها واتهامها باغتصاب العرش . مما اضطرها الى الاحتماء بأخويها في دير يوستا Yosta حيث دبرت مؤامرة ناجحة قضت فيها على التمرد بقتلها قائد الاسترلتش ، وهو في طريقه اليها ملبياً دعوتها لاجتماع طارئ لمناقشة الوضع . وقد سيطر الجيش على الأوضاع في موسكو وقمع المتمردين ، وبغية تحاشي ردة الفعل الغاضبة للاسترلتش سعت صوفيا الى كسب ود قائدهم الجديد تشاموفسكي Tchamvosky [٣] . فاتخذته مساعداً لها الى جانب الأمير غالتزين الذي سعى عام ١٦٨٧ م الى تشكيل تحالف صليبي يضم بولندا وفنيسيا والنمسا ضد الدولة العثمانية [١] . ولقد اجتهد كثيراً في حمل الدول الكاثوليكية للمصادقة عليه . فأوفد الى بلاط الملك الفرنسي لويس الرابع عشر Louis IV ١٦٦١- ١٧١٥ م مندوبين هما يعقوب دولفروكي Jacob

(٢) بلاتنوف ، المصدر السابق ، ص ٢٦٦ .
(٣) Stuart Anderws , Eighteen century Europe 1680 - 1815 , London - 1965 , P. 39 .
(١) حاطوم ، المصدر السابق ، ص ٣٩٣ .



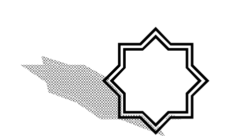
Dolvorky ويعقوب ميتشنسكي J. Metchnsky غير ان الملك الفرنسي لم يظهر أي اهتمام واكد عدم رغبته في محاربة السلطان محمد الرابع ١٦٤٢ - ١٦٩٢ م ، فضلاً عن رغبته في التحالف معه لمهاجمة فينسيا ، ومحاصرة لوكسمبرغ وقد أمرت صوفيا مندوبيها اثر ذلك بالعودة الى روسيا [٢] . بيد انها ظلت مصممة على حرب العثمانيين في مسعى واضح لنقل مشاكلها الداخلية خارج حدود روسيا . فأعدت حملة عسكرية كبيرة بعد ان عقدت معاهدة سلام مع البولنديين ، وكانت الحملة بقيادة غالتزين الذي فشل في اجتياح القرم سنة ١٦٨٧ م واضطر للانسحاب دون الاشتباك في اية معركة حقيقية ، متهماً قائد القوزاق سامولفتش Samolvitch بالخيانة وانه سبب فشل اجتياح القرم فتم تجريده من حقوقه المدنية ، وابعد منفياً الى سيبيريا . وعين مازيبا Maziba [*] بدل منه وفي مطلع سنة ١٦٨٩ م وأعيدت المحاولة في مهاجمة تتار القرم الا ان الفشل كان من نصيبها ايضاً . ولم يمنع ذلك صوفيا من الظهور وعشيقها في موسكو بمظهر المنتصرة في حربها ضد العثمانيين ، وهو ما خططت له في حربها المقدسة تلك . ولكن بطرس لم يشاركها أفراحها المزيفة ، معلقاً بانها وعشيقها جلبوا العار لروسيا [١] . وقد شاطر معظم الشعب الروسي بطرس رأيه ، وتعالت الأصوات متهمتها بإساءة استخدام السلطة ، زيادة على انها السبب في جرح الكرامة الروسية بإزاء العثمانيين والصين ، لذا زاد الحديث عن فضائحها مع عشيقها غالتزين وبالطبع لا يمكن تنزيه بطرس من التحريض ضدها لذا فانه فضل ترك موسكو الى قرية برابرجنكسيه قرب موسكو للإقامة فيها ، وجعلها قاعدته السياسية والعسكرية في أثناء إقامته اجتمع حوله أقرباؤه من عائلة نارشكين فضلاً عن أصدقائه لا سيما الأجانب منهم مثل السويسري

---

(٢) نخلة قلفاط ، تاريخ روسيا الحديث ، ج ٢ ، بيروت – ١٨٨٦ ، ص ٦٥ .

(*) هو زعيم قوزاقي بدرجة غيتمان من مواليد ١٦٤٤ م اشتهر بمغامراته الحربية . جرى تعينه زعيماً للقوازق ودخل في خدمة الحكومة القيصرية . الا انه انقلب وتحالف مع ملك السويد . للمزيد من المعلومات انظر : -
الفصل الرابع ، ص .

(١) Lisk , OP. Cit. , P. 158 .



لافـورت Lavort ، والانكليـزي غـوردن Gorden ، والجرمـاني ترومـان Troman وكان الجميع متحمسون للصدام مع صوفيا . وجاءتهم الفرصة حينما امر بطرس بتجهيز قواته الى مناورات عسكرية . فشكل فوجين الاول فوج سيميرنفسمكي ، والثاني فوج برابرجنكسيه وبعد ثلاثة اسابيع انتهت تلك العمليات العسكرية بسقوط ٢٤ قتيلاً و ٥٠ جريحاً [٢] .

ادركت صوفيا بان موقفها بات ضعيفاً ، وان الجميع بدأوا يمقتون سياستها فحاولت في مطلع آب ١٦٨٩ م اثارة الاسترلتش ضد بطرس . فاتفقت مع غالتزين وتشاموفسكي على اغتياله . الا ان بعض الجنود خشوا ان تتكرر مجزرة ١٦٨٢ فيهم واتفقوا مرددين شعار **" ... خير لنا ان نقتل صوفيا ، ولا نقتل بسببها "** [٣] . وفي الثامن من آب اطلعه الجنود على مؤامرة صوفيا ومساعديها . فهرب الى دير تريوستا ، ولحق به اتباعه فضلاً عن احدى فرق الاسترلتش . وعندما رأت صوفيا اخفاق مؤامراتها لجأت الى المفاوضات فأرسلت الى بطرس وفداً من النبلاء لإقناعه بالعودة . ومن ثم أرسلت اليه البطريرك واكيم . ولكنه رفض مساعيها بل انه استطاع اقناع البطريرك بالانضمام اليه ومن معه من النبلاء [١] . فاضطرت صوفيا الذهاب اليه لاقناعه . غير انه اشترط لمقابلتها تسليمها مساعديها غالتزين وتشاموفسكي مدبري المؤامرة ضده . فرفضت طلبه ولجأت الى تحريض الاسترلتش على مهاجمة الدير . كما طلبت من أخيها ايفان مساندتها الا انه رفض . وبذلك تأزم الموقف لا سيما بعد رفض شقيقها ايفان مساندتها في خلافها ضد بطرس . مما اضطرها أخيراً الى الاستسلام في ٧ أيلول من العام نفسه فاعدم تشاموفسكي بعد اعترافه بالمؤامرة . وكذلك اعدم ماتفيف لهرطقته . اما الأمير غالتزين فقد صودرت أملاكه . وجرد من نفوذه ونفي الى

---

(٢) The encyclopedia Americana , Vol. 21 , U.S.A. – 1987 , PP. 804 - 805 .
(٣) Klyuchevsky , OP. Cit. , PP. 16 - 17 .
(١) Robert Danials , Russia , New jersy - 1964 , P. 3 .

بوسنزرسك . وتم الحجر على صوفيا كاسيرة في دير ديفنشي . ورضى ايفان بان يكون مساعداً لأخيه ، الا ان بطرس رفض ذلك ، وأصر على استلام السلطة بمفرده [٢] .

بعد ان استقرت الأمور لصالح القيصر بطرس عزم على السفر لأوربا لاكتساب الخبرات الأوربية ومحاولة تطبيقها في بلاده . فقد كان يملك مشروعاً طموحاً للارتقاء بروسيا وجعلها في مصاف دول أوربا الغربية المتقدمة عليها كثيراً . وبطبيعة الحال أثارت سفرته وإصراره على الإصلاح القوى الرجعية المتنفذة في المجتمع الروسي وفي مقدمتها رجال الدين الذين خشوا على ضياع سلطتهم الروحية أمام إصلاحاتالقيصر فضلاً عن أملاكهم الواسعة غير الشرعية . فحرضوا الفلاحين وعامة الشعب واتهموه بالخروج عن سلطة السيد المسيح (عليه السلام) ، زاعمين صدق نبؤاتهم بان حاكماً سيولد من زانية يقوض البلاد وديانتها ، وانه لا محالة القيصر الحالي . مستغلين التذمر الشعبي من جراء الزيادة في الضرائب التي امر بها بطرس ، وإصراره على ارتداء الزي الجرماني وتعلم اللغات [١] الأجنبية . ولايصال تذمرهم الى مختلف الأقاليم الروسية أصدروا منشوراً بذلك ، مما جاء فيه **" ... هل سمعتم قط ان قيصراً ترك روسيا المقدسة للتجول في البلاد الأجنبية "** [٢] .

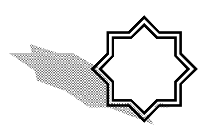
ومما زاد الامر سوءاً تزامن استياء الاكليروس مع تذمر الجيش الروسي لا سيما في شبه جزيرة القرم ، مع قسم اخر منهم كان في بولندا ، فحّملوا النبلاء وحاشية القيصر سبب سوء احوالهم المعيشية وابتعادهم القسري عن عوائلهم في موسكو وغيرها من المدن الروسية . ووسط هذه الازمة ظهرت صوفيا مرة اخرى محرضة المتمردين على الثورة ضد القيصر فبعثت رسالة الى قادة الاسترلتش بيد شقيقتها افذوسيكا

---

(٢) فيشر ، اصول التاريخ الاوربي الحديث ، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى ، القاهرة ـ د ت ، ص ٣٦٥ .

(١) العسلي ، المصدر السابق ، ص ٤١ .

(٢) Daniels , OP. Cit. , P. 5 .



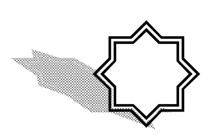
Avthoseka . جاء فيها **" ... انتم تتألمون الان ، ولكن ما تتعرضون له هو مجرد بداية فقط . وسيصير حاكم الى ما هو اكثر سوءاً . فماذا تنتظرون وقد انقطعت الاخبار عن القيصر "** [٣]. وأشيع بين الجند ان بطرس قد قتل على يد الاجانب [٤] . وان النبلاء ينوون قتل ابنه الكسي . وانه يتوجب عليهم الزحف لحماية ولي العهد فتحركت فرق الاسترلتش ، مما اضطر قائدي الجيش النظامي ستيبن Stepen وغوردن Gorden الى صدهم . والتقى الطرفان عند نهر ايسكرا . وطلب منهم غوردن العودة الى مواقعهم . فأجابه الاسترلتش بعريضة شرحوا فيها سوء المعيشة . وما تعرضوا له من اضطهاد وظلم في ازوف ، وبإزاء إصرارهم على المضي نحو موسكو اضطر الجيش النظامي الى صدهم بالمدافع . مما اوقع منهم خسائر جسيمة . ففشلت حركتهم والقي القبض على الكثير من قادتهم [٥] .

وعندما وصلت الأخبار الى القيصر وهو في فينا Vina قطع سفرته الطويلة وعاد مسرعاً الى موسكو حيث وجد ان قادته سيطروا على الأوضاع . الا انه عد عقوباتهم ضد المتمردين كان فيها كثير من التهاون [١] . فتكفل شخصياً بمعاقبة المتمردين .

وفي محاولة لاظهار جدية توجه نحو الإصلاح وعدم تهاونه مع اعدائه ليعطي الجميع اول ملامح الحكم الجديد الذي يسعى الى توطيد أركانه فضلاً عن استغلاله الفرص لتصفية فرق الاسترلتش التي بات وجودها يهدد حكومته لذا قام خلال المدة ٢٦ الى ٣٠ تشرين الأول ١٧٠٥ باعدام اكثر من ١٠٠ الف منهم في الساحة الحمراء وسط دعوات ودموع عوائلهم للعفو عنهم . وقد شمل الاعدام عدداً من القساوسة [٢] . في

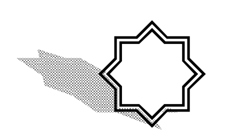
---

(٣) **Andrews , OP. Cit. , P. 40 .**
(٤) **Klychevsky , OP. Cit. , PP. 30 – 31.**
(٥) **Andrews , OP. Cit. , P. 40 .**
(١) **فيشر ، المصدر السابق ، ص ٣٦٩ .**
(٢) **Andrews , OP. Cit. , P. 40 .**



حين سجن شقيقته افذوسيكا مع صوفيا واقام اعمدة حول الدير كتب عليها جرائم صوفيا ضد روسيا والقيصر [٣].

(٣) قلفاط ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٠٣ .

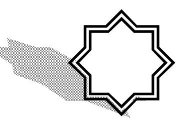


المبحث الثاني

سفارة القيصر بطرس الأكبر العظمى لأوربـــا ١٦٩٧-١٦٩٨

قرر بطرس بعد استياب الأوضاع لصالحه السفر الى أوربا زاعماً السعي لتقوية التحالف المسيحي ضد الدولة العثمانية ، لا سيما بعد استيلائه على قلعة ازوف الحصينة منهم سنة ١٦٩٧ م [١] . وخافياً في الوقت نفسه الاسباب الحقيقية لرحلته والتي في مقدمتها دراسة التطور الأوربي ونقله الى روسيا . فقرر تجهيز سفارة عظمى من كبار مستشاريه وتخفى هو بزي خادم مع جنرالاته الكبار لوفورت والفيكونت الكسيس غليون A. Golovin وحكمدار سيبيريا ، ودونتيس دياك كاتب سر القيصر . وكان مع كل قائد أربعةكتـّاب ، واثنا عشر مديراً وخمسون ضابطاً ، وحسب المصادر بلغ مجموع البعثة اكثر من مائتي رجل [٢] . وقد عهد بإدارة المملكة الى رجلين من اعيان روسيا هما ستركنيف Strkneiv وروما دونسكي Romadonsky . وامرهما بمشاورة أمراء الدولة والمجلس الأعلى في حال وقوع امراً هامٍ في غيابه ، ولكي يضمن جانب الاسترلتش امر بنشرهم على حدود القرم حتى يكونوا بعيداً عن موسكو ويحافظوا على ازوف ويصدوا عنها أي هجمات متوقعة . واقام في موسكو حامية عسكرية من جنود

(١) K. Perry , Modern Europen history . England - 1985 , P. 68 .
(٢) قلفاط ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٨٣ .



غوردن حتى يطمئن على النظام فيها [١] . وقد أضفت التطورات والاضطرابات السياسية والعسكرية في اوربا بعداً مهماً لرحلة بطرس . اما السلطان العثماني مصطفى الثاني ١٦٩٥ - ١٧٠٣ م فقد كان في حالة حرب ضد النمسا بسبب المجر . وفي الوقت نفسه لم يخفِ السلطان قلقه بل مخاوفه من اطماع القيصر الطموح في البحر الاسود اثر استيلائه على قلعة ازوف المهمة في شبه جزيرة القرم الامر الذي شكل انتكاسة خطيرة في صميم السياسة العثمانية التقليدية القائمة على الحرص واعتبار البحر الاسود بحيرة عثمانية [٢] .

وفي الوقت نفسه استولى البنادقة على شبه جزيرة الموره . اما في بولندا فقد اندلعت فيها حرب اشبه ما تكون حرب وراثة على عرش الملك المتوفى جون سوبسكي Jhone Sobieski ١٦٧٤ - ١٦٩٦ بين اقربائه والمتنفذين [٣] . اما السويد القوية فقد زادت التطورات فيها اثر موت ملكها شارل الحادي عشر Charles XI ١٦٥٥ - ١٦٩٧ ، وتولى ابنه القاصر شارل الثاني عشر Charles XII الذي لم يتجاوز عمره ١٥ سنة زادت من اطماع بطرس في الاستيلاء على بحر البلطيق ، دون ان يغفل صعوبة مهمته خاصة وان الدول الكبرى مثل فرنسا وبريطانيا واسبانيا كانت لا تزال متحالفة مع عدوته الدولة العثمانية وفي خلاف مع النمسا . وهو الطامع الى كسبها الى جانبه ضد الباب العالي[٤] .

بدأ بطرس رحلته عام ١٦٩٧ من نوفغورود نحو دول البلطيق استونيا وليفونيا وجذب انتباهه خصوبة الأراضي الليفونية وحصانة قلاعها ، مما اثار طمعه في الاستيلاء عليها . وحاول جاهداً إمكانية اقناع حاكمها بالسماح له والحاشية بالاطلاع

---

(١) ل . ج. تشيني ، تاريخ العالم الغربي ، ترجمة تمجد الدين صفني ناصف ، القاهرة - د ت ، ص ٢٥٢ .
(٢) الفصل الثالث ، ص .
(٣) George Clark , The seventeenth century , London - 1960 , P. 178 .
(٤) Ibid , P . 179.

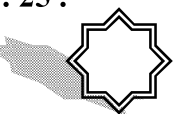
على قلاعها وتحصينها بحجة المشاهدة ، الا ان فطنة الحاكم وتخوفه من إلحاح القيصر المتخفي بزي خادم حال دون تحقيق مآربه [١] .

وصل بعد ذلك الى بروسيا حيث استقبلهم الملك نفسه في قصره ببرلين ، وقد أعجب بطرس بملابس نبلاء بروسيا الفرنسية ، وأقام الملك مأدبة على شرف الوفد الروسي . كتب بطرس في مفكرته انه شعر بالارتباك ولكنه استطاع السيطرة على نفسه . ، وشرب الخمر مع العائلة المالكة واشترك في الحفل الراقص . اما التعلم فلقد تدرب على رمي المدفعية على يد ضابط بروسي برتبة كولونيل ، وان الضابط البروسي قد منحه شهادة تفوق برمي المدفعية [٢] . ومن ثم توجه الى هولندا حيث انقسم الوفد الى قسمين فذهب بعضهم عن طريق برلين - مندنبرغ . والقسم الاخر سار في طريق برلين - هامبورغ – مندان مجتازاً إقليم ويستفاليا وصولاً الى أمستردام . علماً بان بطرس كان قد سبق الوفد بخمسة عشر يوماً وسكن في بداية الامر منزلاً تابع لشركة الهند الشرقية الهولندية المؤسسة في سنة ١٦٠٢ . ومن ثم انتقل الى ساردام Sardam التي كانت مركزاً لبناء السفن . وقام بزيارة مساكن النجارين وتعرف عليهم تمهيداً للعيش معهم وتعلم صنعتهم . وفي ١٦ آب ١٦٩٧ . وصل بقية الوفد الروسي الى أمستردام . وانضم الجميع اليه بما فيهم القيصر . وكتب بطرس انه في يوم ١٧ آب ذهب مع حاشيته الى المسرح لأول مرة لمشاهدة مسرحية كوميدية . وقد أعجب بالعمل المسرحي ودوره في تثقيف المجتمع . وبعد يومين حضر مأدبة وعرض للألعاب النارية . ثم عاد في ٢٠ آب الى ساردام لجمع أدوات النجارة الخاصة بصناعة السفن والتوجه الى أمستردام للعمل على رصيف شركة الهند الشرقية الهولندية وكانت بداية عمله هو بناء سارية لمركب هولندي . ثم عاد الى ساردام حيث اشترى مركباً غير صالح للاستعمال وبدأ

---

(١) علي شعيب ، بطرس الاكبر قيصر روسيا ، بيروت – ١٩٩٢ ، ص ٢٠ .

(٢) Klyucheve Sky , OP. Cit., P. 25 .



بتصليحه بنفسه ، ثم بدأ يتعلم صناعة أجزاء السفن الكبيرة والعمل في معامل الحديد والحبال ومعامل النجارة . ودخل مصانع لعصر الزيوت وصناعة الورق [١] . وعاش مع العمال وتعلم منهم عمل الأسلاك المعدنية . وقد سجل اسمه في سجل العمال باسم بطرس ميخائيل ومنها أرسل الى البطريرك ادريانوس Adrianoss في موسكو رسالة كتب فيها **" ..... اننا نعمل على اتقان فن البحرية ، ومتى نلنا امنيتنا نعود لروسيا لننتصر على اعداء المسيح ، ونطلق برحمته اخوتنا المستعبدين من غير المسيحيين ، ونعيد لهم حريتهم ، وهذا ما سأعمل من اجله حتى اخر يوم من حياتي "** [٢] . وربما مما لا يرقى اليه الشك انه كان يقصد بذلك تحريض الكنيسة للوقوف الى جانبه في صراعه المستقبلي ضد العثمانيين بما يشبه التحالف المقدس واستعمار بقية الشعوب الأوربية باسم الدين للقتال لنيل الشهادة في مشروعه الطموح . كما خصص بطرس وقتاً للذهاب الى امستردام ليحضر دروس في علم التشريح على يد العالم الهولندي الشهير رويش Rowish . وقد شارك في عملية تشريح لطفل متوفى كما تعلم علم التوليد على يد الطبيب برغمستروستان Per Gemstrostan . وفي الأيام الأخيرة من وجوده في هولندا اشترى مخططات لصناعة السفن وحقوق إنتاجها . وبعدها قرر السفر الى انكلترا بناءً على نصيحة احد البحارة الذي اخبره بان التعليم فيها يجري على أساس ثابت وقواعد مبرمجة مما يسمح له باتقان الصناعة خلال اشهر قليلة . فغادر هولندا بعد أربعة اشهر عام ١٦٩٨ ولدى وصوله لندن كان في استقباله وفد ملكي انكليزي ضخم مما اثار إعجابه فأمر بإهدائه ستمائة من جلود الفراء الثمينة [١] . وبالمقابل أهدى الملك الانكليزي وليام الثالث William III ١٦٨٩ - ١٧٠٢ لأعضاء الوفد سلسلة من الذهب لكل فرد ، وثلاث عربات ملكية . وزار بطرس البرلمان الانكليزي حيث انبهر بالفن المعماري

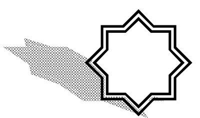
---

(١) علي حيدر سليمان ، المدينة الاوربية الحديثة ، بغداد - ١٩٣٣ ، ص ١٧٨ ؛
J . H. Plumb , The dutch sea born empire 1600 - 1800 , Cambridge - 1965 , P. 108 .

(٢) العسلي ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .



(١) Lisk , OP. Cit. , P. 156.



الجميل لبنايته وقاعته المستديرة . ومن ثم سافر الى الاكسفورد Olxford فأعجب بتنظيماتها وجامعاتها ، كما انه شاهد لأول مرة الهياكل وكيف تصنع في المختبرات . ومنها توجه الى ميناء بورتسموث Portesmoth ليطلع على السفن الحربية ، وفيها أبدى إعجابه بالمسدسات الإنكليزية التي شاهدها في متاحفها . وزيادة على شاهد معركة حربية خادعة (مناورة بحرية) تم تهياتها له شخصياً . كما انه ذهب الى المسرح ، وزار السجن الانكليزي وكتب القيصر في مذكراته **" ... ان أفضل شيء أعجبت به هو البرلمان الانكليزي ، وشاهدة الملك على عرشه ، وبالقرب منه المترجم "** حتى انه قال لأصدقائه **" ... انه من المفيد للملك ان يسمع مواضيع صادقة وهذا ما يجب ان نتعلمه من لانكليز "** . كما اطلع على صناعة الساعات في انكلترا [٢]. وتعاقد مع المهندس البارع فرغون الايقوسيForgon Aliqusy الذي رتب فيما بعد العمليات الحسابية في البلاط الروسي بمعاونة عالمان انكليزيان من مكتب الرياضيات الملكي ، وعلّم القيصر مبادئ علم الفلك ومعرفة الاجرام السماوية . كما تعاقد مع المهندس بري Pree وأرسله الى روسيا لعمل عدد من القناطر والجسور على الأنهر الكبيرة وإيصال بعض الأنهر الأخرى . ومما يسترعي الانتباه في زيارة القيصر الى لندن هو اعطاء تاجرين انكليزيين امتياز حق بيع التبغ في روسيا مقابل خمس عشرة ألف باوند إنكليزي . علماً بان بيع التبغ كان محرماً في روسيا بأمر من البطاركة [١] . وعندما قرر بطرس مغادرة انكلترا امر الملك وليام الثالث بعرض مناورة عسكرية أكراماً له ، وقد أعجب بها جداً . وامتدح التكتيك العسكري الانكليزي بصورة عامة . وبعد ذلك أهداه الملك وليام الثالث اليخت الذي كان يستخدمه خلال سفره للدنمارك . فتوجه القيصر الى النمسا في آذار ١٦٩٨ برفقة ثلاثة ربان سفن وخمسين من الطهاة وأكثر من ثلاثمائة رجل من الفنيين والحرفيين وعشرين قبطاناً وثلاثين جراحاً . في حين أرسل الجنرال

---

(٢) **علي آدهم ، بطرس الاكبر ومكانته في تاريخ روسيا ، مجلة العرب ، العدد ١٣ ، تشرين الثاني ١٩٦٩ ، ص ٦٢ .**

(١) **Utechin , OP. Cit. , P. 417 .**

شرمتوف Shrmutove رئيس البعثة الى روما ونابولي والبندقية ومنها الى جزيرة مالطا لدراسة الفنون العسكرية البحرية والمعارف والرياضيات والتعاقد مع الفنيين والفنانين المهرة في تلك البلاد (٢) .

وصل القيصر الى النمسا ولم ير أي شيء من المناورات الحربية ولكنه اعجب بالموسم الذي يسمى بموسم المضيف والمضيف (٣) .

وكانت حصيلة بطرس من رحلته في أوربا التعاقد مع حوالي الف من العمال والفنيين المهرة الهولنديين في صناعة السفن . فضلاً عن الهاربين من البحارة الايطاليين والفرنسيين والنمساويين كما أرسل لبلاده عده سفن تم صناعتها لحسابه في معامل شركة الهند الشرقية الهولندية ، أسهم في صناعة بعضها بنفسه . وانضمت اليها اخرى بنيت على الطراز العسكري الانكليزي ، وسبق للقيصر وضع خارطة خطيرة بمساعدة الجغرافي براكيل Brakel أوصل فيها بحرقزوين بالبحر الاسود وازوف (١) .

ومن الجدير بالذكر القول ان النجاح الذي لقيه بطرس في رحلته في الجانب المادي ، رافقه فشل في الجانب السياسي ، فقد فشل في إقامة أي تحالف ضد الدولة العثمانية . واكتفى على حد قوله بصداقة الملك الانكليزي بعد ان أيقن بان الانكليز حريصين على مصالحهم في الدولة العثمانية . اما الملك النمساوي فقد اخبره انه لا ينوي

---

(٢) فيليب فانس مير، التاريخ العام للكليات والمدارس العالية، د م ، بيروت - د ت ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

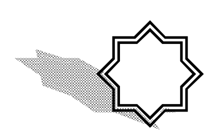
(٣) يشكل الإمبراطور والإمبراطورة وابنهم الاكبر الملقب بملك الرومانيين وبقية اولادهم عائلة يستقبلون الضيوف في كل غرفة رجلاً يتزين بزي احد الشعوب ، وبالقرعة يأخذ كل منهم ورقة من جملة الاوراق مكتوب عليها اسم ذلك الشعب . وقد يتفق ان الاميرة ترتدي زي فلاحة ، ومن ثم يذهبون الى غرفة الرقص يرقصون بتلك الملابس وان يتصرف كل واحد منهم بحسب عادات وتقاليد الشعب الذي يرتدي زيه بقدر المستطاع . للمزيد من المعلومات انظر : -
شعيب ، المصدر السابق ، ص ٢٩ .

(١) M. S. Anderson , Europen in the eighteen century 1713 - 1783 , London - 1971 , PP . 180 – 18 .

محاربة العثمانيين في الوقت الحالي خاصة انه يخطط للاستيلاء على جزيرة كريت الاستراتيجية في البحر المتوسط [٢] .

(٢) في الحقيقة هناك عدة ملاحظات على تصرفات القيصر خلال رحلته لاروبا تمثلت الاولى في انه لم يتخل عن الطريقة الروسية في الحياة او المظهر ، الاكل بيديه وبشراهة على المآدب الملكية مما كان يثير الدهشة والاستغراب . لانه كان كثير السكر حتى انه ربما يفقد صوابه في كثير من الاحيان . اما الثانية فأنه في يومه الاخير في انكلترا اتلف المنزل الذي استأجره له الملك وليام الثالث وتجهيزه بأثاث يليق بمكانة القيصر الروسي . وقد اتلف المنزل والاثاث بالكامل وذلك خلال شربه الخمر بصحبة اصدقائه . وقد طالب صاحب المنزل الحكومة الانكليزية بتعويض مادي عن الاضرار . وعوضه الملك بـ ٣٥٠ باوند انكليزي . للمزيد من المعلومات انظر : -

Klyuchevsky , OP. Cit. , P. 29 .



المبحث الثالث

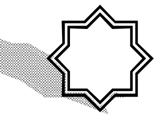
إصلاحات القيصر بطرس الأكبر الداخلية

أ- الإصلاحات العسكرية

تميزت أوربا في الحقبة الممتدة من النصف الثاني من القرن الخامس عشر حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي بتطور الثورة الصناعية وشيوع ما اصطلح عليه بقوى الإنتاج وظهور الصناعات الثقيلة ، فضلاً عن تطور وسائل النقل وامتداد السكك الحديدية مما انعكس على واقع الحكومات الأوربية . بما فيها الحكومة الروسية وقاد ذلك في النهاية الى ظهور ما سمي بالدولة المركزية [١] . دون ان نغفل الإشارة الى العوامل التاريخية التي ساعدت على ظهور الدولة المركزية القيصرية ، واثرها في بناء الجيش والحياة العسكرية الروسية . وكما هو معروف ان قيام الدولة الروسية المركزية حدث نتيجة تطور الاقتصاد الزراعي في روسيا وبسبب الدفاع عن الأراضي الروسية ضد الغزوات التترية والغزوات القادمة من القرم وقازان وغيرها من المقاطعات المجاورة فتم تشكيل قوات مسلحة موحدة الامر الذي ادى الى حصول عدد من المتغيرات المهمة في بناء القوات المسلحة ذلك لان الحكومة الروسية لم تستطع خلال صراعها من اجل توحيد روسيا الاعتماد على القوات المسلحة القديمة المكونة من

---

(١) أ. أ. أستروكوف ، تاريخ فن الحرب ، ترجمة صباح الدين الاتاسي ، ج١ ، دمشق - ١٩٦٨ ، ص ١٣٤ .



قوات كبار الاقطاعيين [١] . وفي النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي اصبحت القوة الأساسية للدولة الروسية تتكون من الملاكين الزراعيين والنبلاء الذين استلموا أراضي مقابل خدماتهم العسكرية . وقد سمح هذا الأسلوب بتشكيل جيش كبير من الملاكين الذين ارتبطت مصالحهم بدعم وتقوية الدولة المركزية التي وزعت عليهم الأراضي ، وكان على الملاك العسكري (الاقطاع العسكري) ، مقابل الأرض المستلمة الالتحاق بكامل عدته العسكرية بالجيش المركزي عند اول اشارة [٢] . وفي عهد القيصر ايفان الرهيب كانت قد أصدرت أوامر بتنظيم الخدمة العسكرية وفيها جدد عدد الخيول التي يقدمها صاحب الأرض استناداً الى الأرض المسلمة اليه ، وفي حالة عدم تنفيذه للأوامر تصادر اقطاعاته الزراعية . وهكذا اصبحت الطبقة المسيطرة تتكون من الملاكين واصحاب العقارات الكبيرة الذين كانوا يدعمون الحكومة المركزية ، وأصبحت هذه الطبقة هي القوة الأساسية للدولة وسندها الاجتماعي . وقد وصل عدد الخيالة المقدمة من هؤلاء الملاكين من ٨٠ الى ١٠٠ الف خيال [٣] .

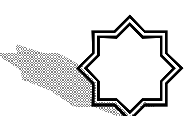
وجرى تشكيل اول قوات منظمة في صفوف الجيش الروسي هي قوة الرماة التي تشكلت لضرورة ايجاد قوات دائمة ومنظمة ومجهزة بالأسلحة النارية لصد الغزوات الخارجية ولاخماد الثورات الفلاحية والفقراء في المدن . وكانت خدمة الرماة العسكرية تمتد مدى الحياة يتوارثها الأبناء عن الآباء ، وبالإضافة الى الخدمة العسكرية كان الرماة يقومون بأعمال اخرى كالأعمال الحرفية الصغيرة والتجارة ، فضلاً عن كونهم أساس الحامية العسكرية في المدن ، ورجال الدرك (الشرطة) ايضاً وكانوا يرتدون لباساً موحداً يتكون من رداء طويل ومن غطاء الرأس وحذاء جلد ويحملون السلاح الناري والسيف والبلطة التي على شكل نصف هلال مركبه على حامل خشبي طويل ، وكان كل

---

(١) Klyuchevsk , OP , cit , P . 30 .

(٢) الكسيف ـ كارتسوف ، المصدر السابق ، ص ٣٥ .

(٣) Troyat , OP. Cit. , P. 63 .



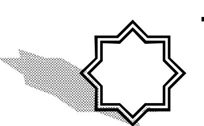
فوج من الرماة يملك من ٦ الى ٨ مدافع وبلغ تعدادهم في القرن السابع عشر حوالي ٤٠ الف رجل [١] .

ومن التشكيلات العسكرية الاخرى التي ظهرت في القرن الخامس عشر الميلادي قوة القوزاق وهي قوات دائمة تقطن في المدن الروسية الحدودية ، وتعمل الى جانب الحاميات العسكرية ، وبطبيعة الحال تختلف هذه القوات عن قوات القوزاق العاملة في حوض الفولغا والدون والجزء الاسفل من الدنيبر التي ظهرت في القرن الخامس عشر الميلادي [٢] .

وفي منتصف القرن السادس عشر الميلادي ونتيجة للتدابير التنظيمية العسكرية اصبحت المدفعية صنفاً مستقلاً في القوات المسلحة ، وكانت المدفعية الروسية هي الأقوى والأكثر تطوراً . وكان الحرفيون الروس اول من اخترع المدافع المحلزنه وكتلة الارتاج في القرن السادس عشر الميلادي . وقد صنعت ايضاً مدافع ميدانية خفيفة وأدخلت في تسليح الأفواج مباشرة ولأول مرة في القرن السادس عشر . وفي هذه الحقبة ايضاً تم تحسين الأسلحة النارية اليدوية ، وأصبح نظام الاشعال فيها ليس عن طريق الفتيل كما كان في السابق بل باستخدام الحجر الصوان [٣] .

والملاحظة المهمة التي تستند الى تلك الوقائع المذكورة سلفاً هي ان التنظيمات القتالية للقوات الروسية ، كانت في منتصف القرن السادس عشر ، بدأت تأخذ طريقها الى القوات المرابطة على الحدود الروسية والمحاذية للدول المجاورة التي كانت على عداء مع روسيا . مما الزم المخططين العسكريين الى ايجاد ما يسمى بالتكتيك الخطي الذي يضمن حماية الجنود الروس في جبهات القتال [١] . ومن جانب اخر أدى التطور في صناعة المدفعية الى أيجاد صنف الهندسة العسكرية التي كان لها الأكبر في إيجاد

(١) ستروكوف ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .
(٢) Alexeyev , OP , cit , PP . 19 - 20 .
(٣) العسلي ، المصدر السابق ، ص ١١٠ .
(١) ستروكوف ، المصدر السابق ، ص ١٤٢ .



العوامل المساعدة لاقتحام القلاع عبر إيجاد الأنفاق باستخدام البارود لفتح الممرات وتهيئة القوات الخاصة المدربة على التفجير كما استخدمت وسائط الحماية في المعارك ، والمؤلفة من تروس خشبية متنقلة تحمل صيفاً على العربات ، وشتاءً على الزحافات وتحت حماية هذه التروس كان الرماة والمدفعيون يقومون بالرمي . كما تحسنت في هذه المدة أساليب التدريب اذ كان الرماة والمدفعيون يقومون بالرمايات التدريبية المختلفة ايام السلم [٢] . وبدأت هذه السياسة بالتطور في القرن السابع عشر الميلادي الذي شهد ايضاً التطور الصناعي الروسي (المانيفا كتوره [*]) . وتجلت آثاره في مجمل الحياة الاقتصادية الروسية . ومما لا شك فيه ان هذا التطور كانت له مردوداته الايجابية على المؤسسة العسكرية الروسية وهو ما جعل القيصر يفكر جدياً بإيجاد نافذه على الغرب من خلال بحر البلطيق ، ولهذا دخل في حربه ضد السويد والتي سميت بحرب الشمال ١٧٠٠ - ١٧٢١ وخلال سنواتها الطويلة وضعت الخطط المختلفة لإعادة تنظيم القوات القيصرية ومن الخطط (التكتيك) العسكرية الجديدة . ويبدو ان للقيصر بطرس دوراً في ذلك مما جعل بعض المؤرخين يعدونه قائداً عسكرياً (محنكاً) بل والقائد الأول في عصره (وهو أمر وان كانت فيه شيء من المبالغة) ولكنهم استندوا الى اهمية دوره المتعاظم سيما وانه وضع بعض الكتيبات النظرية عن بعض الأمور العسكرية وأبرزها كراس نظام القتال ١٧١٦ او ما عرف اصطلاحاً بنظام بطرس العظيم [٣] . ومع نهاية القرن السابع عشر الميلادي بدأت تظهر التشكيلات العسكرية النظامية في الجيش الروسي مع الأفواج النظامية الأولى التي أخذت شكلها النهائي سنة ١٧٠٥ خاصة بعد صدور مراسيم الخدمة العسكرية الالزامية التي دعت الجنود للخدمة مدى الحياة [١] . كما ظهر تنظيم الخيالة المعروفة بـ دراجون (التنين)

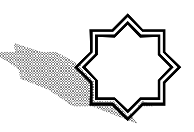
---

(٢) العسلي ، المصدر السابق ، ص ١١١ .

(*) تطلق على المعامل المستندة على التكنيك اليدوي .

(٣) Clark , OP. Cit. , P. 22 .

(١) Tikhomirovis , OP. Cit. P. 214 .



ليحل محل تشكيلات النبلاء الفرسان [٢] . علماً بان التجنيد الالزامي كان قد طبق أول الامر على أساس عدد الأشخاص في البيت الواحد . خاصة وانه شمل جميع السكان الروس باستثناء النبلاء . اذ كان لهم نظامهم الخاص كما اعفي رجال الدين من الخدمة . وكان يجري اختيار الجنود مرة واحدة كل عام [٣] . ولابد من القول ان الحديث عن تشكيلات الجيش الروسي وتنظيماته لا تعني ان الحياة فيه كانت سهلة او نموذجية . فالظلم وعدم المساواة كانت القاسم المشترك فيه لجميع المجندين من طبقة الاقنان . بينما استأثر الضباط من النبلاء بالامتيازات وحدهم ، وقد أضافت كثرة الحروب وسوء الأحوال المعاشية للفلاحين وفقراء المدن اعباءً جديدة [٤] .

ومن ابرز التنظيمات التي طبقها الجيش القيصري ابان حرب الشمال . تقسيم الجيش الى فرق وألوية ، والتي ظلت خاضعة للزيادة والنقصان حسب مقتضيات ظروف الحرب خاصة وان الأفواج ظلت ثابتة وتكونت الفرقة من ثلاثة ألوية من المشاة والخيالة او من المشاة فقط . ولم يكن عدد الفرق في الجيش ثابتاً ، وكذلك ملاكات الألوية التي طالما تألفت من فوجي او اكثر . وحسب ملاك سنة ١٧١١ م فقد حددت قوات المشاة بـ ٤٢ فوجاً اما قبل ذلك التاريخ بعدة سنوات فقد شكلت الحكومة القيصرية ما يسمى بفيلق الاحتياط . وقد أضاف عمقاً استراتيجياً للقوات النظامية في الخدمة ، والتي شهدت بمرور الوقت زيادة جديدة في تشكيلاتها فأصبح الفوج متكوناً من كتيبتين ، وكل كتيبة من أربع سرايا فضلاً عن تسعة أفواج جديدة . مما زاد عدد المشاة الى ٧٠

---

(٢) عبد المجيد نعني ، اوربا في بعض الازمنه الحديثة والمعاصرة ١٤٥٣ ـ ١٨٤٨ م ، بيروت ـ ١٩٨١ ، ص ١٦٩ .

(٣) شميدت ، المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(٤) ماتيو اندرسون ، تاريخ القرن الثامن عشر في اوربا ، ترجمة نور الدين حاطوم ، دمشق ـ ١٩٨١ ، ص ١٩٩ ؛ شميدت ، المصدر السابق ، ص ٥٩ .

الف جندياً [١] . وقد جهزوا بالأسلحة النارية المتطورة (حسب قياسات تلك المدة) بينما أضيفت اليها الحربة المثلثة الأضلاع خاصة لتسليح فرق الخيالة [٢] .

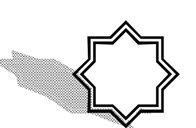
ويمكننا كذلك معاينة بعض أقسام التنظيمات الأخرى مثل المدفعية التي كانت تتألف من عدة اقسام فكانت مدفعية الأفواج ومدفعية الميدان ومدفعية الحصار ومدفعية القلاع . وكان قد ادخل في تسليحها ثلاثة انواع من المدافع وهي المدافع الطويلة والقصيرة والهاونات . وقد صغرت تصاميم جميع الأنواع مما زاد في سهولة حركاتها . وكان لكل نوع عيار محدد بدقة ، وتجدر الإشارة هنا الى ان الحاجة للمدافع كان بسبب طول حرب الشمال مما دفع السلطات القيصرية الى صهر أجراس الكنائس وتصنيع المدافع من حديدها [٣] .

وفي الوقت الذي كانت فيه الإجراءات العسكرية لتطوير القوات البرية جارية وبشدة .فأن السلطات الروسية لم تهمل أيضاً اهتمامها بإنشاء الأسطول والقوات البحرية وتطويرهما ، لا سيما وان حرب الشمال ضد السويد حتمت ذلك الامر . فمع نهاية الحرب أي في سنة ١٧٢٥م بلغ عدد قطع الأسطول في بحر البلطيق حوالي ٤٠ مركباً عادياً وعشرة فرقاطات و١٠٠ زورق صغير ، وفي بحر قزوين بلغ عدد الزوارق ١٠٠ زورق مختلفة الحجم . كما أنشأت قواعد بحرية في بحر البلطيق وفي مدخل المضيق الفلندي [٤] .

أما الاستراتيجية التي اعتمدت عليها القوات القيصرية فقد لخصها قائدها العام بطرس الأكبر بقوله **" ... قاتل عدوك في أرضه لا في أرضك "** [١] . ولاجل إدامة تلك القوات الكبيرة البرية والبحرية سواء أكان ذلك في جبهات القتال ام في معسكراتها ، فقد

---

(١) ستروكوف ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ .
(٢) Lee , OP. Cit. , P. 41 .
(٣) سليمان ، المصدر السابق ، ص ١٧٩ .
(٤) Clark , OP. Cit. , P. 122 .؛ Utechin , OP. Cit. , P. 36.
(١) ستراكوف ، المصدر السابق ، ص ١٥٦ .



أوجدت وحدات التموين التي هي عبارة عن سلسلة من القواعد التموينية ، تقدم خدماتها على أساس الاستفادة من تجهيزات وغلال الأراضي المحتلة فضلاً عن الإنتاج الداخلي ، وتشير بعض المصادر الى ان الأفواج الروسية المقاتلة كانت تخزن تموينا يكفيها لمدة شهر . وهي فترة ليست بالقليلة تبعاً لظروف ذلك الوقت [٢] . وعلاوة على ذلك ، فقد اهتم القيصر بالزي العسكري والانضباط كما انه أصدر أول وسام عسكري روسي منحه للضباط والجنود الكفوئين [٣] .

ولقد برز في عهد بطرس عدد من الشخصيات العسكرية الروسية بينهم الكسندر مينشكف A . Menchkiv [*] الذي أصبح عام ١٧١٨وزيراً للحربية . وترأس الحكومة ما بين عامي ١٧٢٢ - ١٧٢٣م . ومن الضباط أيضاً باريس شيرمتف A. cheirmtiv قائد الجيش الروسي في معاركه مع السويديين . ولقد كان القيصر يعتمد عليه في قمع التمردات والانتفاضات الفلاحية . ومنهم ايضاً فيدور براكسين V. Brakscin [*] قائد الأسطول الروسي ، والجنرال بافل يجوجسكي P. Yogesky [١] .

ب- الإصلاحات الإدارية

---

[٢] المصدر نفسه ، ص ١٥٦ .

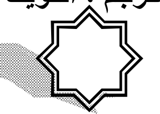
[٣] اسماعيل ياغي - عبد الفتاح حسن ابو عيله ، تاريخ اوربا الحديث والمعاصر ، الرياض - ١٩٧٩ ، ص ٣٣٥ .

[*] بدأ حياته ببيع الشطائر في اسواق موسكو ، وترقى لاعلى المناصب في مدرسة الالعاب العسكرية حتى اصبح اليد اليمنى للقيصر بطرس . ولكنه كان يسيء استخدام سلطاته لكسب المال . وكان القيصر كثيراً ما يعاقبه لكن لا يستبعده لثقته فيه .

Tikhomirovis , OP , cit , P. 218 .

[*] هو احد مؤسسي الاسطول الروسي في بحر البلطيق .وعين محافظاً لمنطقة البلطيق ووزيراً للحربية . ولكن ممتلكاته صودرت نتيجة للاختلاسات وكثيراً ما كان يعفو عنه القيصر .

[١] الكسي تولستوي ، بطرس الاول ، بدون مترجم ، الكويت - ١٩٩٧ ، ص ١٩ - ٢١ .

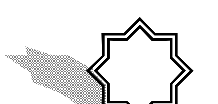


كان ظهور اول جهاز إداري للإدارة المركزية والمحلية قد جرى في عهد ايفان الثالث Ivan III ١٤٦٢ - ١٥٠٥ م . لا سيما بعد إعلان دولة موسكو الموحدة حسب ما تذكره الوثائق الرسمية . كما ان أول مجلس أنشأه بويار موسكو ، ولكن اللافت للنظر ان القيصر لم يكن يأخذ بقراراته في الأمور الحاسمة بل كان يستشير بعض مقربيه . ونمت في عهده بدايات أجهزة الإدارة المركزية ، التي تحولت الى نظام كامل من الدوائر التي تقوم بإدارة شؤون الدولة العامة فكانت دائرة السفارات تدير شؤون السياسة الخارجية ، اما دوائر الشؤون العسكرية والقناصة والمدفعية فأنها تدير شؤون الجيش . واما دائرة العقارات فكانت تمارس توزيع العقارات الموهوبة على الدفوريان . كما كانت هناك دائرة الارقاء تدير شؤون الفلاحين الارقاء ، ودائرة الدخل الكبير التي تمارس جبايته الضرائب . وعندما التحقت دولة الخانات فازان وسيبريا بروسيا أنشأت دائرة قصر قازان ودائرة شؤون سيبيريا وكانت هذه الدوائر في الوقت نفسه عبارة عن هيئات قضائية للسكان تشرف على إدارتهم لذلك كان رؤساء الدوائر يسمون قضاة . وكان قضاة الدوائر عادةً من البويار باستثناء عدد قليل جداً . علماً بان من يقوم بواجبات الدوائر هم الموظفون والكتبة [٢] .

ولقد ساعد أصلاح الإدارة المحلية على تعزيز الحكم المطلق ، ففي السابق لم يكن خلفاء القيصر يستلمون مرتباتهم من الدولة بل كانوا يقتاتون على حساب الضرائب التي يجبونها من السكان . وقد ألغي هذه الأسلوب في حكم ايفان الرهيب Ivan IIII ١٥٠٥ - ١٥٨٤ م . واحيلت جباية الضرائب والاتاوات وإدارة المحاكم في الأرياف على عمدات الدوائر الريفية . اما في المدن فإلى الرؤساء المنتخبين . وبذلك اصبح القيصر يحصل على مبالغ اكثر لسد نفقات الجيش والدوائر. وحل القادة العسكريون محل

---

(٢) حاطوم ، المصدر السابق ، ص ٣٣٢ .



المقتتاتين في استلام الرواتب من خزينة الدولة [١]. وزيادة على ذلك فأنه في عهد ايفان الرهيب أسس مجمع الأقاليم السابق الذكر. وبعد منتصف القرن السادس عشر اشتدت التناقضات داخل طبقة الاقطاعيين اذ لم يكونوا راضيين عن ارتفاع شأن الدفوريان، وما حصلوا عليه من امتيازات من القيصر. فبدأوا يثيرون غضبه فأعدم ١٥٦٥ الكثير منهم بتهمة الخيانة ونفي الكثير، ثم أسس ما عرف بـ(الاوبريتشنينا) [*] . وتتركز مناطقه في الشمال والوسط الروسي . والتي هي اكثر تطوراً اقتصادياً. اما الاراضي الاخرى في البلاد فاطلق عليها اسم زميتشينا. وأسس جيش لها من الدفوريان ، فجرى ابعاد الأمراء والبويار من أراضي الاوبريتشنينا واسكنهم في أراضي الزميتيشنا . اما الأراضي المصادرة فقد وزعت على الملاكين العقاريين [٢] .

اما في القرن السابع عشر الميلادي فقد جرت محاولات لتقوية جهاز الدولة فتم اثناء حكم القيصر الكسي ميخائيلوفيتش أنشاء دائرة خاصة للقضايا السرية مع المكتب التابع للقيصر شخصياً ، وكانت هذه الدائرة تراقب أعمال جميع الدوائر الاخرى وإدارات القواد في أقاليمهم . الا ان هذه الدوائر الغيت بعد وفاة الكسي ميخائيلوفتيش [١] . كما كتب آدم اوليياري A. Oliary سفير هولتشينا الذي زار موسكو في عهد القيصر الكسي ميخائيلوفيتش **" ... وفيما يخص الحكم عند الروس فهو ملكي مطلق فان القيصر يدير وحده البلاد برمتها ، اما جميع الرعية من الدفوريان والأمراء وأبناء**

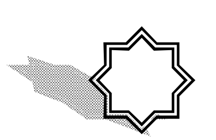
---

(١) **Troyat , OP. Cit. , P. 55 - 56 ;**
يبيانوف ، المصدر السابق ، ص ١١٦ .

(*) الكلمة مشتقه من اوبريتش بالروسية تعني باستثناء . ولقد كان رجال الاوبرتشينا يقسمون للقيصر بالطاعة والولاء والقضاء على اعدائه ، وكانوا يرتدون بزة سوداء وقبعة ويحملون جعبة من السهام . ويحملون مكنسة ترمز الى استعدادهم لكنس الخيانة في البلاد ، ولقد بلغ قمة استهتارهم في الفترة ١٥٦٥ - ١٥٧٢ . عندما شن ايفان الرهيب حملته التأديبية على سكان نوفغورود عام ١٥٧٠ م اذ قتل الاوبرتشينيا الالاف من السكان خلال شهر نصف مع نهب ممتلكاتهم . للمزيد من التفاصيل انظر : -
Troyat , OP. Cit. , PP. 128 - 129 .

(٢) جان بيرنجيه واخرون ، اوربا منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر ، ترجمة وجيه البعيني ، ج ٢ ، بيروت ـ ١٩٩٥ ، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ .

(١) يبيانوف ، المصدر السابق ، ص ١٦٧ .



الشعب البسطاء ، فما هم الا ارقاء وعبيد عنده " [٢] . فكان القيصر يدير الجيش ويصدر القوانين مثلما يدير الامور المالية والقضاء والإدارة . وكان من أعضاء دوما البويار ممثلوا الارستقراطية وكبار الموطنين . الا ان القيصر كان يعالج اهم قضايا الدولة مع المقربين والمستشارين من أقربائه وأصدقائه الذين شكل منهم دوما سرية اما نظام الدوائر فلقد تطور في عهده حتى وصل عدد الدوائر الى ٤٥ دائرة ولم يتغير شيء في النظام الإداري المحلي والمركزي حتى اعتلاء القيصر بطرس الاكبر العرش عام ١٦٨٩ [٣] .

وفي عهد القيصر بطرس الأكبر تأسس نظام جديد لمؤسسات الدولة ، وتشكل الحكم المطلق في روسيا بصورة نهائية . اذ استطاع القيصر باعتماده على الدفوريان ان يصفي مجلس دوما البويار وان يعلن نفسه قيصراً مطلقاً بعد ان اتخذ لقب إمبراطور. ونص القانون (ان إمبراطور عموم روسيا هو ملك مطلق الصلاحية وغير مسؤول . وامر الله نفسه بطاعة سلطته العليا ليس خشية منها قط . بل وانصاتاً لصوت الضمير) [١] وبمرسوم عام ١٧١١ تم تشكيل مجلس السينات [*] بوصفه جهازاً إدارياً اعلى يختلف عن مجلس دوما البويار بكونه جهاز بيروقراطياً ينفذ اوامر الإمبراطور . وكان مجلس السينات يقوم بمراقبة الإدارة المركزية والمحلية ، وكذلك جمع وصرف الضرائب فضلاً عن وضع القوانين وتنفيذ مراسيم الإمبراطور . وكان المدعي العام يراقب اعمال مجلس السينات ومكتبه فهو عين الإمبراطور في هذا المجلس [٢] .

---

(٢) Tikhomirovis , OP. Cit. , PP. 212 - 213 .

(٣) B. D. Datsyuk , Istoria S.S.S.R, Chast 1 , Moskva - 1973 , P. 86 .

(١) Andrews , OP. Cit. , P. 41 .

(*) مجلس الشيوخ .

(٢) بروي ، تاريخ الحضارات العام ، ج٤ ، ص ٣٧٧ ؛ نعنعي ، المصدر السابق ، ص ١٧٠ .

وفي عام ١٧١٨ تأسست الهيئات التي حلت محل الدوائر ، وأصبح لكل هيئة مكتب شؤون يدير فرعاً من فروع إدارة الدولة . فكانت هيئة الشؤون الخارجية تدير شؤون السياسة الخارجية ، والهيئة العسكرية تدير شؤون الجيش البري ، وهيئة الامبرالية تدير شؤون الأسطول البري ، وهيئة العدلية تدير شؤون المحاكم المدنية والجنائية ، وهيئة التعدين وهيئة المانيفا كتورات تدير شؤون صناعة التعدين والمصانع . وكان يرأس كل هيئة رئيس ونائب رئيس وبضعة مستشارين وكانت جميع المسائل تحل ليس من الرئيس وحده . بل بالتشاور بين جميع أعضاء الهيئة . وبغية ادارة اعمال الهيئات ومكاتبها صدرت اللائحة العامة ولائحة هيئة المصانع [٣] .

وكانت البلاد قد قسمت منذ عام ١٧٠٨ على ثماني محافظات ، والمحافظات مقسمة على أقضية ثم أقاليم . وكان المحافظون يعينون بآمر القيصر ، وكانت تتركز في ايدي المحافظين السلطة الإدارية والعسكرية والقضائية ، وتشكلت هيئة روسيا الصغرى لادارة شؤون اوكرانيا يرأسها ضابط قيصري وهي تراقب الغيتمان [*] . وبعد موت الغيتمان سكوربادسكي S. Padiskee عام ١٧٢٢ م منعت انتخابات غيتمان جديد وعين غيتمان مؤقت [١] .

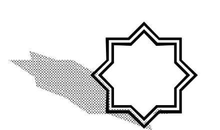
وزيادة على ذلك أسس القيصر بطرس الاكبر في موسكو مجلس العمدات . اما في مدن الأرياف فأسس وظيفة العمدات المنتخبين . وفي عام ١٧٢٠ م أسس في بطرسبورغ المأمورية الرئيسية التي كانت تخضع لها كل المأموريات المحلية وكان رؤساؤها من العمدات والمستشارين المنتخبين من بين سكان المدن . وقسّم المواطنين

---

(٣) الكسييف واخرون ، المصدر السابق ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(*) هو قائد الجيش في اوكرانيا وبولونيا . وفي القرنيين السادس عشر والسابع عشر كان الغيتمان في اوكرانيا هو الرئيس المنتخب لقوزاق زابوروجيه وقد العني فيما بعد . انظر : بيبانوف ، المصدر السابق ، ص ١٥٣ (هـ) .

(١) شميدت ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .

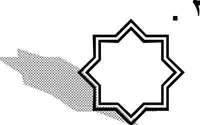


على قسمين الأول (المنتظمون) وينقسمون على طائفتين تضم الأولى الأغنياء وأصحاب المهن الحرة كالأطباء والصيادلة والفنانين . والطائفة الثانية تضم الحرفيين والباعة القاطنين في ورش ودكاكين. اما القسم الثاني فهم الرعاع الذين يعملون بالأجرة ولا يتمتعون بأي حقوق . وساعد الإصلاح الخاص بالمدن على النمو الاقتصادي ، وزيادة عدد السكان اذ سمح القانون لجميع الذين يمارسون الصناعة الحرفية لأغراض البيع او لصالح أناس آخرين ، بالانتقال الى المدن والانتماء الى الورشات. كما سهـّل للناس من مختلف الفئات المتاجرة الحرة والمقترنة بتشجعهم على الهجرة الى المدن . وحددت هذه الإجراءات جزئياً بند قانون المجمع لعام ١٦٤٩. الذي اوجب على الفلاحين بيع منتوجاتهم في المدن بعرباتهم فقط [٢] . كما انشأ القيصر نظاماً جديداً للبريد [٣] .

فضلاً عن اعتماد القيصر على البوليس السري في تقوية نظام الأجهزة المركزية اذ كانت قضايا المجرمين بحق الدولة كالمشاركة في التمردات والثورات ، والمؤامرات السياسية ، وقضايا شتم صاحب الجلالة من اختصاص دائرة برابراجنكسيه ثم المكتب السري ، وكانا تحت أشراف الإمبراطور نفسه [١]. ومن الشخصيات الادارية التي برزت في عهد القيصر بطرس الأكبر البرنس فيدور رمدانوفسكي V. Rmdanovsky الذي تولى منصب رئيس البوليس السري ، وتولى شؤون البلاد عند غياب القيصر في رحلته الأولى الى اوربا [٢] .

---

[٢] يبيانوف ، المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .
[٣] مير ، المصدر السابق ، ص ٣٧ .
[١] يبيانوف ، المصدر السابق ، ص ٢١٧ .
[٢] تالستوي ، المصدر السابق ، ص ١٩ ـ ٢٠ .



ج- الإصلاحات الاقتصادية

تميز القرن السابع عشر بمتابعة نمو الاقتصاد الاقطاعي وعلاقات القنانة ، ودخلت روسيا مرحلة جديدة فتطورت في البلاد العلاقات البضائعية - النقدية فبدأت تتكون سوق واحدة لعموم روسيا،وعلى هذا الأساس الاقتصادي حدث اندماج للأراضي والمناطق والامارات المتفرقة في وحدة واحدة . وادى اشتداد الاضطهاد الاقطاعي في المدينة والقرية الى اشتداد حدة الصراع الطبقي بصورة كبيرة . فكان القرن السابع عشر الميلادي في تاريخ روسيا عصر المعارك الطبقية بين الفلاح والاقنان من جهة والقيصر والملاكين من جهة اخرى (١) .

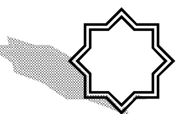
١- الزراعة والفلاح والقنانة (*)

ظلت الزراعة في القرن السابع عشر الميلادي هي أساس الاقتصاد الوطني الروسي وشكل الفلاحون القسم الاكبر من السكان ففلاحوا الأراضي السوداء (التابعون للدولة) كانوا يشكلون اغلبية سكان المناطق الشمالية ، وبعض اطراف البلاد الجنوبية وكان سكان الخراج ونعني بهم فلاحي مناطق الفولغا والاورال وسيبيريا من غير الروس يشكلون قسماً كبيراً من فلاحي روسيا . وأصبحت الدورة الثلاثية مع التسميد اسلوب الزراعة السائد في الاقضية الوسطى . اما مناطق الغابات فكان على الفلاحين ان يقطعوا الاشجار ويحرقوها بغية الحصول على الأراضي الصالحة للزراعة . وفي السهوب والأراضي البكر استعمل أسلوب الزراعة مع ابقاء الأراضي التي نفذت

---

(١) Tikhomirovis , OP. Cit. , PP. 209 - 212 .

(*) الفلاح الحر هو من يأخذ قطعة من الارض يزرعها ويعيش من دخلها مع اسرته ويقدم ايجار للمالك نقداً او عيناً . وهو لا يلزم بالعمل عند المالك . اما الفلاح القن فهو يأخذ قطعة ارض يعيش منها ، ويدفع ايجار ويعمل لصالح المالك اربعة ايام او خمسة . للمزيد من التفاصيل انظر : -
امين مصطفى - احمد عزت عبد الكريم ، تاريخ اوربا الاقتصادي ، مصر - ١٩٥٤ ، ص ٢٤٥ .



خصوبتها للاستراحة مدة عدة سنوات . وبالرغم من تأخر التكنيك الزراعي والوسائل الزراعية فقد ازداد الإنتاج الزراعي في القرن السابع عشر وكانت هذه الزيادة نتيجة لاستصلاح الأراضي الجديدة في اطراف البلاد كسيبيريا ، ونتيجة لاشتداد استغلال الاقطاعيين للفلاحين (١) .

اما القنانة فلقد كان هناك اضطهاد للاقنان نتيجة نمو العلاقات التجارية فالاقطاعيون الذين حصلوا على امكانات واسعة لبيع المنتوجات الزراعية في السوق وكانوا يطمحون الى زيادة مداخيل ممتلكاتهم لذا وسعوا أراضيهم المحروثة على حساب قطع الفلاحين وزادوا من الضرائب العينية . كما انهم انشأوا في املاكهم مصانع للنبيذ ولإنتاج البوتاسة(*) والقطران والقار والتيل (**) والجلود المدبوغة وصوف الغنم والزبده والشحم وكل المنتوجات التي كانت تطلبها الاسواق الداخلية . فأصبحت هذه المشاريع تشكل عبئاً ثقيلاً على الفلاحين. فهرب الكثير منهم الى الفولغا وسيبيريا . ولقد اشتدت وطأة نظام القنانة في القرن السابع عشر فلقد وزع القياصرة الاوائل من اسرة رومانوف على الدفوريان عشرات الآلاف من احواش الفلاحين التابعين للقيصر والحكومة ، وبالتدرج أصبح حق التملك يأخذ صفة الوراثية فأصبح من حق الدفوريان بيع او شراء واهداء عقاراتهم والفلاحين الذين يعيشون فيها . وكانوا الفلاحون الذين عارضوا ولم ينفذوا اوامر الملاك العقاري يضربون بالسياط دون رحمة ويغرمون مادياً. كما انهم يقيدون بالسلاسل وينفون الى القرى البعيدة ويلقون في سجن الملاك العقاري لابسط الجرائم والذنوب . ووسع الملاكون العقاريون من عمل الاقنان من النساء والأطفال . ففرقوا العائلة الفلاحية وفصلوا بين الزوج وزوجته وبين الأطفال ووالديهم ، وعقدوا

(١) **حاطوم ، المصدر السابق ، ص ٣٢٣ .**

(*) **البوتاسة : ملح قوي كان يستخرج من فحم الخشب . ويستعمل في صناعة الصابون وانتاج الزجاج .**

(**) **التيل : الياف من القشور الخشنة . وتستخرج من عيدان القنب . وتصنع من التيل الحبال وقماش الاكياس وغيرها .**

قران الفتيان الفلاحين بالقوة حسب قوائم موضوعة سابقاً [١] . وفي منتصف القرن السابع عشر تم استبعاد الفلاحين نهائياً بعد اصدار قوانين المجمع ١٦٤٩. التي الغت اعوام الحرام التي خصصها القانون في السابق للقبض على الفلاحين الهاربين . وسمح للاقطاعيين جميعهم بالبحث عن فلاحيهم واستعادتهم خلال اجل غير مسمى وشمل هذا فلاحي القيصر والأراضي الحكومية . وهكذا توطد نظام القنانة نهائياً في جميع الأراضي الروسية . وأصبح الفلاحون المملكون تابعين لأسيادهم الاقطاعيين والملاكين العقاريين الى الابد كما ان القانون فرض أشد العقوبات في حالة تمرد الفلاحين والاقنان لدرجة الاعدام [٢] .

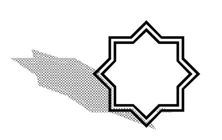
ولم يكن الفلاح الروسي اوفر حظاً في عهد القيصر بطرس الأكبر اذ فرضت عليه ضرائب من اجل تمويل الجيش والأسطول فضلاً عن الضغط المستمر في العمل من اجل توسيع رقعة الأراضي الزراعية . كما اتسع نظام رقيق الأرض . وفرضت القوانين الصارمة لتطبيق ذلك حتى أصبح الفلاح في أراضي الدولة اشبه بعبيد الأرض . كما امتد قانون خدمة الأرض امر العبودية الى طبقات جديدة من الفلاحين الأحرار . وقد تطورت في عهد بطرس الاكبر زراعة التبغ والكتان ، وجرى تأسيس مراكز لتربية الخيول الأصيلة علاوة على ومرابع لتوليد الأغنام الجيدة والمواشي الحلوبة . غير ان سيطرة القنانة وانشغال اعداد كبيرة من الفلاحين في أعمال البناء والالتحاق في الجيش تركا اثراً بالغاً في حالة القرية الروسية فكان كثيراً ما تهمل الأراضي الزراعية من اجل الحرب او البناء على الرغم من ان بطرس قد وزع على الملاكين ١٧٨.٠٠٠ قن خلال فترة حكمه [٣] .

---

(١) يبيانوف ، المصدر السابق ، ص ١٦١ ـ ١٦٢ .

(٢) اندرسون ، المصدر السابق ، ص ٣١٦ ؛ الكسييف وكارتسوف ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٣) اكاديمية العلوم السوفيتية ، المصدر السابق ، ص ٢١١ .



٢ ـ التجـــــارة

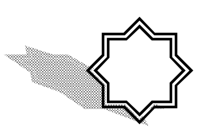
كان الفقر السمة المميزة للاقطاع الروسي . ولقد عبر هذا الفقر عن نفسه اصدق تعبير بأنعدام المدن التجارية في القرون الوسطى التي تشكل مركزاً للحرفين والتجار . ولم تستطع الحرفية في روسيا التخلص من علاقتها الوثيقة مع الزراعة واحتفظت بصفة الصناعات الصغيرة المحلية ، وكانت المدن الروسية مراكز إدارية وعسكرية وتجارية ومناطق سكن يعيش فيها النبلاء لذلك فانها كانت مراكز استهلاك لا انتاج . والتاجر الروسي يلعب دور الوسيط بين القرية الروسية والتاجر الأجنبي [١] .

اما في القرن السابع عشر فلقد كانت في روسيا اكثر من ٢٠٠ مدينة من غير مدن اوكرانيا وسيبيريا . وكانت موسكو اكبر مركز تجاري وصناعي . مع احتفاظها بطابعها الاقطاعي . ولقد اقام في المدن الروسية تجار وحرفيون من بلدان الشرق والغرب ففي استراخان مثلاً انشأ التجار الهنود الحوش الهندي الكبير . وفي موسكو وميناء اركانجل ظهرت دور الضيافة حيث كان دائماً يعيش تجار من انكلترا والسويد وهولندا وإيران . وعاش في موسكو من اذربيجان واوكرانيا وبلا روسيا . واشتد بصورة ملحوظة تباين سكان المدن من حيث التملك فشكل القسم الأكبر من سكان المدن اناس حل بهم الخراب وكانوا يقتاتون من أي عمل شاق . اما التجار الكبار فكانوا ينتمون الى (جمعيات المئات) ذات الامتيازات وكان أغنياؤهم يشكلون فئة خاصة تتمتع باكبر الامتيازات تسمى بـ (الضيوف) وبعد هذه الفئة يأتي تجار (مئة الضيافة) . و (مئة الاقمشة) [٢] .



[١] ليون تروتسكي ، تاريخ الثورة الروسية ، ترجمة اكرم ديري – الهيثم الايوبي ، بيروت ، د ت ، ص ٤٨.

[٢] يبيانوف ، المصدر السابق ، ص ١٦٥ .



وازداد في القرن السابع عشر التبادل التجاري بين مختلف مناطق روسيا كما نمت اسواق المدن والارياف ، وكانت من اهم بضائع التجارة الداخلية الحبوب والملح والفرو والأقمشة والكتان والزيوت الحيوانية ومختلف المصنوعات الحرفية . كما ظهرت اسواق دورية كبرى منها اركانجل عند ساحل البحر الأبيض وسوق اربيت في سيبيريا . ومع ذلك كان قسمً كبير من التجارة الداخلية يقسم بطابع التجارة الحرفية ذات الاختصاصات المحصورة في البضائع التجارية التي كانت تعرض في الساحة الحمراء بموسكو على وفق فيما يسمى بالصفوف مثل صف الأقمشة . وصف الشموع وصف الارغفة وصف الايقونات وغيرها .... وكتب مراقب اجنبي في وصف سوق الساحة الحمراء قائلاً **" ... هنا كل انواع البضائع معروضة للبيع في المكان المخصص لها "** [١] .

من جانب اخر اعاقت القيود الجمركية تطور التجارة ، وفي عام ١٦٤٩ م منع القانون الاقطاعيين من فرض رسومات ومكوسات جديدة على التجار لمرورهم عبر أراضيهم . غير ان الرسومات التي فرضت من قبل صدور هذا القانون ظلت نافذة المفعول [٢] .

اما التجارة الخارجية فقد اتسعت اتساعاً كبيراً وبلغت قيمة التبادل التجاري في القرن السابع عشر ١٠ ملايين روبل . وكانت التجارة مع بلدان الغرب تمر باركانجل ونوفغورود وبسكوف . اما التجارة مع الشرق فكانت تمر باستراخان وقازان والهند وايران ، وعن طريق نيرتشينسك تمر القادمة من الصين ومن اجل فائدة التجار الروس اصدر قانون ١٦٦٧ . الذي منع التجار الأجانب من المتاجرة داخل المدن الروسية . فالزموا بيع بضائعهم على الحدود . فعزز هذا القانون استقلال روسيا الاقتصادي [١] .

---

(١) Datsyuk , OP. Cit. , P. 80 .

(٢) Lee , OP. Cit. , P. 54 .

(١) Lee , OP. Cit. , P. 55 .

وعندما اعتلى القيصر بطرس الأكبر العرش تطورت التجارة الداخلية والخارجية ، وازداد تبادل الانتاج الحرفي والصناعات المحلية والزراعة . وبازدياد عدد سكان المدن ازداد الطلب على المواد الغذائية ، وغيرها من البضائع التجارية . وساعد أنشاء قناة فيشني (*) . وقناة لادوغا (**) على تطور التجارة الداخلية (٢) .

ولعبت مدينة بطرسبورغ دوراً كبيراً في التجارة الخارجية ففي عام ١٧٢٥ بلغ عدد السفن التجارية التي وصلت الميناء ١٠٠٠ سفينة مختلفة الأحجام وتطورت التجارة الخارجية ايضاً عن طريق الموانئ الأخرى في منطقة البلطيق مثل فيبورغ واريغاوريغل . وكانت اهم مواد التصدير هي التيل والكتان والشحوم والحديد والجلود المدبوغة والأنسجة الكتانية والأخشاب (٣) .

اما مواد الاستيراد الاجواخ والاصباغ والخمور والسكر والأنسجة القطنية وكان للدولة دور في تشجيع التجارة بشكليها الداخلية والخارجية بوساطة تهيئة الظروف الملائمة لتصدير البضائع الى الخارج وحماية المنتجات الداخلية بتحديد استيراد البضائع الأجنبية التي من الممكن انتاجها في روسيا وذلك بفرض الضرائب الجمركية العالية عليها ، وطبق القيصر بطرس الأكبر سياسة المركنتيلة (*) وذلك من اجل زيادة التصدير على الاستيراد وتوفير رؤوس الأموال النقدية في البلاد (١) .

(*) هي مسماة باسم مدينة فينشي فولوتشوك الواقعة حالياً في مقاطعة كالينين بجمهورية روسيا الاتحادية . وهي ممر مائي صناعي يصل أعالي نهر الفولغا ببحر البلطيق وافتتحت عام ١٧٠٩ . انظر : شعيب ، المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(**) انشأت عند الضفة الجنوبية لبحيرة لادوغا الواقعة شمال شرقي بطرسبورغ لتسهيل سير السفن وذلك لان الامواج القوية المستمرة في بحيرة لادوغا العميقة التي كانت تعرقل الملاحة . انظر ، شعيب ، المصدر نفسه ، ص ٧٣ .

(٢) Lee , OP. Cit. , P. 56 – 56 .

(٣) Lee , OP. Cit. , P. 56 - 57 .

(*) مشتقة من كلمة Mercontar . أي بائع بالايطالية . وهي السياسة الاقتصادية للدولة الاقطاعية التي تعكس مصالح رأس المال التجاري او مجموعة الاراء الاقتصادية المطابقة لهذه السياسة وترى ان مصدر غنى البلاد هو مجال التبادل وليس مجال الانتاج . وكانوا ممثلو طور المركنتلية الاولى المسمى بالطور التقدي (الفضة – الذهب) في البلاد . اما ممثلو المركنتلية المتطورة فكانوا يرون مصدر الغنى في زيادة

٣ ـ الصناعة

لم يكن عدد المصانع في روسيا في منتصف القرن السابع عشر الميلادي يتجاوز العشرين مصنعاً للحديد موزعة في أقضية تولا وكاشيرا وآولوفيتس ، وظهرت معامل لصناعة الجلود والبارود والورق والزجاج والأقمشة . وكانت هذه المصانع تقدم اقيام منتوجاتها الى خزينة الدولة والسوق ايضاً وقد كتب احد الأجانب الذين زاروا موسكو آنذاك " لقد أزداد في وقتنا الحاضر كثيراً عدد الصناع المهرة بعد ان كان قليلاً جداً في بلد مثل روسيا لزمن مضى . كما ان الصناع أنفسهم تحسنوا الى درجة عالية " [٢] . وعلى الرغم من النجاح الذي حققه الإنتاج الصناعي فأن روسيا ظلت متخلفة عن دول اوربا الغربية وذلك لارتباط الصناعة بالأقطاع .

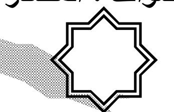
وفي عهد القيصر بطرس الأكبر كان في روسيا ما يقارب ٢٠٠معمل ، وكانت اهم فروع الصناعة هي التعدين وصناعة الأسلحة وأقمشة الكتان والجوخ وظهرت كذلك مصانع للجلود والجوارب والورق وغيرها من المنتوجات . وكانت مصانع الحديد والنحاس تبنى من قبل الدولة والتجار في المناطق الغنية مثل مدينتي تولا وليتبسك ومنطقة آولوفيتس والأورال وسيبيريا [١]. اما مؤسسات صناعة النسيج والصناعة الخفيفة ، فكانت تبنى في موسكو وبطرسبورغ وياروسلافل وقازان وغيرها من المدن . وأخذت تتكون في روسيا كوادر عمال المصانع الثابتين . اما العمال الاجراء فكانوا من

التصدير للبضائع خارج البلاد على استيرادها (نظرية الميزان التجاري الايجابي) وقد نفذها بطرس الاكبر في روسيا منذ مطلع القرن الثامن عشر في روسيا . للمزيد من التفاصيل انظر : - رمزي زكي ، التاريخ النقدي للتخلف ، الكويت – ١٩٨٧ ، ص ٣٩ .

[١] شعيب ، المصدر السابق ، ص ٧٣ – ٧٤ .

[٢] بيبانوف ، المصدر السابق ، ص ٢١٠ .

[١] الكسييف ، المصدر السابق ، ص ٣٢ ؛ الصواف ، المصدر السابق ، ص ٩٧ .



سكان المدن ومن بين فلاحي الدولة والملاكين العقاريين الذين دفعوا ضريبة (الاوبروك) . وكان السجناء والمنفيون والمتسولون يجبرون على العمل بالمصانع بالقوة لقاء اجور يومية زهيدة [٢] كما انتشر عمل النساء والأطفال بالمصانع . وكذلك سمح لأصحاب المصانع بامتلاك القرى مع سكانها بعد شرائها من الملاكين العقاريين ، واطلق على الفلاحين الذين تم شراؤهم للمصنع اسم (المملوكين) وكان هؤلاء هم انفسهم من الفلاحين الاقنان . الا ان التاجر لم يكن يملك الحق في بيعهم بمعزل عن المصنع فضلاً عن ذلك كان الفلاحون الذين يحالون عن املاك الدولة الى المصانع يحملون اسم (المحالين) . وكان عمل الاقنان يستعمل بصورة واسعة لا سيما في مصانع الاورال التعدينية ومصانع الجوخ [٣] . وقد كانوا يتعرضون الى اقصى معاملة فساعات العمل تمتد من ١٢ الى ١٦ ساعة يومياً عملاً متواصلاً . اما اجور العمل فكانت لا تسد حاجة عائلة العامل . وكان كثيراً ما يعاقب العامل من سيده بالضرب بالعصا أو أرساله للأعمال الشاقة أو الى الجيش . وقد ساعدت حكومة القيصر بطرس الأكبر على تطوير الصناعة بسماحها لكل شخص بتأسيس مصانع للتعدين في الأراضي التي تكتشف فيها مكائن الخامات الطبيعية وكان التجار يتلقون قروضاً نقدية كبيرة لانشاء مشاريعهم كما وضع تحت تصرفهم مؤسسات أنشأتها الدولة . وكانت الحكومة تتخذ الإجراءات لتزويد المصانع بالمواد الخام[١].

وساعدت هذه التدابير على نهوض الإنتاج الصناعي فزاد صهر الحديد الزهر منذ نهاية القرن السابع حتى نهاية عهد القيصر بطرس الأكبر من ١٥٠ بود [*] الى

---

(٢) نعنعي ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ .

(٣) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(١) بييانوف ، المصدر السابق ، ص ٢١١ .

(*) مقياس روسي قديم للوزن يعادل ١٦ كيلو غرام و ٣٨٠ غرام .



مليون بود في السنة . وتوقفت روسيا عن استيراد الأسلحة والمعدات وبدأت بتصدير الحديد ذو النوعية الممتازة الى أقطار غرب أوربا [٢] .

٤ – الضرائب

كلّف القيصر بطرس الأكبر هيئة خاصة بوضع نظام للضرائب وإدارتها ففرضت ضرائب على القبعات والأحذية ، وخلايا النحل والحجرات ، وأقباء الخمور والمؤن والمداخن والمواليد والزيجات واللحى . اما الضريبة على الاسر فقد عطلتها الهجرات الاجتماعية غير المنظمة فاستبدل بها ضريبة على الانفس اينما وجدت ، ولم تطبق هذه الضريبة على النبلاء او الاكليروس . وارتفعت إيرادات الدولة من ١.٤٠٠.٠٠٠ روبل في ١٦٨٠ الى ٨.٥٠٠.٠٠٠ روبل في ١٧٢٤ خصص خمسة وسيعون في المائة منها للجيش والبحرية ونصف هذه الزيادة كانت غير واقعية بسبب انخفاض قيمة العملة بمقدار النصف في عهد بطرس الأكبر [٣] .

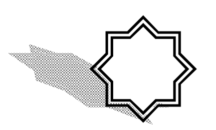
د ـ الإصلاحات الدينية

ازدهرت الحياة الدينية في مدينة كييف منذ منتصف القرن الحادي عشر الميلادي وجرى في عهد الأمير فلاديمير الأول ٩٨٠ – ١٠١٥ م Vladimir I . اعتناق المسيحية على المذهب الارثودكسي بصورة رسمية في البلاد . ولم يجد الأمير صعوبة من فرض المسيحية التي وافقت رغبته . فزاد ذلك في تقوية العلاقات بين امارة كييف

---

(٢) Datsyuk , OP . cit , Chast I , P . 81 .

(٣) ديورانت ، المصدر السابق ، مج ١٧ ، ج ٣٣ ، ص ٥٧ .



والقسطنطينية بخاصة بعد ان تزوج فلاديمير من أميرة بيزنطية وهي الأميرة آن Anne فكثر تدفق الرهبان اليونانيين الى كييف حتى أصبحت حافلة بالكنائس الضخمة . كما كثرت الكتب المترجمة وبخاصة الدينية التي تحتوي على الوعظ وسيرة القديسين وكراماتهم فضلاً عن الأناشيد والأدعية (١) . وجاء بعد مرحلة الاعتناق والأيمان ظهور الكنيسة المنظمة بزعامة بطريرك تختاره الكنيسة في القسطنطينية ، وكان في اغلب الأحيان يكون يونانياً . وينقسم الاكليروس الروسي الى قسمين الأول هم الرهبان ويسمونهم الكهنة السود (*) ويقضون أيامهم في الأديرة ولا يباح لهم الزواج . والقسم الثاني هم الكهنة البيض يمارسون العبادة ويتزوجون حتى يكاد يكون زواجهم اجباري . الا ان الكهنة السود هم الذين يديرون شؤون الكنيسة . لان الواجبات المفروضة عليهم لكونهم عزاباً ومنقطعين لخدمة الكنيسة . اما الكهنة البيض فواجباتهم تنحصر في الوعظ وتعليم الأطفال الأناشيد والتراتيل . وقد منعوا من ذلك لفترة من الزمن (٢) .

وفي عام ١٥٨٩ استقلت الكنيسة الروسية عن كنيسة القسطنطينية فأصبح لها طقوسها المكتوبة باللغة السلافية القديمة . ومرت بتطورات كثيرة كان من اهمها إصلاحات نيكون عام ١٦٥٤ (١) .

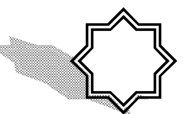
وعندما اعتلى بطرس الأكبر العرش توفي البطريرك واكيم المتشدد فاقترح القيصر على المجلس الوطني اختيار خلفاً له على ان يكون معتدلاً ومثقفاً فتم انتخاب آدريانوس Adrianoss الا انه كان كسلفه يكره أي فكرة تجديدية فحدثت عدة خلافات بينه وبين القيصر ، وعندما توفي آدريانوس عام ١٧٠٠ م اعلن بطرس نفسه بطريركاً لروسيا . ويؤكد المؤرخون انه أراد ان يقضي على البطريركية لانه رأى في الاديرة

(١) شارل نيبوسن ، تاريخ التمدن الحديث ، القاهرة – ١٩٢٠ ، ص ٩ .

(*) لا علاقة للتسمية باللون .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠ .

(١) روبرت بالمر ، تاريخ العالم الحديث ، ترجمة محمود حسين الامين ، ج ١ ، الموصل ، ١٩٦٤ ، ص ٣٦٢ – ٣٦٣ .



والكنائس والرهبان حصن المقاومة لإصلاحاته [٢] . ويذكر المؤرخ الروسي كرافشينسكي **" ... من اجل ادخال الحضارة الجديدة بالقوة حتى لو كان ذلك بشكلها المادي فقط . كان من الضروري إعلان الحرب الصريحة لا ضد الخرافات فقط وانما ايضاً ضد رجال الدين كانوا يعززونها ويوجهونها . وقد فعل بطرس ذلك ... وقد حقق هدفه كاملاً "** [٣] . وقد يكون فضلاً عن رغبته في فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية او الروحية عن الزمنية امر بإنشاء المجمع المقدس (السنودوس) للنظر في الشؤون الاكليريكية والكنيسة وسائر القضايا المتعلقة بها . وضم المجمع الاحبار الذين اختارهم القيصر فضلاً عن مندوب رفيع المستوى تولى رئاسة المجمع ، وعرف باسم الوكيل العام وهو ممثل القيصر . وقد عهد القيصر بطرس الى صديقه تيوفانس Tuvance بوضع قوانين المجمع الجديد [١] . وبما ان القيصر هو الذي ينتخب الأعضاء في المجمع فقد صار هو الرئيس الأعلى للكنيسة الروسية . وقد عرف هذا المجمع باسم عين القيصر وغدى دائرة حكومية لا تختلف عن بقية دوائر الدولة . وعندما رأى القيصر ان الكثير من أبناء الشعب عكف على الترهب هرباً من الخدمة العسكرية امر بخفض عدد الأديرة وحظر الترهب على من يقل عمره عن الثلاثين سنة [٢] . اما أدارة الأديرة والأوقاف فقد أوكل أمرها الى الحكومة فهي تتولى هذه الإدارة وتتقاضى ضريبة عليها . وما يتبقى في الأديرة ، يصرف على المستشفيات وملاجئ العجزة والجنود والمتقاعدين ويجب على قسم كبير من الرهبان والراهبات الى الخدمة في دور الرحمة والإحسان ، وفي الوقت نفسه امر القيصر تنظيم حياة الرهبانية بعد ان كان يسودها

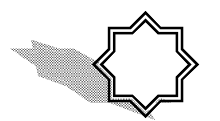
---

(٢) عمر الاسكندري – سليم حسن ، تاريخ اوربا الحديثة واثار حضارتها ، ج ١ ، مصر – ١٢٠ ، ص ٢٣٧ .

(٣) Cmmenahak – Kpoh Zuhckui , Roccui hoghlacomb to isapeiu , Mockha – 1965 , P . 66

(١) الصواف ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

(٢) نعنعي ، المصدر السابق ، ص ١٧١ .



الفساد [٣] . وأكد على ضرورة تثقيف الكهنة وان يصدر ثلاثة أصناف من الكتب الدينية لقراءتها في الكنائس على الشعب ، وقد تضمن الصنف الأول منها العقائد الارثودكسية . اما الثاني فأكد على واجبات الناس أمام القيصر صاحب السلطة العليا والثالث يعرف الشعب بأباء الكنيسة [٤] . وفي ١٧٢٢ اصدر القيصر مرسوماً حدد فيه عدد الكهنة والشمامسة . كما حدد عدد الأبرشيات والأسقفيات في عموم روسيا . كما اوجب على الكهنة والرهبان ممن لا يقومون بمهمة روحية او ثقافية ان ينضموا للجيش في حالة الحرب . ثم نظم الاكليروس الأبيض او العلماني فكان للنبلاء ان يكونوا فيه كهنة بشرط ان يزيد عمرهم عن الأربعين عاماً . وان لا يكونوا وارثين شيئاً من الثروات المنقولة [١] .

واصر القيصر على ان يؤدي الجميع اليمين أمامه ، وان يطلعوه على كل امر في الكنيسة وهكذا جردت الكنيسة الروسية من صفتها الروحية وحولت الى دائرة حكومية [٢] .

وبقوة هذه الإصلاحاتالتي فرضها القيصر على الكنيسة بدأ يأخذ مكانه في قلوب الشعب الروسي ، واللافت للنظر في خصوص معتقد الملك ان خصومه من المتطرفين اصبغوا عليه لقب عدو المسيحية . فهو تارة يميل للوثرية ، ويتردد على معابد البروتستانت واخرى يحمي من يدين بالمذاهب الفلسفية ، ومرة يحضر قداس اليسوعين حتى ان القاصد الرسولي سنتا كروز S.Cross كتب عن القيصر بطرس

---

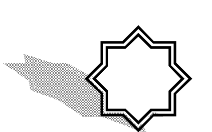
(٣) كانت تضم كثير من الاديرة الرهبان والراهبات . واديرة للراهبات يديرها رهبان ، واديرة تابعة للنبلاء يكون فيها الرهبان كالعبيد لاصحابها فضلاً عن جهل الكثير من الكهنة لا يدركون مهمتهم الروحية وحرمة المعابد فكانوا كثير السكر والفساد . للمزيد من التفاصيل انظر : -

Kpoh Zuhckui , OP . cit , P . 66.

(٤) **Dmytryshyn , OP . cit , P . 263.**

(١) **Andrews , OP . cit , 42 .**

(٢) تروسكي ، المصدر السابق ، ص ٤٦ .



" ... **لا يدري احد ما هو دين بطرس الاكبر** " [٣] . ويذكر احد المؤرخين الروس المعارضين لاصلاحاته " ... **ان القيصر الذي استخدم العنف ضد الكنيسة والمحاط بالهراطقة ... ان مثل هذا القيصر لم يكن يستطيع طبعاً ان يثير لدى رعاياه ذلك الإعجاب الذي كانوا مستعدين لان يكنوه لاسلافه ، اذ وصل الامر عنده الى معاداة المسيحية** " [٤] . وان التتبع الدقيق لسياسة بطرس تكشف عن عقليته البراجماتية . فالدين عنده وسيلة لتحقيق غاياته في مجاملة الغرب وكسب ود الأصدقاء وتحقيق المكاسب لبلاده

هـ ـ الإصلاحات الاجتماعية

اختلفت اوجه الحياة الاجتماعية في روسيا عنها في اقطار اوربا الغربية . فقد كان للروس أسلوبهم وطرائق معاشهم وعاداتهم المختلفة تماماً عن جيرانهم الأوربيين ، ولذلك اسباب عدة لعل اهمها ان تاريخ روسيا اصطبغ منذ القرن الرابع عشر الميلادي حتى وصول بطرس الأكبر الى السلطة بطابع الحروب خاصة ضد قبائل التتر القادمة من الشرق فضلاً عن الحروب الدينية ذات الصبغة المذهبية ضد بولندا التي زعم حكامها بانهم حماة الكاثوليكية ، في حين تمسك القياصرة الروس بالمذهب الارثودكسي . بينما كانت حروبهم ضد السويد والتي غطت تماماً الربع الأول من القرن الثامن عشر تحمل في طياتها الاسباب الاستراتيجية . لذا سعى القيصر بطرس ضمن سياسته الإصلاحية الشاملة الى الارتقاء بالمجتمع الروسي ليقارب المجتمعات في لندن وباريس فاصدر حال عودته من سفارته الكبرى اوامره الخاصة بالإصلاح الاجتماعي [١] . مبتدأ

---

(٣) زيتون ، المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .

(٤) Kpohzuhckui , OP . cit , P 67 .

(١) زينب عصمت راشد ، المختصر في تاريخ اوربا الحديث ، القاهرة – ١٩٧٠ ، ص ٣٧١ .



ً أول الأمر بحلق لحى حاشيته ومقربيه ، ولإظهار صرامته قام بحلق لحى مستشاريه بيده ، وفرض ضريبة على الممتنعين من المسؤولين ، بينما تقص الشرطة لحى عامة الشعب . كما اصدر أمراً بأن يرتدي العمال الزي الأوربي الضيق بدلاً من ملابسهم الفضفاضة حتى لا تعيقهم عن العمل [٢] . كما انه اصدر امراً بمعاقبة كا من يسيء الى حق الطريق او حتى يبصق بالشارع . اما المرأة فقد اطلق حريتها واشركها في الحياة الاجتماعية . واقر الحق للخطيبين بان يجلسوا مع بعضهما قبل الزواج بعد ان كان ذلك محرماً عند الروس . كما امر بان تحضر النساء الحفلات الراقصة وهن مرتديات الملابس الفرنسية الضيقة بعد ان كانت المرأة الروسية لا تخرج الا وهي محتشمةً ومحجبةً تماماً وتمنع من حضور الحفلات الى جانب الرجال [١] .

وفي عام ١٧١٨ م ادخل في بطرسبورغ عادة الحفلات الراقصة ، وامر النبلاء باقامتها في منازلهم ، وان يتمموا شروط تلك الحفلات بعد ان وضع نظاماً لإقامتها منها [٢] :

١ – توزع هذه السهرات على جميع الوجهاء بلا مراعاة لنظام خاص ، ويسأل القيصر في وقت الظهر عن مكان كان الاحتفال فيحدد القيصر في أي منزل من النبلاء ليتوجه اليه الجميع في المساء .

٢ – لا ينبغي لصاحب الحفلة ان يستقبل احد خارج الغرفة او يودعه ولو كان القيصر نفسه فالكل له مطلق الحرية .

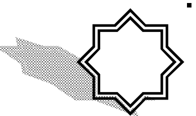
٣ – في غرفة الرقص يجب ان تهيأ طاولة عليها غلايين وتبغ وشظايا خشبية لاشعال الغلايين ، وطاولات اخرى للعبة الشطرنج .

٤ – ان يبدأ الرقص برب البيت او ربة البيت او احد افراد العائلة .

٥ – كل شخص حر في فعل ما يريد من رقص وتدخين .

---

(٢) نيبوس ، المصدر السابق ، ص ١٤ .
(١) ياغي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦ – ٢٣٧ .
(٢) شعيب ، المصدر السابق ، ص ١٤ – ١٥ .



٦ – رب البيت غير ملزم بأن يجبر الضيوف على الأكل والشرب وعليه ان يخبرهم لما هو موجود من طعام ومرطبات .

كما امر ان تمنع عدة امور خلال الحفلات الليلية [٣] : -

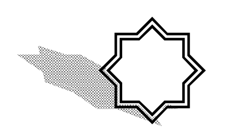
أولاً : يمنع تدخين التبغ بجانب النساء مما يبعث بروائح كريهة وهذا غير ملائم .
ثانياً : ان لا يجلس النساء بمعزل عن الرجال .

ومن الجدير بالذكر ان القيصر قد اقتبس أفكاره هذه من المجتمعات الراقية التي زارها في لندن وباريس وفينا . ومن الامور التي استجدت في البلاط القيصري وتعد جديدة على المجتمع الروسي هو طلاق القيصر لزوجته الشرعية وام ولي عهده والاقتران بأسيرة وهي كاترين واعلانها امبراطوره لروسيا عام ١٧١٢ م وهي من الامور التي لم يسبق لها ان حدثت في روسيا القيصرية [١] .

ارتفاع شأن الدفوريان

منذ عهد ايفان الرهيب ١٥٣٣ – ١٥٨٤ والدفوريان يتمتعون بامتيازات عدة وعندما اعتلى بطرس الأكبر العرش لم يقيم المواطن على حسب نسبه الرفيع او ثروته على قدر عمله ووطنيته فظهر الدفوريان (الحاشية) الجديدة للقيصر المصلح . فأصدر مرسوم وحدة الإرث عام ١٧١٤ وفيه عدت العقارات التابعة للدفوريان مساوية للعقارات الموروثة ، وملكاً موروثاً للمالكين . غير ان الدفوريان ظلوا كالسابق ملزمين بالخدمة العسكرية . ولعب إدخال بطرس الأكبر عام ١٧٢٢ قانون المراتب دوراً كبيراً في تقوية الامتيازات الطبقية للدفوريان . وحدد هذا القانون نظام تأدية الدفوريان للخدمة في

(٣) قلفاط ، المصدر السابق ، ص ٢١٠ – ٢١١ .
(١) العسلي ، المصدر السابق ، ص ٦٧ .



الدولـة بـالنظر اليهم بوصـفهم ضـباطاً فـي الجيش والأسطول وموظفين وخـدماً فـي الحاشية . وقسم القانون جميع الدفوريان في الخدمة الى ١٤ رتبة تناسبها وظائف معينة . ففي الجيش تبدأ هذه الرتب مثلاً من الملازم الثاني وتنتهي بالمشير . اما في الخدمة المدنية فمن مسجل الهيئة الذي هو أدنى موظف حتى أعلى موظف بدرجة مستشار . وأصبح لأبناء الفئات الاخرى حق اعتبارهم من الدفوريان وراثياً بعد ان يترقوا في الخدمة حتى رتبة معينة . وحصلت كل اسرة من اسر الدفوريان على شعار وكانت الدولة تمنح الدفوريان الممتازين في الخدمة عقارات موهوبة وأوسمة . كما كانت تعينهم في وظائف الجيش والجهاز الحكومي العالية . وأصبحت فئة الدفوريان السند الأساسي للحكم المطلق الروسي . فأبعدت ارستقراطية البويار [١] .

وكان التجار من الفئات القلائل التي استفادت من الأوضاع الجديدة وإصلاحات القيصر . وكانوا يشكلون ٣ % من المجتمع الروسي . فالفائدة تكمن في إنشاء بحرية روسية لتسهيل نقل التجارة وتأمين الحماية للطرق التجارية في اركانجل والبلطيق الا غير ان بطرس اخطأ في بداية الامر في احتكار الحكومة الملح وبيعه فضلاً عن التبغ والقار والدهون ، والبوتاس والراتنج والرواند والكانيار وحتى التوابيت المصنوعة من البلوط . ولكنه أدرك في النهاية ان الاحتكارات تعوق الصناعة والتجارة فاطلق حرية التجارة الداخلية وحدد التجارة الخارجية لرسوم التوريد والتصدير [٢] .

وعندما رفع بطرس شأن الدفوريان شدد في المقابل على استعباد الفلاحين ان وسعت أملاك الدفوريان العقارية على حساب أراضي فلاحي الدولة والحاشية الذين حولوا الى اقنان ، واستولى الملاكون العقاريون على أراضي المناطق الجنوبية للبلاد . وفي منطقة الفولجا وأوكرانيا . وكان فرض الضريبة الشخصية على جميع الفلاحين التابعين للدولة والملاكين العقاريين ، وكذلك على الرجال من سكان المدن بغض النظر

---

(١) Sovetskaya is taricheskaya entsklopedia , Tom 5 , P . 42 .

(٢) ديوارانت ، المصدر السابق ، مج ١٧ ، ج ٣٣ ، ص ٥٦ .

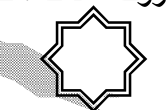


عن أعمارهم وقابليتهم للعمل قد زاد في اشتداد اضطهاد القنانة وشملت الضريبة الشخصية الأرقاء ايضاً . ونتيجة لذلك صار الأرقاء وفلاحوا الملاكين العقاريين صنفاً واحداً من الفلاحين الاقنان [٣]

و ـ الإصلاحات الثقافية

كان الكاهن وحده خلال عدة قرون يحمل شعلة المعرفة الصغيرة المتأججة وكان لاقتباس روسيا الدين المسيحي عن بيزنطة نتائجه التي لا تحصى ، لكن تشدد الاكليروس جعل التعليم قاصراً على تعاليم أبناء الكنيسة فحرمت كل اتصال بالكلاسيكية اللاتينية ، وبالحركات الفكرية في القرون الوسطى وعصر النهضة . وظلت لغة الكنيسة نفسها التي جاء بها الرسل الأوائل أي اللهجة البلغارية . التي ترجمت اليها النصوص الدينية المقدسة واطلق عليها (السلافون) او لغة الكنيسة السلافية . واقدم مخطوط روسي هو انجيل اوسترومير يعود لعام ١٠٥٦ م . وكان القيصر ايفان الرهيب عام ١٥٥١ قد اكد على ضرورة نشر وعناية تعليم الاكليروس . ولاجتناب التحريف في الكتب المقدسة بأيدي النساخ ، أنشأت عام ١٥٥٣ م أول مطبعة مخصصة للكنيسة [١] . فبدأ بنشر التعليم المدرسي انتشاراً واسعاً . كما انتشرت الكتب الثقافية المتنوعة وتسابق الدفوريان والنبلاء الى تعليم أبنائهم القراءة والكتابة ولكن بشرط عدم الاقتباس من الثقافة الغربية التي تتعارض مع المذهب الارثودكسي . وفي عام ١٥٦٤ م اصدر طابعيان روسيان هما ايفان فيدوروف Ivan Vyodorov وبيتر ميسيسلا فيتش P. Miselavitch اول كتاب وهو (الرسول) الا ان رجال الدين اعلنوا تكفيرهم واتهموهم بالهرطقة فهربا من روسيا . وعلى الرغم من ذلك فلقد طبع ما يقارب ٢٠

(٣) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٩٩ .
(١) مارسيل اهرار ، تاريخ الادب الروسي ، بيروت ــ د ت ، ص ١٢ .



كتاب عند نهاية القرن السادس عشر من التي وافق عليه رجال الدين مثل كتاب أصول المساحة وهو دليل للمساحين ومعلومات عن الهندسة . وكتاب للقواعد الروسية (٢) .

وواصل التعليم انتشاره في القرن السابع عشر في عموم روسيا . ففي عام ١٦٤٣ طبعت في موسكو أول أبجدية وضعها فاسيلي بورتسيف Vasily Partsive فزاد الطلب بعد ذلك على الكتب المتخصصة في القراءة والأبجديات . كما أنشأت آنذاك أول مدرسة طبية في روسيا بموسكو . كما ظهرت بعد ذلك مدارس مهنية اخرى مثل مدرسة منضدي الحروف التابعة لدار الطبع في موسكو ومدارس مهنية تابعة لمصانع الحديد . كما أسست في كييف وتشيرنيغوف اكاديميات مثل الأكاديمية السلافية اليونانية اللاتينية . ومنذ عام ١٦٨٧ م لم تعد المطابع الروسية تقتصر في طباعتها على طبع الكتب الدينية فقط بل أخذت تطبع مؤلفات في الشؤون العسكرية والتاريخ والقواعد ، وترجمت كتب عن الهندسة والطب والفلك من اللغات الأخرى الى الروسية (١) . وفي القرن السابع عشر أرسلت أربع ارساليات من روسيا الى الصين . وزار الرحالة الروس في القرن السابع عشر العديد من بلدان الشرق مثل خيوة وبخارى والصين والدولة العثمانية وإيران والهند . وجمعوا معلومات دقيقة عن تلك البلدان من عادات وتقاليد مع رسم خرائط لها (٢) . وكان من أشهر الأسواق للمطبوعات هو سوق الساحة الحمراء في موسكو ففيه كانت تباع الكتب والأوراق الأجنبية المصورة (٣) .

وفي مطلع القرن الثامن عشر وضع القيصر بطرس الأكبر إصلاحاته القائمة على أساس تطوير الكثير من العلوم والتكنيك وتعزيز العلاقات الثقافية مع بلدان الغرب

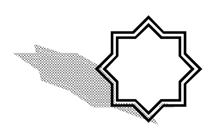
---

(٢) ييبانوف ، المصدر السابق ، ص ١٢٩ ؛
Alexeyev , OP . cit , P . 20 .

(١) اهرار ، المصدر السابق ، ص ١٩ .

(٢) اكاديمية العلوم السوفيتية ، المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

(٣) ييبانوف ، المصدر السابق ، ص ١٩٢ ؛
Lee , OP . cit , P . 66 .



من اجل نهضة روسيا . فكان أنشاء المصانع والقنوات وتطوير الجيش وتسليحه وبناء الأسطول دافعاً قوياً لنشر التعليم المدني والمعارف العلمية . فأنشأ القيصر أول مدرسة للمدفعية ومدرسة اخرى للملاحة ثم انشأ المدرسة الطبية وعدة مدارس للهندسة العسكرية . وفي عام ١٧١٥ افتتحت الأكاديمية البحرية في بطرسبورغ التي تخرج الكثير منها . كما أنشأت العديد من المدارس المهنية التابعة لمصانع التعدين في الاورال . كما اوجد مدارس خاصة للترجمة . وقد تميزت المدارس في عهد القيصر بطرس الأكبر بطابعها المدني للتعليم أي فصل التعليم الديني عنها . الا ان المدارس الابتدائية لم تتطور لقلة المخصصات . كما عمل بطرس الأكبر على تبديل الحروف المطبعية السلافية الكنائسية القديمة بالحروف المدنية الجديدة فساعد ذلك في نشر المعرفة بسهولة وذلك لازدياد المطابع وقلة الرقابة الدينية عليها في عهده فتم حذف ثماني حروف لافائدة منها [١] . ومنذ عام ١٧٠٠ بدأ حساب السنين في روسيا يجري اعتباراً من ميلاد المسيح كما هو في بلدان أوربا الغربية وكان حساب السنين بالسابق يجري من خلق العالم . اما السنة الجديدة تبدأ في الأول من أيلول [٢] .

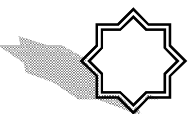
وفي عام ١٧٠٣ أصدرت أول جريدة مطبوعة في روسيا وهي جريدة (فيدوموستي) وكانت تنشر أخبار افتتاح المدارس والمصانع وأنباء عن ساحات القتال.

ونمت الصلات الثقافية كثيراً مع بلدان أوربا الغربية اذ اخذ الدفوريان والتجار يرسلون ابناؤهم للدراسة في الجامعات الفرنسية والانكليزية والهولندية [٣] .

---

(١) بالمر ، المصدر السابق ، ص ٣٧٣ .

(٢) Proclamtion on the Introduction of a new Calendar , December 20 , 1699 . cited http : Hartci – Shu – edu / reasp / documents .



ويعد بطرس الأكبر مؤسس الماسونية (*) في روسيا . فقد كان احد اعضاء الخلوات في امستردام عام ١٦٩٧ . وان الماسوني الانكليزي جون فيرن John Viern هو من اهدى بطرس للماسونية . فنظم بطرس عند عودته لروسيا خلوة في موسكو واصبح ليفورت رئيسها والكونت بريوس خطيبها . وكان بطرس يعدها اهم مركز ثقافي في روسيا (١) . كما أنشآ بطرس قاعة النوادر العلمية في بطرسبورغ التي تعد اكبر مؤسسة علمية في روسيا . اذ كانت تضم مجموعات عن المعادن والمستحضرات الطبية وقطع النقود القديمة وغرفة الحيوان وعدة خرائط . كما أنشأ المتحف الحربي – البحري . ومتحف المدفعية . وفي عام ١٧٢٥ م افتتحت أكاديمية علوم بطرسبورغ مع مدرسة تابعة لها . وقد ترك أعضاء العصبة العلمية أثراً كبيراً في العلم والأدب الروسي . وكتب بروكو بوفتيتش Proko Povitch . كتابان الأول **" حقيقة الإرادة الملكية "** والثاني **" الحاكم المطلق المستنير "** وفي الكتابين كان يدافع عن إصلاحات القيصر بطرس الأكبر كما كتبت لأول مرة دائرة المعارف الروسية التي ظهرت باسم " بالمعجم الروسي " للمؤرخ ف . ن تاتيشيف V.N. Tatichieve ويعطينا كتاب الفقر والغنى لمؤلفه ي . ت بوسوشكوف Y.T. Posochkove مثالاً رائعاً لحرية الفكر والكتابة اذ ان المؤلف يؤيد إصلاحات بطرس الأكبر . غير انه ينتقد سياسته ازاء التجار ويدافع عن مصالحهم ويطالب بالتخفيف عن الفلاحين والاقنان (٢) .

---

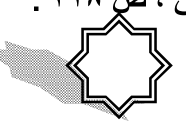
(٣) فيشر ، المصدر السابق ، ص ٣٧٠ .

(*) ان اسم الماسونية فرمسون كما سماها الاب لويس شيخو او فرانك ماسونيزي وهي ذات شقين . الشق الاول فرانك وهي تسمية فرنسية بمعنى الحر او الصادق . والشق الثاني ماسون أي البناء فيكون المعنى البناؤون الصادقون . للمزيد من المعلومات . انظر : -

عبد المجيد همو ، الماسونية والمنظمات السرية ماذا فعلت ؟ ومن ضمت ؟ دمشق – ٢٠٠٣ ، ص ٢٣٧ .

(١) د . أ بلاتونوف . اكليل الشوك الروسي والتاريخ السري للماسونية . ترجمة مازن نفاع ، دمشق – ٢٠٠٣ ، ص ١٦ .

(٢) اكاديمية العلوم السوفيتية ، المصدر السابق ، ص ٢١٨ .



ز- الإصلاحات العمرانية

كان القرن السابع عشر غزيراً بروائع الفن المعماري الروسي ، ومن النماذج الرائعة مما يمكن الإشارة اليه المعمار الخشبي في الشمال بـ (سان فلاديمير) وهي منطقة تابعة لاركانجل ١٦٤٢ . وكنيسة صعود العذراء ١٦٧٤ في قرية فارغوزا . وقد شيد وفق هذا الاسلوب سنة ١٦٦٧ – ١٦٦٨ القصر الخشبي الشهير للقيصر الكسي في كولوفسيه إحدى ضواحي موسكو ، وقد تم فك أجزائه في القرن الثامن عشر الميلادي ، واحتفظ برسم مصغر له . حتى عده المؤرخون انه الأعجوبة الثامنة في العالم [١] . وكان العمران الحجري متنوعاً للغاية غالباً ما يكون داخل الكريملين ، وكان يضم مساكن التجار والبويار ومقر الحكومة . وقد تميز بناء القرن السابع عشر بطابعه الروسي الرائع الذي تجسد في بناء الكنائس والقصور مثل كنيسة النبي آيلي ١٦٤٧ – ١٦٥٠ ، وقصور غولتسين ونارشكين ، كما ان الرسم ابتعد كثيراً عن أساليب العصور الوسطى فلقد تميز بالاتجاه الواقعي حتى أصبح قصر الأسلحة في كريملين موسكو بمثابة أكاديمية للفنون الجميلة تضم عدد من الفنانين الروس والأجانب ، فظهرت اللوحات ذات المناظر الطبيعية في القصور الى جانب الايقونات [٢] .

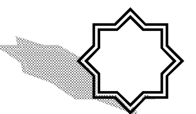
وفي عام ١٧٠٣ أسس القيصر بطرس الأكبر عاصمته الجديدة بطرسبورغ على غرار امستردام على نهر النيفا [*] . وقد جند ٤٠ ألف عامل لبنائها وفي عام ١٧٠٨ أرسل نحو ٤٠ ألف لينظموا لهم ، وفي ١٧١١ أرسل ٤٦ ألف آخرين إضافة الى اسرى

---

(١) يبيانوف ، المصدر السابق ، ص ١٩٤ ـ ١٩٥ .

(٢) بلاتنوف ، المصدر السابق ، ص ٣٠٠ – ٣٠١ .

(*) نيفا تعني بالسويدية الوحل ويخرج النهر من البحيرات الشمالية وينقسم الى اربعة فروع وهي المعروفة بنافا العظيم ونافا الصغير ونافكا العظيم ونافاكا الصغير . ويشكل مجموع المياه الجارية في بطرسبورغ ثمانية عشر مجرى وبحيرة ، وثماني قنوات ، وتسع عشر جزيرة . للمزيد من التفاصيل انظر : - الكسييف ، المصدر السابق ، ص ٥٢ .



الحرب من السويديين الذين مات منهم الآلاف من شدة التعب . واصدر عام ١٧١٤ مرسوماً حرم فيه تشييد البيوت الحجرية في عموم روسيا عدا بطرسبورغ العاصمة الجديدة [١] . كما تمت مصادرة الأحجار وفرض على كل سفينة أجنبية تأتي الى بطرسبورغ ان تحضر معها عدد من الحجارة لانها كانت قليلة في محيط بطرسبورغ . وجعل دار الحكومة لا يبلغ اليها الا بعبور المياه فكثر بذلك السفن وتوفرت الحجارة المستوردة [٢] . اما في المدينة نفسها فقد امر النبلاء ان يبنوا لهم مساكن فيها . اما القيصر فقد كلف بعض العمال الهولنديين المهرة ببناء كوخ كالأكواخ التي رآها في سارادم . وسمح ببناء ثلاثة اكواخ أخرى للمناسبات الرسمية . وقد اصطدم بناء العاصمة الجديدة بالكثير من المقاومة ، وانطلق المقاومون في اثر الشائعات بان تلك المدينة الكافرة الهرطوقية والتي شيدت بأيدي الأجانب ستباد غرقاً . وستعود العاصمة موسكو بعد موت القيصر بطرس الأكبر . غير ان ذلك لم يحدث . ولم تضعف تلك الإشاعات عزيمة القيصر في اتمام بنائها [٣] . وقد كتب بوشكين عن العاصمة الجديدة " **... ان موسكو اخفت رأسها امام العاصمة الجديدة كما تنحني ارملة الامبراطور امام امبراطورة شابة** " [٤] . وظهرت بطرسبورغ عام ١٧١٢ بشوارعها المنظمة والمضيئة حتى سميت بتدمر الشمال في اوربا بواسطة اكليروسها واديرتها وتحضرها [٥] .

وفي الوقت نفسه دعى القيصر للإقامة فيها مجموعة من الفنانين والمهندسين المعماريين والنحاتين الفرنسيين والالمان والسويسريين والايطاليين . وقد دخل في خدمته المهندسين المعماريين مثل هربل وشولتز اللذان اشتغلا في بطرسبورغ . كما ان

---

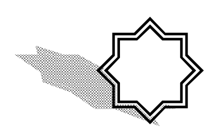
(١) **Gearge W . Botsfard , Aprief history of the world , New york – 1917 , P . 386.**

(٢) **مير ، المصدر السابق ، ص ٢٧٠ – ٢٧١ .**

(٣) **ديوارنت ، المصدر السابق ، مج ١٧ ، ج ٣٣ ، ص٤٩ .**

(٤) **المصدر نفسه ، ص ٤٩ .**

(٥) **كلود دلماس ، تاريخ الحضارة الاوربية . ترجمة وفيق وهبه ، بيروت – ١٩٨٢ ، ص ٩٤ .**

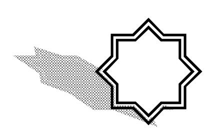


القيصر بنفسه اشترى من الخارج اللوحات والتماثيل من أوربا الغربية [١] . كما خالف التقليد فنقل مدفن الملوك من كنيسة الملوك وكنيسة القديس ميخائيل في موسكو الى كنيسة بطرس في بطرسبورغ [٢] .

---

(١) اندرسون ، المصدر السابق ، ص ٢١٥ .

(٢) الكسييف ــ كارتسوف ، المصدر السابق ، ص ٥٢ .



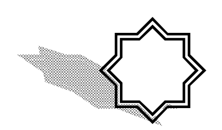
المبحث الرابع

المؤامرات والانتفاضات ضد بطرس الأكبر

أ ـ مؤامرة ولي العهد ألكسي

تزوج بطرس سنة ١٦٨٩ وهو في سن السابعة عشر من عمرة من ابنة احد رعيته واسمها افدوكسيا لابوتين Eudoxia Lopukhin وكانت عائلتها من حزب المحافظين وكانت هي ايضاً تحمل أفكارهم . فكان ذلك سبباً في كراهية بطرس لها. فانعكست رغبته في التغير الجذري في روسيا حتى على علاقته داخل أسرته فاعتقد ان زوجته المحافظة وام ولي العهد ألكسي غير جديرة بان تكون السيدة الأولى في البلاد . لذا امرها وهو في طريق عودته من انتصاره في ازوف بان تغادر موسكو وانه قرر طلاقها . لذا اضطرت للجوء الى دير بوكرلافسكي في موزدال ومعها ولدها الكسي [١] . وقد احاط بها المتذمرين من رجال الدين المحافظون الذين ضربت إصلاحات بطرس مصالحهم في الصميم . وقد انعكست رغبتهم في الانتقام من القيصر في تأليب ابنه ضده ، واشاعة عدم شرعية زواجه من زوجته الثانية كاترين . وعبثاً حاول القيصر استمالة الكسي الى جانبه وتهيئته علمياً وعملياً ليكون ولياً لعهده . بيد ان محاولاته ذهبت ادراج الرياح بسبب موقف والدته المتعنت والمدعوم من رجال الدين المحافظون ممن زرعوا في الكسي بذرة الحقد على والده لظلمه امه ، ولهرطقته . وزاد الامر سوءً قرار

(١) Klyu Chevs ky , OP . cit . P 2 .



والده بتزويجه من احدى الأميرات وتسمى شالوت على الرغم من امتناعه . لذا ظل يمني نفسه بالاستيلاء على السلطة ليقتص من النبلاء الذين شجعوا والده على مسألة طلاق امه وفي مسألة تزويجه من شارلوت لا سيما وان امه ورجال الدين افهموه بان الشعب يقف الى جانبه [١] .وبإزاء إصرار والده اضطر الكسي الى الهرب بصحبة عشيقته الى جرمانيا [٢] ، ومنها تجول في دول أوربا النمسا وألمانيا وايطاليا متنكراً مع بعض حرسه ، غير ان ذلك لم يمنع شرطة القيصر السرية من العثور عليه وتمكن المستشار ترستوي من اقناع الولد الضال بالعودة الى والده وبخاصة بعد ان سلمه رسالته التي جاء فيها **" ..... اذا خضعت لمشيئتي انلتك عفوي ، وغفرت لك جميع ذنوبك ، واذا رفضت فاني بالسلطة الممنوحة لي من العلا العنك الى الابد ، ثم اعاقبك على خيانتك للوطن "** [٣].

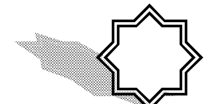
والواقع ان الكسي كان بسبب اعتقاده الخاطئ بشعبيته وحنق الاكليروس قد رسخ في ذهنه ان ثورة ماسوف تندلع في بطرسبورغ يعتلي على اثرها العرش وينتقم لنفسه ووالدته ومحبيه . غير ان شيئاً من ذلك لم يحدث . فقد اودع السجن حال وصوله بطرسبورغ سنة ١٧١٧ واخضع لاستجواب دقيق بتهمة التآمر مع النمسا والسويد فضلاً عن الاتصال بقادة القوات الروسية المرابطة في مكلبنرغ وعدد من رجال الدين والنبلاء للآطاحة بالحكومة . و على اثر اعترافاته أعدم بطرس المتهمين ، وفي الوقت نفسه اوكل مهمة معاقبة الكسي الى مجلس الدولة المكون من ١٤١ عضو من النبلاء ورجال الدين وخاطبهم **" ..... ان النواميس الالهية والشرائع البشرية تحذر الناس من الحكم على أولادهم . اما نحن فلنا السلطة المطلقة على الحكم . فالذي ظهر من ولدنا الكسي علناً ـ يجعلنا نحكم عليه ... واخشى ان اتهور في الحكم على ولدي هذا .**

---

(١) Char Ques , OP . cit , P 99 .

(٢) اكاديمية العلوم السوفيتية ، المصدر السابق ، ص ٢١٤ .

(٣) ارخت الرسالة ٢٢ / ٧ / ١٧١٦ م . انظر : -
مجلة الهلال ، بطرس وولده ، ترجمة دار الهلال ، مصر ـ ١٩١٧ ، ص ٣٥ .



فأحكموا انتم ما هو حق وعدل " [١] . وبعد مداولات مستفيضة اصدر المجلس الحكم بالاعدام على الرغم من محاولات القيصرة كاترين لمنع ذلك . وقد أحضر الكسي وابلغ بقرار اعدامه فسقط مغشياً عليه ، ولم يعفه ذلك من الموت في اليوم الثاني على الرغم من تظاهر بطرس بعفوه عنه [٢] . وبموت الكسي تجددت هموم بطرس في ولاية العهد وخاصة وان ولديه من كاترين ماتا وهم صغار . ولم يبقى غير زوجته كاترين . التي صارت قيصره للبلاد لمدة عامين . اما ابن الكسي من زوجته شارلوت والذي سمي بطرس الثاني فحكم ١٧٢٧ – ١٧٣٠ [٣] .

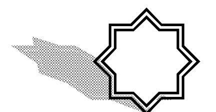
ب ـ انتفاضة أسترخان

أدت سياسة اثقال الشعب بالضرائب والسخرة الى استياء الشعب وتذمرهم من سياسة القيصر بطرس الأكبر . ففي عام ١٧٠٥ – ١٧٠٦ اندلعت انتفاضة في استرخان شارك فيها القناصة والجنود والصناع وسكان المدن والفلاحون الهاربون . والتحق بثوار استرخان سكان القرى المحيطة بها وقوزاق تيرك [*] [٤] .

استطاع الثوار احتلال المدينة وقتل حاكمها . وأقاموا حكومة من قبلهم لأدارتها . ودامت سلطتهم ما يقارب التسعة اشهر . وفي ربيع ١٧٠٦ وصلت أفواج الجيش الحكومي اطراف المدينة من اجل قمع الانتفاضة ، وحالما ما ان بدأت المناوشات بين الطرفين حتى بدأت فصائل الثوار تنقسم ويتخاذل بعضهم . اذ عارض التجار والأغنياء

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٦ – ٣٧ .
(٢) هيئة التحرير ، بطرس الاكبر قيصر روسيا ، مجلة الهلال ، ج ٤ ، السنة الاولى ، العدد الاول ، ديسمبر ١٨٩٢ ، ص ١٥٢ .
(٣) har Ques , OP . cit , P 99 .
(*) كان قوزاق تيرك يخدمون روسيا ويعيشون على شواطئ نهر تيرك الذي يصب في بحر قزوين . وقد ظهرت اول قرى لهؤلاء القوزاق في القرن السادس عشر ، وانشأ مركزهم الاساسي مدينة تيرك في مصب نهر تيرك عام ١٥٨٨ م . انظر : -
شعيب ، المصدر السابق ، ص ٧٧ .
(٤) Klyu Chevs ky , OP . cit . P 191 .



والقناصة مطالب الشعب في توزيع الأموال والحبوب الخاصة بالدولة على الفقراء . وقد اضعف هذا النزاع قوة الانتفاضة ووحدة صفها . وعندما فرضت القوات النظامية الحصار على الكرملين خرج القناصة والأغنياء ليلجأوا الى القوات الحكومية بعد اعلان العفو عنهم . فاستطاعت القوات الحكومية من قمع الانتفاضة واعدام المشاركين فيها [١] .

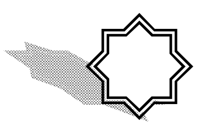
ع – انتفاضة باشكيريا

اندلعت انتفاضة في باشكيريا ١٧٠٥ – ١٧١١ . وقد نجحت الانتفاضة في بدايتها وتم طرد الجيش الروسي منها مؤقتاً . الا انها عادت وضربت بشدة وارتكبت مذبحة رهيبة ضد السكان المسلمين من قبل الجيش القيصري [٢] .

انتفاضة قوزاق الدون ١٧٠٧ – ١٧٠٨

في عام ١٧٠٧ اشتعلت نيران انتفاضة كبرى ضد الاقطاعية في الدون . وكانت نواة الانتفاضة من فقراء القوزاق والفلاحين الهاربين الذين كانوا يعيشون في المناطق العليا على رافد الدون ، والتحق بهم عمال استخراج الملح . وكذلك شارك الفلاحون والقوزاق والاكورانيون معهم وقد اباد الثوار فصيلة يود لغروكي التأديبية التي أرسلت الى الدون لقمع الانتفاضة وتأديب المشاركين فيها . ولقد ترأس الحركة القوقازية كونداراتي بولافين C . Bulavin من الدون ، وتوجهت فئة القوزاق العليا التي ترأسها

(١) Tikhomirovis , OP . cit , P 219 .
(٢) مصطفى محمد الطحان ، مستقبل الاسلام في القوقاز وبلاد ما وراء النهر ، الكويت – ١٩٩٥ ، ص ٣٠ .



الغيتمان العسكري لوكيان مكسيموف L . Maximov ضد بولافين وحطمت فصيلته . فالتجأ بولافين الى زابورجية [١] .

وفي ربيع ١٧٠٨ استؤنفت الحركة بقوة من جديد . فتحرك بولافين من مدينة بريستانسكي على نهر خوبير نحو مدينة تشيركاسك . عاصمة جيش الدون [*] . وفي طريقه اليها كان يوزع رسائل الدعوة للانضمام اليه على جميع الرعاع من اجل القضاء على البويار والقواد واطلاق سراح السجناء من سجونهم . وسرعان ما انضم اليه الكثير حتى بلغ تعداد قواته خمسة عشر الف رجل استطاع بهم تحطيم قوات مكسيموف التي واجهت بولافين من ازوف . وعندما اقترب بولافين من تشيركاسك كان عدد افراد جيشه حوالي عشرة ألاف رجل [٢] .

وشملت الحركة آنذاك أعالي الدون مع روافده حيث كانت مدائن عديدة مأهولة بالهاربين والعاطلين وكذلك القسم الاسفل في الفولغا حتى تساريتسين وسارتوف ثم اقضية الدولة الروسية الجنوبية مثل قضاء تاميوف . وقضاء كوزلوف . واحتل القوزاق والفلاحين مدينتي يورد يسوغليبسك ويامبولو كذلك مدينتي كايشين ويتسارتيسين على الفولغا وحاصرت ساراتوف [١] . وفي ايار عام ١٧٠٨ احتل بولافين مدينة تشيركاسك بمساعدة قوزاقها الفقراء الثائرين . واعدام لوكيان مكسيموف ، وانتخب بولافين غيتماناً عسكرياً وحاصرت فصائل بولافين قلعة ازوف المحصنة ولكنها لم تستطع احتلالها [٢]

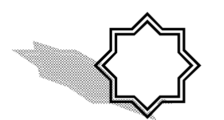
---

(١) Klyu Chevs ky , OP . cit . P 66 .

(*) كان جيش الدون او اراضي جيش الدون . يقع في اواسط واسفل نهر الدون وسكن هذه الاراضي الاقنان الذين هربوا اليها في نهاية القرن الخامس عشر والذين وضعوا اساس قوزاق الدون . وبالتدريج تكونت في الدون ادارة ذاتية . وكان القوزاق ينتخبون الغيتمان وغيره من القادة العسكريين . وكان الغيتمان يعقد العلاقات باسم جيش الدون مع الحكومة الروسية . التي كان القوزاق التي كان يحصلون منها على مرتبات العيش والرصاص والبارود للدفاع عن الدولة الروسية من هجمات تتار القرم الذين تويدهم الدولة العثمانية . انظر : -
يبيانوف ، المصدر السابق ، ص ٢١٤ .

(٢) شعيب ، المصدر السابق ، ص ٧٩ .

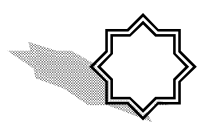
(١) زيتون ، المصدر السابق ، ص ٢٧٧ .



. فأرسلت الحكومة القيصرية جيشاً كبيراً وقوياً بقيادة دولفروكي للقضاء على القوزاق واستغلت القوات الحكومية خطأ بولافين الذي لم يستطع ان يركز قواته ، واعطى ثقة كبيرة لقوزاق الغولغا العليا فعملوا على خيانته في تشيركاسك ، فقتل بولافين على اثرها [٣] . غير ان الانتفاضة استمرت بعد مقتله . اذ قاومت فصائل القوزاق والفلاحين القوات القيصرية طويلاً وحطمت فصيلة نيكيتاغولي Nikita Goly فوجاً من الجيش القيصري ، الا الجيش استطاع اخماد الانتفاضة في خريف ١٧٠٨ فقتل الآلاف من القوزاق والفلاحين وقد شمل القتل حتى النساء والأطفال ، ومن ثم تم تدمير القرى بكاملها دون رحمة. [٤]

---

[٢] بلاتنوف ، المصدر السابق ، ص ٣١٠ .
[٣] بيبانوف ، المصدر السابق ، ص ٢١٥ – ٢١٦ .
[٤] شعيب ، المصدر السابق ، ص .



الفصل الثالث

علاقات روسيا القيصرية بالدول الاسلامية والصين في عهد القيصر بطرس الاكبر

المبحث الاول : العلاقات الروسية ـ العثمانية

المبحث الثاني : العلاقات الروسية ـ الايرانية

المبحث الثالث : العلاقات الروسية ـ الاوزبكية

المبحث الرابع : العلاقات الروسية ـ الصينية

اشاع رئيس الوزراء البروسي بودولز Bodolez خبر ان للقيصر بطرس الاكبر وصية اختط لخلفائه بها نهج السياسة ، وقد اخبر بودولز الملك البروسي فردريك العظيم Frederick II ١٧٤٠ - ١٧٨٦ بأن سفير روسيا في برلين قد أسر اليه بأنه توجد لائحة يمشي عليها قياصرة روسيا في سياستهم الخارجية . وفيها ان على روسيا المحافظة على صداقة بروسيا وان تكون ابداً صديقة وحميمة لها . وقيل ان أبا بولندياً قدم للملك فردريك العظيم صورة عن الوصية المذكورة . كان قد نقلها بنفسه عن النسخة الاصلية التي عثر عليها في وثائق الحكومة الروسية . وفي سنة ١٨١٢ م نشر المسيو لاسير احد الكتبة في وزارة الخارجية الفرنسية صورة تلك الوصية في احدى الصحف الفرنسية ، وقال انها النسخة التي قدمت للملك لفردريك العظيم () .

مما لا شك فيه ان وصية بطرس الاكبر ١٦٨٢ - ١٧٢٥ وثيقة مزورة قد يكون المنتفعين سياساً واقتصادياً وربما مخططين استراتيجين روس الى وضع تلك الوصية . وعلى الرغم من الدراسات اكدت ان الوثيقة ، الا انها وضحت بداية السياسة الاسيوية التي وضعها بطرس وسار عليها خلفاءه من القياصرة الروس () . والواقع ان التوجه الروسي زمن بطرس نحو آسيا كان جزءً من مشروع اكبر هدف منه القيصر الذي انفرد بالحكم سنة ١٦٨٩ بعد وفاة شقيقه ايفان ، ايجاد منافذ خارجية لبلاده . فقد ادرك منذ وقت مبكر ان بلاده متخلفة مقارنة بجاراتها الاوربيات لاسباب عدة اهمها انها حرمت بسبب موقعها الجغرافي من الحصول على ميناء مفتوح يكون لها نافذة تطل منها على العالم وتتزاوج حضارياً واقتصادياً مع شعوبه ، فالميناء الروسي اركانجل Arechangle الوحيد المنحدر من بحر البلطيق متجمد طلية ايام السنة بينما تفصل دول الثامن عشر القوية السويد والدولة العثمانية بين روسيا والبحر () وكان احد المؤرخين الروس قد عبر عن هذه لحقيقة تعبيراً رائعاً بقوله " ... ان البحر قريب لكن

() العسلي ، المصدر السابق ، ص ١٢٧ ؛ احمد عبد الرحيم مصطفى ، وصية بطرس الاكبر المزيفة ، مجلة العربي ، العدد ٢٧٣ ، اغسطس ١٩٨١ ، ص ٥ - ٥٨ .

() اعتبر القيصر الروسي نيقولا الاول ١٨٢٥ - ١٨٥٥ Nikoly I وصية بطرس الاكبر دستوراً لسياسته . للمزيد من التفاصيل انظر :

Valntine . C , The Middle Eastern Question or Some Poltical Problems of Indian Defence , London - 1903 , P . 37 .

() J . S . Bromley , The Rise of Great

الوصـول اليـه متعـذراً " () عندئـذ لـم يكـن امـام القيصـر مـن سـبيل اللجـوء الـى القـوة للاستيلاء علـى اراضـي جديـدة تقربـاً للبحـار المفتوحـة القريبـة مـن روسـيا . فمـن اجـل الوصـول الـى بحـر البلطيـق كـان لا بـد مـن الاسـتحواذ علـى الاراضـي المتاخمـة لـه والخاضعة لسيطرة السويد القوية . اما المنفذ المهم الاخر فكان البحر الاسود الخاضع للدولة العثمانية والذي بلغ من الاهمية لها ان السلطان العثماني كان يفضل دخول الغرباء الى مخدعه الخاص على ان يسيروا سفنهم في مياهه () . ()()()()()()()()()()()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

()

الفصل الرابع

علاقات روسيا القيصرية بدول اوربا في عهد القيصر بطرس الاكبر ١٦٨٩ – ١٧٢٥

المبحث الاول : العلاقات الروسية ـ السويدية

المبحث الثاني : العلاقات الروسية ـ الفرنسية

المبحث الثالث : العلاقات الروسية ـ البولندية

المبحث الأول

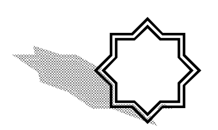
العلاقات الروسية – السويدية

أكدت روسيا القيصرية عام ١٦٩٩ على معاهدة الصلح مع السويد الوقعة في كاردز Cardz ١٦٦١ وذلك من خلال تبادل الزيارات الرسمية مع الحكومة السويدية وتقديم الضمانات بمواصلة السلام [١] .

الا ان رغبة القيصر بطرس في الحصول على منفذ في بحر البلطيق يصل روسيا بأوربا الغربية لتحويلها الى دولة أوربية متطورة . وكان بحر البلطيق آنذاك بحيرة سويدية مغلقة حتى سمي (المتوسط السويدي) فكان لابد لروسيا من اختراق الأقاليم السويدية لتضمن الوصول الى نافذة تطل على البحر . وجاءت الأحداث الداخلية في مملكة السويد مناسبة لما كان يتطلع اليه القيصر فقد كان الصراع بين الطبقة الارستقراطية والبلاط الملكي قد بلغ مرحلة حادة ولاسيما بعد ان أعلن الملك شارل الحادي عشر Charle XI ١٦٥٥ - ١٦٩٧ الحكم المطلق سنة ١٦٨٠ وفرض على الاشراف ان يردوا الى العرش كل الأملاك المستغلة من قبلهم منذ سنة ١٦٠٩ وثارت الطبقة الارستقراطية ضده خاصة اشراف ليفونيا الذين اختاروا جون باسكولد Jhone Pasikold ممثلاً عنهم لمقابلة الملك . ولسوء لهجته وإعلان تذمره على قرار الملك ، امر الاخير بالقاء القبض عليه واحالته الى محكمة عسكرية حكمت عليه بالاعدام . الا ان

---

(١) **See The full text of the con cirmation of the older peace with Russia . Aprill . 1699 , Quted in S.I.O.I.N , No. 41.**



باسكولد استطاع الهرب واتصل بملك بولندا وعرض عليه مخططه الذي كان يقوم على اساس مهاجمة الدول المجاورة للسويد والبلطيق في وقت واحد . وقد لاقى هذا المقترح ترحيباً كبيراً عند بطرس الاكبر حين عرض عليه لا سيما الجزء المتعلق احتلال الأقاليم التابعة لفلندا القديمة وهما (انغريا وكارليسا) [1] . وبذلك وجد بطرس الاكبر في قضية باسكولد حلاً لمشكلة نافذة على الغرب فبدأ بالاستعداد لحرب الشمال سيما بعد ان انتهت مفاوضات رادا – موسكو عام ١٦٩٩ بتشكيل تحالف مسلح يتكون من روسيا وبولندا والدنمارك ضد السويد [2] .

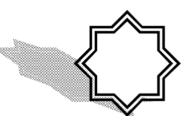
وكانت الأوضاع في البلطيق علم ١٧٠٠ مهيأة تماماً لإعلان الحرب . اذ كان الفلاحون مستأوون من الاحتلال السويدي فضلاً عن دور باسكولد في تهيئة الأوضاع في البلطيق . وفي الأول آب من العام المذكور أعلنت الحرب ضد السويد . وبدأت الدنمارك باحتلال شلوزفيك وحاصرت بولندا ريغا والغريب في الامر هو تراجع الموقف الروسي السريع في امر الحرب اذ ارسل القيصر بطرس الاكبر مبعوثه تشلكوف Chelkov الى الملك السويدي شارل الثاني عشر Charles XII ١٦٩٧ – ١٧١٨ يوم ٢ اب ١٧٠٠ أي بعد اعلان الحرب بيوم واحد فقط . وقد قدم المبعوث اوراق اعتماده للملك السويدي . ولكن القيصر عاد للتحالف الثلاثي في ٨ آب ١٧٠٠ [3] . وقد يكون ذلك الامر، بسبب ان القيصر اراد من خلال مبعوثه معرفة حقيقة النوايا السويدية . ولما وجد ان الملك غير مستعد للتحالف معه وتقديم التنازلات لروسيا في البلطيق ، عاد وانقلب ضده خاصة وان القيصر لم يضمن استمرار التحالف ضد السويد وهو ما حدث بالفعل .

---

(١) العسلي ، المصدر السابق ، ص ٤٤ – ٤٥ .

(٢) كان لكل من الدنمارك وبولندا اطماع في الاراضي السويدية . للمزيد من المعلومات . انظر : -
Maland , Op. cit. , P. 416 .

(٣) **Letter from Peter the great to Charles XII . April 24 the 1700 , Quted in S.I.O. I. N. , NO. 42 .**



الفصل الرابع

علاقات روسيا القيصرية بدول أوربا في عهد القيصر بطرس الاكبر

المبحث الأول ـــــــــــــــ العلاقات الروسية – السويدية

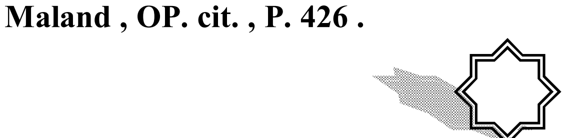
ارسلت الحكومة الروسية في ٨ آب ١٧٠٠ جيشاً قوامه ٣٥٠٠٠ رجل يقوده الجنرال دوق دي كروي Doke De Groy . وعلى الرغم من القوات الروسية اكثر عدداً من القوات السويدية التي لم تتجاوز العشرة ألاف . الا ان انسحاب الدانمارك كان له اثره في موقف الجيش الروسي واضعافه امام الجيوش السويدية المدربة جيداً والمتفوقة من ناحية التسليح . مما اجبر القيصر على البحث عن قوات اضافية تمكنه من حسم المعركة [١] . الا ان السويديين استغلوا تلك الفرصة وباغتوا الجيش الروسي تحت ستار الظلام والضباب بالقرب من حصن نارفا الاستوني وقد تزامن هذا الهجوم الكاسح مع انتشار الشائعات حول خيانة القادة الأجانب في الجيش الروسي . مما سهل على السويديين الانتصار بل الاكثر من ذلك هو قتل الجنود الروس لقادتهم الأجانب الذين اعتقدوا فيهم الخيانة حتى ان القائد كروي الألماني الاصل نجا باعجوبة من ايدي جنوده المتمردين . وفي نهاية المعركة جمع الملك السويدي اسراه الروس ومنحهم حريتهم بعد خطاب تحريضي ضد القيصر بطرس الاكبر [٢] .

استغل القيصر انشغال الجيش السويدي في جبهات القتال البولندية . وقدم المساعدات العسكرية والمالية للملك البولندي ليطيل من امد الحرب هناك . ليتفرغ لتنظيم صفوف جيشه المنهار واعادة تسليحه . وبالفعل تمكن القائد الروسي شرمتييف Sheremetief من مهاجمة القوات السويدية التي كانت تحت قيادة سلبنياتش Slibeniash في ليفونيا ، وكان الروس اكثر عدد من السويديين فتحقق لهم الانتصار مكبدين القوات السويدية ٣٥٠٠ قتيل واسر ٣٥٠ آخرين . وعلى الرغم من ضآلة الانتصار الروسي ، فان موسكو أعلنت الاحتفالات الكبرى ، واصدر القيصر بطرس

---

(١) انسحبت الدنمارك بعد ان كادت العاصمة كوبنهاجن تسقط بيد السويديين لولا تدخل انكلترا وهولندا . وعقد صلح ترافندال في ٢٠ اب ١٧٠٠ والذي اعاد استغلال هولشتاين . للمزيد من المعلومات انظر : - **Arun Bhattachar Jee , A history of Europe 1453 – 1789 , New Delhi – 1985 , P. 95 .**

(٢) **Maland , OP. cit. , P. 426 .**



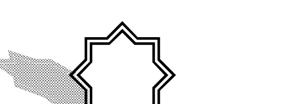
أوامره بترقية شرمتييف الى رتبة كاتم أسرار الجيش (قائد عام) وهتف بطرس (المجد لله ، اننا سنكون في يوم من الأيام قادرين على هزيمة السويديين) . وفي السنة ذاتها أي سنة ١٧٠١ استطاع الأسطول الروسي الانتصار على سبع سفن سويدية في معركة وقعت في مياه البلطيق [١] .

تجدد القتال سنة ١٧٠٢ وتمكن شرمتييف من الحاق الهزيمة بالقوات السويدية في هملسدرون Hemlsdrone وقتل ستة الاف محارب سويدي من اصل ثمانية الاف كما استولى على الذخائر والمدافع [٢] . بدأ القيصر بعد تلك الانتصارات تنفيذ مخططاته للاستيلاء على نهر نيفا . فاستولى في البداية على قلعة نوتبرغ المسيطرة على النهر عند خروجه من بحيرة لادوغا Ladoga . واطلق عليها اسم سلسلبرغ ومعناها (قلعة المفتاح) لاهميتها الاستراتيجية .

كما استولى الروس على قلعة نهيشانتز بعد استسلام حاميتها . وفي السادس عشر من ايار اصدر القيصر اوامره ببناء حصن بطرسبورغ في جزيرة زايتشي الواقعة على دلقا النيفا وقد اصبح الحصن فيما بعد عاصمة الامبراطورية الروسية بطرسبورغ . وكانت تلك الجزيرة حاجزاً حصيناً منع السويديين من عبور نهر النيفا [٣] . ثم تجدد القتال سنة ١٧٠٣ واستطاعت البحرية الروسية الاستيلاء على سفينتين سويديتين كما استولوا على بعض المدن الهامة ، ومن جهة اخرى قام القيصر بقتل عدد كبير من السويديين ، واسر الرجال والنساء والأطفال ، وقام باحراق عدة مدن ليخفف من شدة المقاومة السويدية في بولندا . وما بين عامي ١٧٠٣ – ١٧٠٥ تمكن القيصر من ضم ايثونيا وليفونيا ، وعبرت القوات الروسية نهر دونيا Donia واحتلت (كورلاند ولنا) أي انه استولى على ثلثي المناطق البلطيقية التابعة للسويد [١] .

---

(١) العسلي ، المصدر السابق ، ص ٥٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٥ .
(٣) Andrews , OP. cit . , P. 40 .



وتأزم الوضع الروسي عام ١٧٠٦ وبخاصة في الخريف بعد ان استطاعت القوات السويدية دخول الساكس ، واستسلام الملك البولندي اوغسطس الثاني مما يعني توجه الجيوش السويدية نحو الأراضي الروسية . وقد قام القيصر بعدة محاولات لكسب انكلترا الى جانبه . غير ان الانكليز رفضوا حتى الوساطة في إنهاء الحرب . مما استوجب على مجلس الحرب القيصري في نهاية كانون الأول ١٧٠٦ إصدار قانون التعبئة العامة المستندة على اساس مشاركة الشعب في عمليات المقاومة وإتباع سياسة الارض المحروقة . على الرغم من الانتصار الذي حققه منشيكوف Menshikov على القوات السويدية في معركة كاليتش Kalitch [٢] .

ادى تصعيد الصراع باستمرار ما بين روسيا والسويد الى تحكم العداء بين القيصر الروسي والملك السويدي . وانصرف كل واحد منهم لقهر الخصم وسحق قواته ، واستطاع ملك السويد التحالف مع عدد من امراء وملوك أوربا مثل أمير هانوفر وملك انكلترا جورج الأول George I [*] ١٧١٤ - ١٧٢٧ ولكن ذلك لم يضعف من ارادة القيصر الذي وصفه احد العثمانيين بأنه **"... ذو رأس حديدي ، وقلب لا يعرف الخوف او الوجل ، وعزم لا يصله الخور او الوهن مهما عظمت الأحداث "** [١] .

زحفت الجيوش السويدية عام ١٧٠٧ والبالغة ١٥٣ ألف مقاتل مجتازة سكسونيا متوجهة نحو الأراضي الروسية . في حين بقى عشرة آلاف مقاتل لحماية الأمير البولندي الجديد ليسنسكي Luczyznski حليف السويد . علماً بان الملك السويدي لم

---

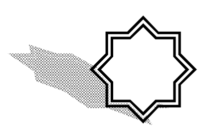
(١) **Maland , OP. cit. , P. 426 .**

(٢) **العسلي ، المصدر السابق ، ص ٥٦ .**

(*) **هو جورج دوق هانوفر من مواليد اوزنا بورك ١٦٦٠ – ١٧٢٧ حكم هانوفر ثم اصبح ملك انكلترا سنة ١٧١٤ وهو اول الهانوفريين الذين حكموا انكلترا والذين لا زالت سلالتهم تحكم انكلترا الى هذا اليوم ، للمزيد من التفاصيل . انظر :**

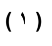
Paul Kennedy , The Rise and Fall of the Great powers , New York – 1987 , PP. 75-76 .

(١) **العسلي ، المصدر السابق ، ص ٥٦ .**

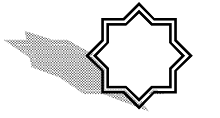


ينتظر حتى تصل الإمدادات البالغ عددها ١٦٠٠٠ مقاتل والتي كانت تنتظر في ريفا . فقد وضع خطته لاحتلال موسكو عن طريق سمولنسك [٢] . وفي مطلع عام ١٧٠٨ احتلت القوات السويدية مدينة جردونا التي اقتحمها الملك السويدي بمئة جندي فقط . كما استولت القوات السويدية في تموز على مدينة ماجليف واندفعت في شهر اب نحو سمولنسك . في حين بدأت القوات القيصرية بالانسحاب الى الداخل مدمرةً خلفها كل ما قد يستفاد منه السويديون وفي الوقت نفسه سعى القيصر الى الصلح فلم يكن يطلب سوى منفذ على البلطيق فاجابه ملك السويد **" ... سأتباحث معك في موسكو "** فرد بطرس **" ... ان اخانا شارل قد أراد ان يجعل نفسه الاسكندر ولكنه نسي انني لست داريوس ملك الفرس "** [٣] .

واجتاز الجيش السويدي نهر نيمن في وسط غابات مسك . وقام بقطع الاشجار لشق طريق من اجل الوصول الى برزبينا . وكانت القوة التي قادها شارل الثاني عشر لا تزيد عن ثلاثين الف مقاتل فوصل الى موهيليف ومستسلاف . وفي سمولنسك هاجم قوة روسية واستطاع هزيمتها . ثم استأنف تقدمه فوصل في أيلول ١٧٠٨ مسافة تبعد ٣٠٠ ميل عن موسكو [١] . الا ان الشتاء القارص وقوة الاستحكامات الدفاعية بموسكو افشلت حمتله فضلاً عن سياسة الأرض المحروقة التي ابدع فيها الفلاحون الروس الذين هربوا بماشيتهم نحو الغابات الثلجية لذا قرر المجلس الحربي السويدي بالعودة من مستسلاف الى موهيليف والانتظار هناك حتى يصل القائد السويدي لونهايت Lewenhaupt بقواته فضلاً عما يحمله معه ذخيرة ومؤن وكذلك انتظار القائد القوزاقي مازيبا Mazippa [*] الذي وعد الملك السويدي بالانضمام اليه ومعه عدد



(٢) Lisk , Op. cit. , PP. 172 – 173 .
(٣) Andersson , OP, Cit , P. 231 .
(١) Maland , OP , Cit , P. 228.



كبير من المقاتلين القوزاق وعلى هذا الأساس توجه الجيش السويدي الى موهيليف ومنها الى اوكرانيا ، وفي اثناء ذلك كان الجيش الروسي يتابع تحركات عدوه حتى تمكن في نهاية ايلول من مباغتته جيش لونهايت وقتل عدد كبير من أفراده . فاضطر القائد السويدي الى احراق الذخيرة والتموين حتى لا يستفاد منه الجيش الروسي . علماً بان الروس قد تمكنوا من اسر ما تبقى من جيش لونهايت بعد هرب قائدهم [٢] . اما مازيبا فلم يقدم العون الذي وعد به اذ رفض القوزاق خيانة القيصر بطرس الاكبر باستثناء قوزاق الزابوردغ اقاربه . فارسل له القيصر قواتاً بقيادة منشكوف . الا ان مازيبا تمكن من الهرب ليلحق بالجيش السويدي وبرفقته حامية صغيرة [٣] .

زحف بعد ذلك الجيش السويدي جنوباً للاستيلاء على باتورين Patoreen عاصمة مازيبا ليضع يده على مخازن التموين . ولكن القائد الروسي تمكن من احراق المدينة ونهبها قبل وصول السويديين اليها . فضلاً عن تنصيب قائداً جديداً للقوزاق مواليا للحكومة القيصرية . وتوزيع منشور من القيصر بطرس الأكبر على القوزاق الذي قال فيه عن **السويديين " ... انهم مهرطقون وينكرون عقائد الدين الصحيح ويبصقون على صورة العذراء المقدسة "** [١] .

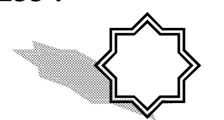
كان شتاء ١٧٠٨ – ١٧٠٩ قاسياً جداً على الجيش السويدي اذ تجمد البلطيق وكست الثلوج الأراضي الاوكرانية . فلم يتحمل الجنود السويديون قسوة البرد فمات عدد كبير منهم جوعاً وبرداً . ووصف احد شهود العيان حالة الجيش السويدي آنذاك بقوله

(*) هو زعيم قوزاقي بدرجة غيتمان من مواليد ١٦٤٤ . اشتهر بمغامراته الحربية . تم انتخابه زعيماً للقوزاق ودخل في خدمة القيصر الروسي بطرس الاكبر في بداية الامر الا انه انقلب وتحالف مع ملك السويد . للمزيد انظر : -

(٢) E. N. William , The Ancien regime in Europe government and socity in the major states 1648 – 1789 , London – 1970 , P. 222 .

(٣) العسلي ، المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(١) Dymtrshyn , Op. cit . , P. 233 .

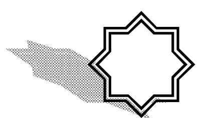


" ... كنت ترى بعضهم بغير ايدي ، وبعضهم بغير ارجل ، وبعضهم بغير اذان وانوف . وكثيرون يزحفون في سيرهم على نحو ما تفعل ذوات الأربع " (٢) . وعلى الرغم من ذلك اصدر الملك السويدي شارل الثاني عشر أوامره بالمسير . فما كان من الجنود الا القاء اسلحتهم في النهر بسبب عدم قدرتهم على حملها وعدم وجود الحيونات اذ هلكت الخيول بسبب البرد وقلة الاعلاف (٣).

وكان الملك السويدي يحاول الدخول في معركة حاسمة مع الجيش الروسي ولكن ما ان انتهى فصل الشتاء حتى كان الجيش السويدي قد تقلص عدده من ٤٥.٠٠٠ مقاتل الى ٢٢.٠٠٠ مقاتل (٤). وفي ١١ نيسان ١٧٠٩ وصل الجيش السويدي الى بولتافا Poltava . وعلى مقربة من الجيش الروسي البالغ عدده ٨٠.٠٠٠ مقاتل . وزاد الامر سوءاً تعرض الملك السويدي الى اصابة في قدمه في احدى جولاته الاستطلاعية منعته من قيادة جيوشه . وقد عين الجنرال كارال رينسكولد C . Rehnskod قائداً بدلاً منه مع إعطائه تعليمات الملك بالهجوم يوم ٢٦ نيسان ١٧٠٩ (١). وبازاء هذه التطورات قرر بطرس الأكبر الاشتباك مع السويديين في موقعة حاسمة . فقاد جيشه الى قرب بولتافا يوم ٢٥ حزيران وبنى معسكراً حصيناً شمال المدينة بمسافة لا تتجاوز ٥ كيلومترات . كما امر ببناء أربع منشآت دفاعية على خط واحد في مكان مفتوح بين الغابات ممتد حتى مسافة كيلو مترين . واتبعها ببناء ٦ منشآت دفاعية عمودية على خط الأول . وأمكن أنجاز تحصين من اصل الأربعة الأولى بشكل نهائي . وكانت المنشآت الدفاعية عبارة عن ساتر ترابي محصن له شكل رباعي ، وتبعد كل منشآة عن التي تليها مسافة ١٥٠ ميلاً (٢). وقد نظم القيصر بطرس قواته ووزعها ، فعين لقيادة القلب

---

(٢) **Andersson , Op. cit . , P. 235 .**
(٣) **Dymtr shyn , OP . cit , P. 234 .**
(٤) **Ibid , P. 235 .**
(١) **Ibid , PP . 235 – 236 .**

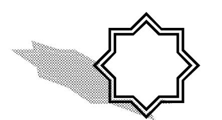


الجنرال شرمتييف . وقيادة الجناح الايمن الى رينيه Rineh وترك قيادة المدفعية الى بروس Pruce وخطب فيهم مشجعاً " ..... **ان الساعة التي يقرر فيها مصير بلادنا ومستقبلها قد حانت وانكم محاربون لاجل المملكة التي يخدمها بطرس من اجل وطنكم ودينكم الارثودكسي ولاجل كنيسة الله . واعلموا ان بطرس مستعد للتضحية بحياته من اجل انتصار روسيا ورفعتها ومجدها "** [٣] .

تمركزت أفواج المشاة الروسية ومدفعيتها في العسكر المحصن في ليلة ٢٧ حزيران . كما تمركز فوج واحد في المنشأت الميدانية المحصنة . اما الخيالة فقد تمركزت كلها خلف المنشآت المحصنة . وتركت قيادتها الى متشنكوف . وكانت خطة بطرس الاكبر تتلخص في انهاك العدو امام المنشآت المحصنة التي كانت بمثابة الموقع المتقدم . ثم تدميره نهائياً بموقعة رئيسية حاسمة [٤].

زحف الجيش السويدي نحو القوات الروسية فجر يوم ٢٧ حزيران ، وقد سارت المشاة في الخط الاول منتظمة بأربعة ارتال ، وسارت الخيالة منتظمة بستة ارتال في الخط الثاني . وعند وصول المشاة السويدية الى المنشآت الدفاعية الاربع بدات المعركة عندها امر القادة السويديون خيالتهم بالعبور من بين الارتال لاخراج الروس من داخل المنشآت [١]. ومع بزوغ الفجر استطاعت القوات السويدية في بداية الامر احتلال منشأتين من المنشآت الأربع الطولانية الا انها لم تستطع احتلال الاثنتين الباقيتين . فاصدرت الأوامر للخيالة السويدية بالاتجاه يساراً ، وان تتجنب المنشآت الدفاعية لضراوة المدافعين عنها . وقد سمح القائد متشنكوف بعبور جزء كبير من القوات السويدية ، ومن ثم امر خيالته باغلاق الثغرة الواقعة ما بين الغابة والمنشآت الدفاعية . مما ادى الى تجزئة القوات السويدية . اذ استطاع جزء منها العبور . اما الجزء الاخر

(٢) العسلي ، المصدر السابق ، ص ٦٠ .
(٣) شعيب ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .
(٤) العسلي ، المصدر السابق ، ص ٦٢ .
(١) المصدر نفسه ، ص ٦٣ .



هرب الى الغابة القريبة من بولتافا بعد فشلهم بالعبور . فبدأ متشنكوف مطاردة الفارين للغابة وقتلهم . اما المجموعة السويدية التي استطاعت العبور فقد توجهت نحو المعسكر الروسي بهدف احتلاله . الا انها تفاجأت بنيران المدفعية والاسلحة النارية الروسية التي لم يتوقعها القادة السويديون بتلك الكثافة الامر الذي اجبرهم على الانسحاب الى غابة بوديشنسك [٢] .

امر بطرس الاكبر قواته بالسماح للقوات السويدية المتحصنة بالغابة بالخروج والقتال على ارض مكشوفة بعد ان قام بترتيب قواته . وفي المقابل اضطر الملك السويدي الى قيادة جيوشه المنهارة على الرغم من اصابته البليغة فاصدر امراً بان يشكل الخيالة على الاطراف خطين [٣] .

اقتربت القوات الروسية والسويدية من بعضها في الساعة التاسعة صباحاً . وبعد الوصول الى المدى المناسب . ابتدأت المعركة النارية ، ثم بدأ الالتحام بالسلاح الأبيض على طول الجبهة . وعندها قامت الخيالة الروس بفرض طوق على الأجنحة السويدية . ومن ثم اندفعت نحو مؤخرة هذه القوات التي فضلت الهرب على القتل . وعند الساعة الحادية عشر كان معظم القوات السويدية قد انتهت اما من تبقى من السويديين فلقد شكل القائد الروسي متشنكوف مفارز من الخيالة لمطاردتهم حتى انتهى الامر باستلام ١٥ ألف مقاتل سويدي بعد نفاذ ذخيرتهم من بينهم قائدان والعديد من المراتب [١] .

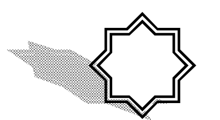
وكتبت جريدة بطرس الأكبر عن معركة بولتافا ١٧٠٩ الآتي **" ... طاردت قواتنا جيوش الاعداء حتى الغابة التي كان السويديون اصطفوا فيها قبل المعركة ، واثناء ذلك استسلم في البداية اللواء السويدي شتاكليبورغ ، ثم اللواء غاميلتون ، وكذلك المشير رينشيلد . وأمير فيرتيزغ مع كثير من العقداء الاخرين وضباط الافواج**

---

(٢) Andersson , OP. cit . , PP. 235 – 236 .

(٣) العسلي ، المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(١) المصدر نفسه ، ص ٦٤ .



والسرايا وبضعة الاف من الجنود الذين كان معظمهم بالأسلحة والاحصنة واسروا جميعاً " [٢] .

اما فيما يخص الملك السويدي لويس الثاني عشر فلقد نجا من المعركة باعجوبة بخاصة بعد ان دمرت نيران المدفعية الروسية المحفة الجالس عليها مما اضطر برجاله الى حمله على اكتافهم حتى استطاع ركوب حصان واللجوء الى الدولة العثمانية وبرفقته القائد القوزاقي مازيبا وألف رجل [٣] . وفي الليلة التالية أي يوم ٢٨ حزيران اقام القيصر بطرس الأكبر حفلاً كبيراً حضره قادة الجيش السويدي الاسرى ، وقد اكرمهم القيصر وشرب نخبهم كما أقيمت الاحتفالات في موسكو ، وقرعت أجراس الكنائس [١] .

تابعت القوات الروسية عملياتها العسكرية نهاية ١٧٠٩ في البلطيق وقد احتلت ريفاودنابورغ وريفال . وفي مطلع ١٧١٠ استكملت القوات الروسية ليفونيا واستونيا وانغريا . كما سقطت فيبورغ وكيكشوم في نهاية العام [٢] . ومن جانب اخر كان للانتصار الروسي ابعاده على المستويين الداخلي والخارجي فمن الداخل عزز القيصر بطرس الاكبر سلطته على الاقاليم القوزاقية وبخاصة اوكرانيا الشرقية . وفرض اصلاحاته على المجتمع الروسي . اما على المستوى الدولي الخارجي فلقد عادت الدنمارك وبولندا الى تحالفهما معه . اما انكلترا وفرنسا فلقد اقلقتها الانتصارات الروسية في البلطيق وتقدم الجيوش الروسية نحو اوربا الغربية الا ان انشغال قواتهم العسكرية في حرب الوراثة الاسبانية ١٧٠٢ – ١٧١٣ (*) . ومنعتهم من اتخاذ أي قرار عسكري

---

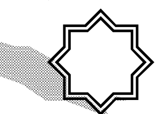
(٢) مقتبس من ، يبيانوف ، المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .

(٣) Andersson , OP. cit . , P. 235 .

(١) العسلي ، المصدر السابق ، ص ٦٤ .

(٢) Huch Setom-waatson , The Russian Empire 1801 – 1917 , Oxford – 1967 , P. 9 .

(*) لم يكن لملك اسبانيا شارل الثاني Charles II ١٦٧٧ – ١٧٠٠ وريث للعرش من بعده . وكانت احدى اخواته تزوجت من لويس الرابع عشر ملك فرنسا ، والثانية تزوجت من الامبراطور ليبولد ، وترك وصيته



ضدها ، ولكنهم استطاعوا بدبلوماسيتها اثارة الدولة العثمانية مستفيدين من لجوء شارل الثني عشر ملك السويد للاستانة [٣] . وفي اشارة واضحة الى الذعر الاوربي من التوسع الروسي قال البارون اوربيش وزير روسيا الى الفيلسوف ليبنتز **" ... لقد بدأ الناس يخشون القيصر . كما كانوا في السابق يخشون السويد "** . فرد عليه ليبنتز **" ... الخبر يسري في ان القيصر سيكون مخيفاً لأوربا كلها ، وسيكون نوعاً ما تركي الشمال "** [١] . وتحت تأثير الخوف طرحت مراراً فكرة عقد تحالف اوربي دفاعي . الا ان ذلك لم يحدث على الرغم من هزيمة روسيا على يد العثمانيين في بروث عام ١٧١٠ وتوقيعها صلحاً مذل نوعاً ما عام ١٧١١ كان من ضمنه تأمين عودة الملك السويدي شارل الثاني عشر الى عرشه [٢] .

تابع الأسطول الروسي والمتكون من ٢٠٠ سفينة عملياته العسكرية في البلطيق في شهر ايار ١٧١٣ بقيادة الجنرال ابرسكي فابحر من مياه نافا ليظهر بصورة مباغته امام العاصمة الفلندية هلنسكي Hilsenky وتمكن من احتلالها . كما استولى على مكتبة ابوا الثمينة وأرسلها الى بطرسبورغ . ومن ثم تابع تقدمه نحو تارسرفورس [٣] وفي مطلع عام ١٧١٤ تمكن الأسطول الروسي من هزيمة الأسطول السويدي في هانكوك . واحتلال جزيرة الاند الواقعة في الارخبيل الفلندي . وتهديد العاصمة السويدية

بان يرث عرشه فيليب حفيد لويس الرابع عشر على شرط ان لا تتوحد فرنسا واسبانيا . وعليه فان قبول فيليب عرش اسبانيا يعني وقوع اوربا الجنوبية ومعظم الامريكيتين الشمالية والجنوبية في يد لويس وعائلته . أي ايجاد دولة في الغرب اقوى من امبراطورية شارل الخامس مما اثار ذلك مخاوف انكلترا . فاندلعت حرب الوراثة التي تجاوزت نيرانها اوربا الى المستعمرات ما وراء البحار . وقد استمرت مدة عشر سنوات حتى تم عقد صلح اوترخت ١٧١٣ الذي تقاسم فيها المتنازعون الاملاك الاسبانية . للمزيد من المعلومات . انظر : -

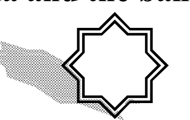
Hume , OP , cit , PP . 295 – 318 .

(٣) Lisk , Op. cit. , PP. 177 – 178 .

(١) حاطوم ، المصدر السابق ، ص ٢٤٩ – ٢٥٠ .

(٢) عندما التأم جرح شارل الثاني عشر سمح له العثمانيون بأن يقوم بالتمرينات العسكرية وتدريب رجاله . كما شاع عنه انه اعتنق الاسلام لزهده في الخمر واختلافه عن الصلاة العامة . انظر : -
ديورانت ، المصدر السابق ، مج١٧ ، ج ٣٣ ، ص ٣٧ .

(٣) W. P. Coates , Russia Finlanda and the balitc , London – 1940 , PP. 10 .



ستوكهولم Stokholm التي لم تبعد عنه سوى ١٥ ميل واختتم الأسطول عملياته العسكرية بالاستيلاء على لينسلوت ليكون قد ضم جميع أراضي فنلندا الى روسيا . وعين الأمير فالتزين حاكماً عليها (٤) .

وحاول ملك السويد بعد عودته لبلاده عام ١٧١٤ ايقاف المد الروسي الا انه لم يتمكن من حماية ستارسلندا وويمر بخاصة بعد انضمام بروسيا الى روسيا . فسقط اخر حصن للسويديين في بوميرانا . وقد أثارت تلك الانتصارات مطامع جورج الأول Georg I ١٧١٤ – ١٧٢٧ ملك هانوفر وانكلترا في الأراضي السويدية فاحتل رادن الواقعة على نهر الويسر . وبذلك تكون قد فقدت السويد جميع املاكها في جرمانيا (١) . وعليه تكون قد الغيت معاهدة ويستفاليا Westphalie (*) الموقعة عن سنة ١٦٤٨ .

وحاول الوزير السويدي غورتز Gortz عام ١٧١٥ اقناع القيصر الروسي بضرورة ايقاف الحرب بين البلدين اذ أرسل له **" ..... ان دولة السويد قد ضعفت وانحطت من اوج العظمة وليس من الحكمة السعي في تقوية الدنمارك وبروسيا " .** فقبل القيصر الدخول في مفاوضات الصلح . فأرسل القائد بروس لمقابلة الوزير السويدي غورتز وغالينبرغ Gyllenborg ممثلي الملك شارل الثاني عشر(٢) . وقد سارت المفاوضات بنجاح نحو نهايتها . الا انها قد توقفت بسبب مقتل الملك شارل الثاني

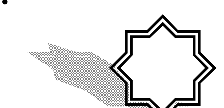
---

(٤) Lisk , OP. cit . , P. 188 ; Watson , OP. cit , P. 9 .

(١) العسلي ، المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(*) هي المعاهدة التي تم ابرامها في مونستر واوزنابروك بين الامبراطور الجرماني وفرنسا والسويد لوضع حد نهائي لحرب الثلاثين عام . وبموجب هذه المعاهدة حصلت الامارات الالمانية الشمالية التي سعت حدودها على الحرية الدينية – البروتستانتية . كما حصلت على حق التحالف مع الدول الخارجية . وكان ذلك فشلاً لال هابسبورغ الذين حاولوا توحيد المانيا تحت سلطتهم ، وحصلت فرنسا على الزاس . فأكدت بذلك حق الاسقفيات الثلاث . انظر : -
كاظم هاشم نعمة ، الوجيز في تاريخ العلاقات الدولية ، بغداد – ١٩٩٢ ، ص ٨١ – ٨٢ .

(٢) قلفاط ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ ؛
Andresson , OP . cit , P 246 .



عشر عام ١٧١٨مما سبب الاضطرابات في العاصمة السويدية اذ خلع الاشراف هولشتين غوتورب ابن اخ شارل الثاني عشر عن العرش . وعرضوه على يوريكا ايليونور Urica Eleonora اخت شارل الثاني عشر [٣] . غير ان تعاظم قوة الاشراف وانهيار السلطة المركزية دفع بالاشراف بالارسال الى غورتز للحضور الى العاصمة . وقد صدر عليه الحكم بالاعدام حال وصوله متهمين بالخيانة لكونه قد دخل بالمفاوضات مع الاعداء . فافشلوا بذلك كل مساعي غورتز السلمية وانهاء الحرب الخاسرة . والغاء كل المعاهدات التي عقدها غورتز [١] . ومن جانب اخر ابرمت الهيئة الحاكمة السويدية حلفاً مع هانوفر مصممة على متابعة الحرب ضد روسيا معتمده على نهجها الجديد وهو دعم الاسطول الانكليزي . ورداً على تلك الاجراءات السويدية اصدر القيصر اوامره سنة ١٧١٩ . بالانزال العسكري الكثيف على السواحل السويدية . وفي شباط حاول الاسطول الانكليزي اعتراض الاسطول الروسي في البلطيق وتدميره . الا ان يقظة قائد الاسطول الروسي منع الانكليز من تحقيق اهدافهم . وقد استغل القيصر غياب الادميرال الانكليزي وذهابه الى كوبنهاجن في تموز ١٧١٩ ليتمكن من انزال قواته على السواحل السويدية . وتدمير المدن المجاورة للعاصمة ستوكهولم التي لم تبعد عنه سوى سبعة اميال [٢] .

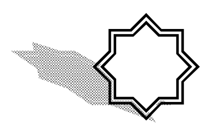
وفي عام ١٧٢٠ جدد القيصر عملياته العسكرية البحرية فاستولى الامير غالتزين على اربع بوارج سويدية وارسلها الى بطرسبورغ فضلاً عن تدمير ٤١ قرية سويدية . وفي تشرين الثاني من العام نفسه طلبت الحكومة السويدية الهدنة ووقف القتال . وقد قام بواسطة الصلح وصي العرش فرنسي اوليان Orloan الذي ارسل مندوبيه

---

(٣) للمزيد من التفاصيل ، انظر الى رسالة القيصر الى الجنرال شرمتييف ، الجزء الخاص بالمفاوضات ، ملحق رقم (   ) .

(١) **Andressan , OP . cit , P 248 .**

(٢) قلفاط ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ ؛ **Lisk , OP . cit , P . 191 .**

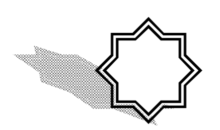
الى بطرسبورغ وستوكهولم . وفي شباط ١٧٢١ عقد مؤتمر الصلح في نيستاد الذي احتفظت روسيا بموجبه على كل الاراضي التي احتلتها وهي اقاليم ليفونيا واستونيا وانغريا وشرق فلندا ماعدا فينبورغ . وتنازلت السويد عن شرق البلطيق مع اقاليم ليفلانديا وايستلانديا واينغير مالانديا الواقعة على مجري نهر نيفا وابقت ضمن الدولة الروسية الأراضي التي يسكنها اللاتنيون والاستونيون . وقد وقع على الصلح الوزير اوسترمان والجنرال بروس في العاشر من أيلول ١٧٢١ نيابة عن القيصر بطرس الأكبر [١] . وبمناسبة عقد صلح نيستاد أعلن القيصر الاحتفالات كما قرر المجلسان الكنسي والحكومي بالإجماع منح بطرس لقب (الأب الأكبر لروسيا) او إمبراطور كل روسيا) [٢] . وقد خطب بطرس في الحضور **" ..... ايها الأمراء واعيان بلادي وأصدقائي الذين رافقوني في كل فتوحاتي وساعدوني في جميع مشروعاتي هل خطر لاحد منكم او من آبائكم منذ عشرين سنة اننا سنتوصل الى هذه الحالة . وانكم ستقاتلون معي في بحر البلطيق وتنشؤون سفناً تمخر فيه برايات النصر مستولية على كل سواحله . ورافعة الرايات الروسية على قلاعه ومرافئه فضلاً عن انكم بددتم اسطول العدو ومزقتوه كل ممزق بأسطول مددتموه بأيديكم وقاتلتم عليه بشجاعتكم . ولا ريب انكم أصبحتم تشعرون بلذة تلك الفتوحات وترتاحون الى اكتساب العلوم الموصلة الى الاهتمام بالإنشاءات وقيامها من حالة العدم الى الوجود ... وانظروا الى ان أعظم دول العالم تطلب تحالفكم والتقرب منكم وهذا سيدوم وينمو مع تداول الأيام ، واطلب منكم ان تربوا أولادكم على حب الوطن والجنس الروسي .... فانتم روسيا وانتم شرفها وبكم تعتز ملوكها فاثبتوا تثبت "** [٣] .

---

(١) Max Beloff , The Age of Apsalutism , New York – 1966 , P . 38 .

(٢) Williams , OP . cit , P 223 .

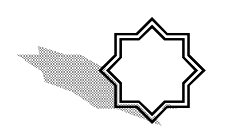
(٣) **قلفاط ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣١ – ٢٣٢ .**



الفصل الرابع

علاقات روسيا القيصرية بدول أوربا في عهد القيصر بطرس الأكبر

المبحث الأول ـــــــــــــــــــــــ العلاقات الروسية – السويدية



المبحث الثاني

العلاقات الروسية – الفرنسية

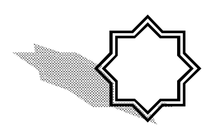
حاولت روسيا التحالف عسكريا مع فرنسا مرات عدة الا ان الاخيره كانت ترفض باستمرار . واخر هذه المحاولات عام ١٧١١ حين ارسل القيصر بطرس الاكبر سفيره جورج فولكوف Georg Volkov الى باريس لمقابلة الملك الفرنسي لويس الرابع عشر Louis IV ١٦٦١ – ١٧١٥ الا انه رفض مجيباً المبعوث **" .... بانه مقيم على تحالفه مع شارل الثاني عشر ملك السويد . وملتزم بوعده لمساعدته . ولو ان شارل قد اخلف بوعده . ولم يخلص لتحالفه مع فرنسا "** [١] . وعلى الرغم من ذلك حاول الملك الفرنسي عدة مرات الوساطة في عقد الصلح بين روسيا والسويد الا انه فشل بسبب عناد الملك السويدي [٢] .

الا ان العلاقات الروسية الفرنسية دخلت مرحلة جديدة بعد وفاة لويس الرابع عشر ١٧١٥ . واعتلاء لويس الخامس عشر Louis XV ١٧١٥ – ١٧٢٣ الذي وضع تحت وصاية الامير فيليب اورليان المعروف باسم فيليب الثالث Philipp

---

[١] **العسلي ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .**

[٢] **المصدر نفسه ، ص ٨٠ .**

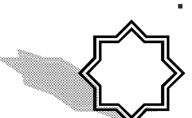


III [*] حينها ارسل القيصر مبعوثه الى البلاط الفرنسي مهنئاً الوصي وتأكيداً منه على حرص روسيا في تطوير العلاقات الروسية – الفرنسية مع الحكومة الفرنسية الجديدة . وبالفعل قد استقبل السفير الروسي بحفاوة كبيرة . مما جعل المبعوث الروسي يرسل الى القيصر بطرس الاكبر تأكيدات الوصي على العرش الفرنسي بتوطيد العلاقات الروسية – الفرنسية [١] . وفي ضوء تلك الرسالة قرر القيصر الروسي السفر الى باريس عام ١٧١٧ . وحين علمت الحكومة الفرنسية بزيارته ارسلت المارسال دوتسية Dotsie وبعض الامراء وفرقة من الخيالة وعربة الملك لاستقباله في مدينة كورنه Korna . كما قام الفرنسيون بتزيين الطريق الذي يمر به القيصر الروسي وحاشيته . وما ان اجتمع القيصر بالمارشال الفرنسي حتى قال له **" ..... لقد جئت لاقدم لفرنسا حلفي عوضاً عن حلف السويد "** [٢] . ولم يسفر عن هذا الاقتراح عن أي نتيجة عملية . لان فرنسا كانت مرتبطة انئذاك بالحلف الثلاثي مع انكلترا وهولندا . كما انها كانت متضامنة لحد ما مع السويد . فضلاً عن كونها ترى ان حجر الزاوية في سياستها الخارجية هو تحالفها مع انكلترا . وقد علق المؤرخ الفرنسي سان سيمون Sain Simon والمعاصر لزيارة القيصر لباريس على زيارة الاخير بقوله **" .... كانت رغبة القيصر في التحالف مع فرنسا قوية وثابتة . ولم يكن ما هو افضل من ذلك لتجارة فرنسا ولموقفها تجاه جرمانيا والشمال وكل اوربا . واستطاع بطرس اثارة قلق انكلترا ومخاوفها تجاه تجارتها . كما اصيب الملك جورج الاول ملك انكلترا بالخوف على املاكه في جرمانيا . وليس هناك من ينكر ان نفوذ بطرس كان عظيماً في اوربا واسيا . فلو حالفته فرنسا لاستفادت ماديا وتجارياً وسياسياً . وقد اكتشفنا خطأنا بعد فوات الاوان . اذ ان**

(*) هو ابن فيليب الثاني شقيق الملك لويس الرابع عشر من مواليد سانت كلود ١٦٧٤ تولى الحكم في فرنسا خلال مرحلة وحياته على الملك لويس الخامس عشر من سنة ١٧١٥ الى سنة ١٧٢٣ . للمزيد من المعلومات . انظر : -

(١) **Char Ques , OP . cit , P . 94 .**

(٢) **قلفاط ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ .**



انكلترا هي التي صورت لنا روسيا بخلاف الحقيقة . فابعدت عنا المنافع التي كان باستطاعة فرنسا الحصول عليها لو انها تحالفت مع روسيا " [1] .

وعلى الرغم من فشل القيصر بطرس الأكبر في اقامة تحالف عسكري مع فرنسا الا انه اصبح ذو صداقة متينة بالوصي الفرنسي ووزير خارجيته ديبو Dobois الامر الذي سهل في وساطة الوصي اورليان في انهاء حرب الشمال وعقد صلح نيستاد ١٧٢١ . كما انه ساعد في عقد معاهدة دفاعية بين البلدين للنظر فيما يجب ان يفعلاه متحدتين عند تعرضهما للخطر الخارجي . كما زادت من الاتصالات الرسمية بين باريس وبطرسبورغ وتبادل السفراء . وتتويجاً لذلك بدأت الترتيبات بغية عقد زواج سياسي بين ابنة القيصر الروسي اليزابيث من الملك الفرنسي لويس الخامس عشر او من أمير فرنسي اخرمن العائلة المالكة [2] .

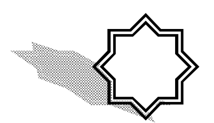
وبعيداً عن السياسة قام القيصر في اثناء اقامته في باريس بزيارة القصور الملكية مثل قصر الملك والوصي . ولم يظهر خلال زيارته اهتماماً كبيراً بمظاهر الترف والمفروشات الثمينة وأدوات الزينة الباهرة بل انه صرف جل اهتمامه الى البحث والدراسة والإصغاء الى كل ما يتعلق لأمور الادارة والتجارة والعلوم والفنون العسكرية ، ولم يقم بزيارة النبلاء والاشراف جرياً على العادة المتبعة . بل قام بزيارة صناع العربات والحدادين . كما زار المستشفيات واكل مع المرضى وشرب نخبهم ولاطفهم [1] . وكان قد شد انتباهه المرصد الفلكي الفرنسي . وزار المعامل ذات الادوات الميكانيكية مثل معامل النسيج والسجاد في مدينة كوبلان . كما قام بزيارة خاصة لدار العلوم الفرنسية المعروفة باسم (اكاديمية فتزينت) ومنحته شرف عضويتها وقدمت له خارطة

---

(١) العسلي ، المصدر السابق ، ص ٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٣ .

(١) العسلي ، المصدر السابق ، ص .



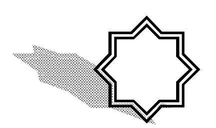
روسيا تعبيراً عن تقديرها له . وقد اذهلهم حينما اصلح خطأ وقع في خارطة بحر الخزر . ومنذ تلك اللحظة اصبح القيصر على اتصال دائم بالاكاديمية ويتبادل مع علمائها اخر الاكتشافات التي ظهرت في البلدين [٢] . وقام بزيارة خاصة لقبر الكاردينال ريشيلو Richelieu [*] ووقف امامه باحترام . وبان عليه التأثر والبكاء وقال " **.... ايها الرجل العظيم كنت اود لو لقيتك واعطيتك نصف ملكي فأتعلم منك كيفية ادارة النصف الاخر** " [٣] . وكتب احد الفرنسيين يصف بطرس الاكبر قائلاً " **..... لقد اذهل مدينة باريس بمعارفه الفائقة بكل شؤون الحكم والادارة والتعليم والشرطة ، وكل ما حدث بعد ذلك جاء مصداقاً لاتساع افقه وبعد نظره وحنكته السياسية ولا يسع الناظر اليه الا احترمه واكرامه . وخلاصة القول انه يجمع من الصفات التي يندر توافرها في شخص واحد** " [٤] . واصدرت الحكومة الفرنسية عند نهاية زيارته لباريس ميدالية ذهبية رسم عليها صورته ووزعت في احتفال كبير تكريماً وتذكاراً له [٥] .

---

(٢) قلفاط ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٤٧ .
(*) اصبح عام ١٦٢٤ عضو في مجلس الدولة . ثم تحول فيه الى الزعيم الفعلي للحكومة الفرنسية وبقى في منصبه ١٨ عام . كان يؤمن بسلطة الملك المركزية اذ قضى على الاقطاعيين وقمع الحركات الثورية . كما اعاد تنظيم الادارة الحكومية . اما على الصعيد الخارجي لعب دوراً كبيراً في حرب الثلاثين ١٦١٨ – ١٦٤٨ . للمزيد من المعلومات

V . H . H Green , Renaissance and Reformation Asurvey of history between 1450 – 1660 , London – 1982 , PP 267- 282 .

(٣) قلفاط ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ .
(٤) العسلي ، المصدر السابق ، ص ٨١ .
(٥) قلفاط ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ .



المبحث الثالث

العلاقات الروسية - البولندية

يعود اصل سكان بولندا الى السلاف الذين استقروا شرق نهر اودر – بوبر Oder – Pober . وامتدت مناطق استيطانهم بشكل واسع في انحاء حوض نهر الفستولا Vistola بين بحر البلطيق شمالاً ونهر الادور غرباً ونهر البوغ Bug شرقاً . وجبال الكربات جنوباً باسم مملكة البياست [1] . وقد تركز سكانها المتعددي اللغات والاعراق والأديان والبالغ عددهم بين ١١ – ١٤ ملسون نسمة في الأقاليم الجنوبية الاوطأ [2] .

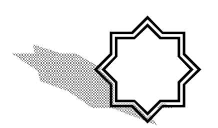
وكانت الحياة السياسية في بولندا ذات سمة خاصة فهي تختلف عن جيرانها الثلاثة روسيا وبروسيا والنمسا فلم تطور لنفسها ملكية عظمى . حتى وصف احد المؤرخين نظامها السياسي بانه " نظاماً جمهورياً له ملك " وهو رئيس ينتخب مدى الحياة [3] . وقد ظهر المفهوم التعاقدي للدولة في بولندا منذ ايام البياست . وتطور مع

---

(1) تعني كلمة البياست Piast الوطني . ويرجح اشاقاقها من مؤسس العائلة الحاكمة . للمزيد من المعلومات انظر : -
العقيلي ، المصدر السابق ، ص ١ .

(2) W. Cordon East , Ahistorical Gegraphy of Europe , London – 1961 , P . 49.

(3) هـ ز ج . ولز ، معالم تاريخ الانسانية . ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مج ٤ ، مصر – ١٩٦١ ، ص ٨٩٢ ؛
Poul . W . Knoll , The Rise of the Polish Monarchy , Chicgo – 1973 , P . 3 .



مبدأ الملكية الانتخابية . وظهر الأول في عام ١٥٧٣ م بأوضح صورة . اذ تم اعتماد Pacta Canvrnta . وهي أساس التعاقد الثنائي المعمول بين الملك المنتخب من جهة والمجتمع من جهة اخرى . وبقي هذا المفهوم معمولاً به حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي ثم اقترن مع ما سمي بالفقرات الهنرية Henry Cian Articales (*) . التي كانت عبارة عن التزامات على الملك الإقرار بها ونصت على عدم اتخاذه أي تحضيرات لانتخاب او اختيار حاكم جديد بدون مناقشة حكومته بذلك . أي بقاء العرش انتخابياً (١) . ولما كان مبدأ الانتخاب قائماً . وأعيد التأكيد عليه مراراً فانه فسح المجال أمام الأمراء المحليين والأجانب للترشيح للعرش بطرق الرشوة او تقدم التنازلات الكبيرة للطبقة النبيلة المسيطرة على البرلمان القومي من خلال ما سمي بالحريات الذهبية للطبقات النبيلة (٢) . ذلك فان معظم الانتخابات الملكية كانت تجري وسط المكائد والمؤامرات والصراعات بين الطوائف النبيلة المختلفة التي قادت البلاد احياناً الى حرب أهلية او الى التدخل الأجنبي . كما أصبح وجود الملك في بولندا بسبب هذا كله مجرد وجود رمزي لا أكثر (٣) .

اما بالنسبة للبرلمان فان التراث البرلماني البولندي يعود في بدايته الى القرنيين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي في مجالس المقاطعة التي عقدها النبلاء العلمانيون والدينيون . بينما بدأ الممثلون الإقليميون والمحليون للطبقة النبيلة يأخذون مكانتهم بشكل متزايد في الجلسات السنوية للمجلس الملكي الرمزي في حين وجد النبلاء ان هناك

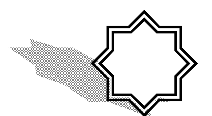
(*) نسبة الى الامير الفرنسي هنري فالوا Henry Volois . الذي حكم بولندا ١٥٧٤ – ١٥٨٩ للمزيد من المعلومات انظر : -

Every man's En Cyclopedia , Vol . 12 , P . 1992 .

(١) Jhon . B . Wolf , The Emergency of the Great Power 1685 – 1715 , New York – 1951 , P . 163 .

(٢) Ibid , P . 164 .

(٣) Ibid , P. P . 164 – 165 .



ضرورة لتأسيس سيطرتهم على المجلس الثاني – مجلس النواب الذي اصبح يسيطر على العملية التشريعية . الا ان المدن تجاهلت هذا البرلمان . وفضلت الاحتفاظ باستقلالها الذاتي أكثر من المجازفة بالاعتراف بالطبقة النبيلة منذ عام ١٥١٥ م ولما تشكل الكومنولث البولندي – اللتواني ظهر البرلمان البولندي القومي او الدايت عام ١٥٦٩ م لأول مرة . وهو هيئة تشريعية مركزية للكومنولث يجتمع كل سنتين . اما مجلس النواب فانه كان يتألف من ممثلي الطبقة النبيلة العليا في المجتمع . اما من اطلق عليهم تسمية الشيوخ المقيمين فهم هيئة اقرها دستور ١٧١٧ م الذي الزم الملك اقامة الشيوخ المقيمين في بلاطه والالتزام بقراراتهم [١] . وكان البرلمان لا ينعقد دون حضور الملك ، وجلساته تعقد اعتيادياً كل سنتين بينما ينعقد استثنائياً عند الحاجة بأمر الملك . الذي لم يكن يمكنه إعلان الحرب او عقد الصلح او فرض ضرائب او اقرار أي قانون الا بموافقة البرلمان [٢] . ولم يكن النقض الحر مبدأ نظرياً بل انه دخل حيز التنفيذ لاول مرة في عام ١٦٥٢ م فهو يُمكن النبيل من ان يصوت ضد أي مشروع ليبطله مما جعل النقض الحر في احيان كثيرة مصدر ضعف لبولندا ، فضلاً عن التهديد الخارجي في القرن الثامن عشر الميلادي [٣] .

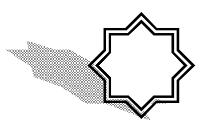
وقد تألفت بولندا من الناحية الإدارية من وحدتين رئيسيتين الأولى : هي التاج الذي كان يضم الأراضي البولندية والروثنية ودوقية ليتوانيا الكبرى التي تشمل الأراضي اللتوانية والبلاروسيا بينما تمتعت دانزغ بسلطة قضائية مباشرة من الملك في حين كانت دوقية كورلاند Cour Land (جنوب غرب ليفونيا) تعد دولة تابعة للكومنولث . كما تم وضع ليفونيا في ظل كل من التاج وليتوانيا يضاف الى ذلك بعض المناطق ذات الحكم الذاتي . وقد انعكست الثنائية البولندية ٠ الليتوانية في الإدارات

---

(١) العقيلي ، المصدر السابق ، ص ٣٨ .

(٢) Gereat Soviet Ency clopedia , Vol . 21 , P . 462 .

(٣) العقيلي ، المصدر السابق ، ص ٣٨ .



والجيوش والخزانات والقوانين المنفصلة . اذ لم تظهر الأجهزة التنفيذية المشتركة الا في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي [1] . وقد سبب ذلك ارباكاً للحكومة امام جيرانها الأقوياء . وخاصة روسيا القيصرية . وعلى اية حال شهدت العلاقات الروسية – البولندية تطوراً كبيراً اثر توقيع الصلح الأبدي Enternal Peace في ربيع ١٦٨٦ م . والتي تخلت بموجبه بولندا عن مطالبها بكييف . وكان من نتائجه ايضاً وضع الأساس لتشكيل الحلف المقدس ضد الدولة العثمانيةوالخانيات التترية عام ١٦٨٩ م . كما عبر البولنديون عن فرحهم بالانتصار الروسي في ازوف ١٦٩٨ . فأقاموا الاحتفالات ونادوا بحياة القيصر بطرس الاكبر[2] . ووصلت العلاقات الى اوجها حين اعتلى دوق سكسونيا العرش البولندي باسم اوغسطس الثاني Augstus II[*] ١٦٩٧ – ١٧٠٤ . فقد تحالف مع القيصر الروسي في حلف لاحتلال الأقاليم السويدية الواقعة في منطقة البلطيق . وفي ١١ تشرين الأول ١٦٩٩ امر القيصر قواته بمهاجمة نارفا للاستيلاء عليها دون التشاور مع حليفه البولندي . الذي كان يمر بفترة عصيبة بسبب التهديد السويدي له من خلال غريمه الامير ستانسلاس لتشنسكي Stanislas Lesczyinsk الذي اجبره على التنحي من العرش خلال المدة ١٧٠٤ – ١٧٠٩ فاسحاً المجال امام الملك السويدي شارل الثاني عشر للدخول الى وارشو وايقاع مذبحة بالحامية الروسية لها [1] . واضطرار معظم ضباط الجيش البولندي الى الهرب والالتحاق بقوات بطرس الأكبر والعمل على تحرير بلادهم . وقد واتتهم الفرصة في

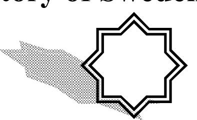
---

(١) ولز ، المصدر السابق ، ص ٨٩٤ .

(٢) العقيلي ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(*) من مواليد دريسدن ١٦٧٠ – ١٧٣٣ م تم انتخابه ملكاً بولندا بعد موت الملك جون سوبسكي Jhon Sopiiski سنة ١٦٩٧ م . وقد حاول ان يجعل الحكم في بولندا وراثياً اذ حكم من بعده ابنه موريس دوساكس وحفيده اغسطس الثالث ١٧٣٣ – ١٦٣ . للمزيد من انظر : -
Woolf , OP . cit , P . 165 .

(١) Stewart Oakely , Ashort history of Sweden , Brition – 1966 , P . 115 .



معركة بولتافا في عام ١٧٠٩ التي انتصرت فيها الجيوش الروسية على نظيرتها مما مكن الملك البولندي المخلوع من استعادة عرشه وإعلان تبعيته للقيصر الروسي [٢] .الذي لم يعد يخفي أطماعه في بولندا باعتبارها الممر للعبور الى أوربا . لذا بدأ بضم معظم الأراضي البولندية التي كانت خاضعة للاحتلال السويدي كما ضم دوقية كورلاند البولندية عن طريق الزواج السياسي بتزويجه الأميرة آن An ابنة أخيه ايفان من دوق كورلاند ١٧١٠ م [٣] . الا ان القيصر بطرس الأكبر سنة ١٧١٧ م صمم على رسم السياسة الداخلية البولندية بما يتفق مع مصالح بلاده فاجبر الحكومة البولندية على تجزئة قواتها لتكون عاجزة عن مواجهة او مباغتة قواته واضعاً في حساباته المجزرة التي تعرضت لها الحامية الروسية في وارشو سنة ١٧٠٦ م لذا قسم الجيش البولندي الى قسمين : الأول قوات التاج وقوامها ١٨٠٠٠ رجل ، والآخر الجيش اللتواني وقوامه ٦٠٠٠ رجل على ان يضلا منفصلين وتكون مساهمتهما في حرب الشمال ضد السويد بإمرة القيادة الروسية [٤] . والشيء الذي يجب ان يقال هنا ان الإجراءات الروسية جاءت متطابقة الى حد بعيد مع توقعات الملك البولندي جون كازيمير الرابع Jhon Casimir IV ١٤٤٦ – ١٤٩٢ م . اثناء مغادرته بولندا الى فرنسا **بان " .... بولندا سوف تتمزق ارباً ارباً . وتملأ جيوب الجيران الطامعين "** وظلت بولندا تعاني من فكرة التقسيم والاضعاف حتى دخلت حيز التنفيذ في عقود السبعينات من القرن الثامن عشر الميلادي [١] .

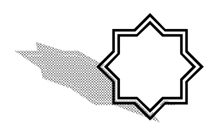
---

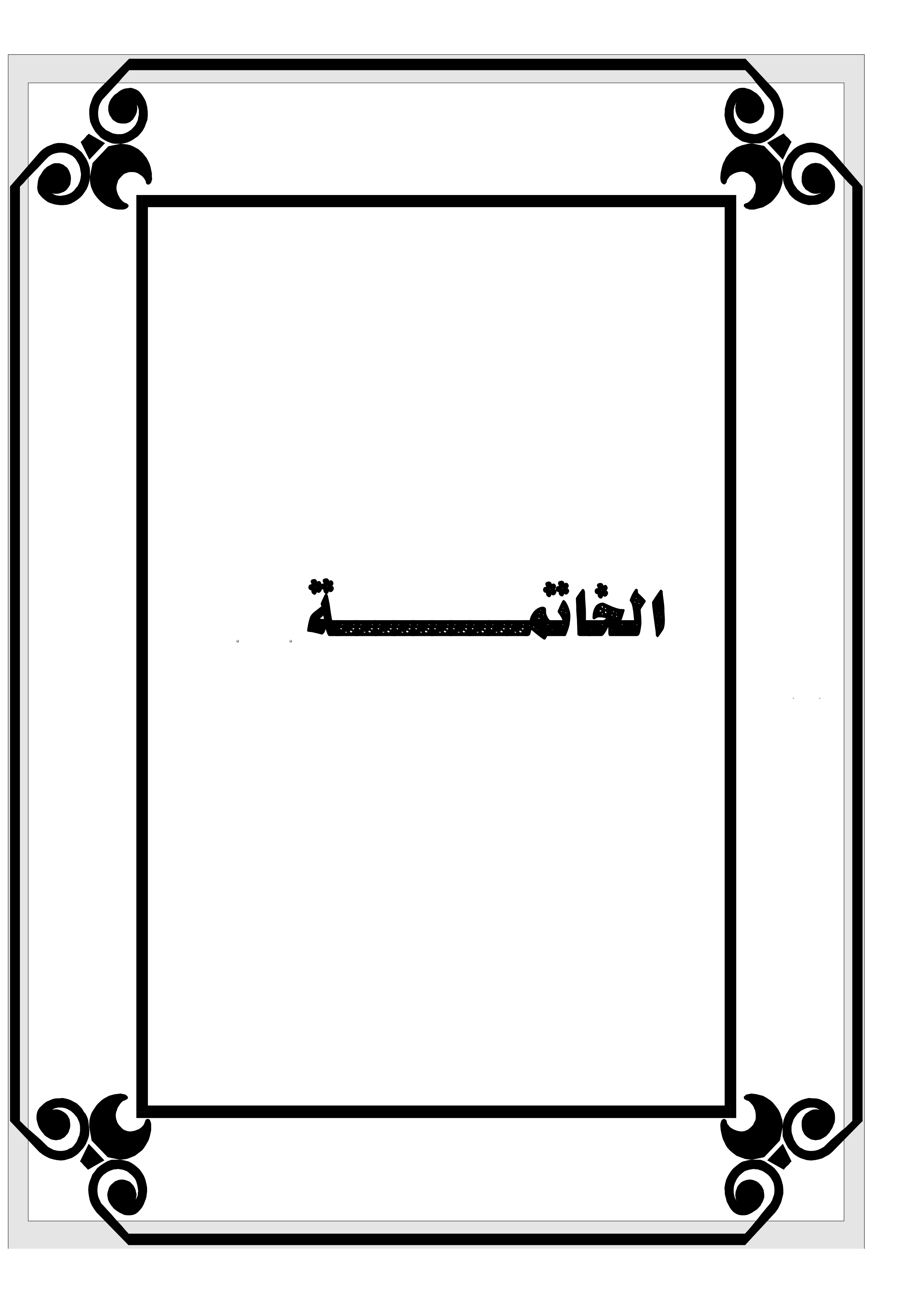
(٢) قلفاط ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٥١ – ١٥٢ .

(٣) العسلي ، المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٤) العقيلي ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(١) المصدر نفسه ، ص ١٥ .



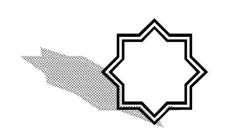


الخاتمـــــــة

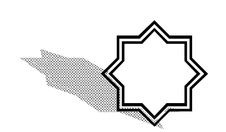
الخاتمــــــة ...

الخاتمــــــة ...

يصح القول بأن ظهور بطرس الأكبر كان ضرورة تاريخية لروسيا ، فقد ظلت تتخبط طيلة العصور الوسطى في فوضى سياسية واقتصادية واجتماعية نأت بها تماماً عن جاراتها الأوربيات ، وصيرتها دولة هامشية على حافة التاريخ الأوربي الإنساني بشكل عام . وبموجب قانون طبيعة الأشياء ومسبباتها ، كانت روسيا بانتظار من ينقذها مما هي فيه ، ويرتقي بها الى مصاف جاراتها ، لذا تحتم ظهور بطرس في حقبته التاريخية ومنحه لقب الأكبر ليساهم كقائد لما يعرف في علم الاجتماع السياسي بـ (الدورية السببية) فهو حاكم نشأ نتيجة التراكم والتفاعل بين الفعل الذي كان يقوم به وبين رد فعل مجتمعه الى حد انه صار على توالي الايام ليشعر بأن مصلحته الخاصة هي مصلحة روسيا العامة . لذا لم يتوان بالتضحية براحته وأسرته من اجل بنائها . فاعدم ابنه عندما شعر ان اعدامه يسد احد منافذ التهديد الداخلي لسلطته ، وفعل الشي ء ذاته مع قادة الاسترلتش مصدر التهديد المستمر لأمن البلاد . وبعد ان أيقن ان الأمن استتبد الى القدر المطلوب أسرع في سفارته العظمى للدول الأوربية في ممارسة عملية للارتقاء بالواقع الروسي المتخلف الى الأمام . ولم ينسى بطرس القوة في تطبيق ما آمن به واقتبسه من أوربا التي زار دولها متخفياً تارةً ، وإمبراطوراً تارةً اخرى ، فقضى على الخرافات والشعوذة التي كانت احد اهم ركائز الحياة في روسيا ، وشملت حربه رجال الدين المروجين لها ، وكان ثمن انتصاره ان اتهم بالخروج عن المسيحية وهي تهمة تقود صاحبها الى الحرق في بلد مثل روسيا يوم ذاك خاصة اذا كانت من خصوم أقوياء مثل الآكليروس والاقطاعيين ممن ضربت إصلاحاته مصالحهم في الصميم وكأنهم لم يكتفوا بإعلان هرطقته ، فقد اتهموه بأنه ابن زنا لعلهم

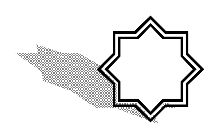


يصيبون بعض مقاتلـه ، لكن ايمـان بطـرس الاكبر بقضـيته دفعتـه الـى الانتصـار فـي نهايـة المطاف . والطريف ان إصـراره علـى الإصـلاحات دفعت عدد معتبـر من المؤرخين الـى اتهامه بأنه لم يقصد وآراءهـا سوى خدمـة مخططاتـه السياسية ، ذلك لانهم لم يعوا حقيقة شخصـية بطـرس كـزعيم اسـتوعب ردود أفعـال مجتمعـه الـى حـد ان تلاشـت معـه حـدود مصـلحته الخاصـة ومصـلحة بلده ، وتداخلت بشكل عجيب . لذا لا غرو ان تشـهد روسـيا تحـولات مهمة ابان الربع الأول من القرن الثامن عشر الميلادي كان أبرزها تأسيس الجيش النظامي . بما فيـه سـلاح البحريـة الـذي خطـط لـه ان يكـون الـذراع التـي ترقـع روسـيا نحـو الانفتـاح العـالمي . وانعكـس ذلـك علـى الصـناعات الوطنيـة التـي وجـدت أولاً فـي الأسـواق المحلية الممتدة علـى طـول الخارطـة القيصـرية منفذاً مهمـاً بتصـريفها سـواء فـي البلطيـق وسيبيريا وأقاليم الجنوب الشرقي الباردة . وقد انعكست كل تلك التطورات بجزئياتها الدقيقة على طبيعة الحياة الاجتماعية للفرد الروسي . فبـدأت الثقافـة الأوربيـة وطبيعـة حيـاة الرجـل الأوربي تجد صداها عند المواطن الروسي الذي حلق لحيته مجبراً ثـم راقـص زوجتـه فـي الحفلات العامة مجبراً ايضـاً ، وبمـرور الوقـت صـارت تلـك العـادات وغيرهـا جـزءاً مـن الحياة الاجتماعية الروسية ، لذا عندما طرحت فكرة إيجاد نافذة على العالم بعيداً عن الحياة الروسية المتجمدة طيلة أشهر السنة مما يعني الدخول في حرب قاسية مع عدد من الجارات القوية ، لم يمانع الفرد الروسي إيمانـاً منـه بـأن ذلـك أصـبح لزامـاً للتطـور الـذي لامسـت نتائجه مفاصل حياته المتعددة ، لـذا بـدا القيصـر محاطـاً بـدعم شـعبي ورسـمي بالتـدخل فـي شؤون الجـارة بولنـدا والاسـتيلاء علـى أراضـيها الممتـدة نحـو البلطيـق ، ثـم محاربـة الجـارة العنيدة السويد التـي أعدها بطـرس حـاجزاً لا بـد مـن اجتيـازه نحـو الميـاه الدافئـة ، ومـن هـذا المنطلق سعى الى إقامـة العلاقـات مـع الدولـة العثمانيـة خاصـة بعـد ان شـعر بمـرارة فقدانـه الدولـة المسيحية العظمى بريطانيا التي امتعضت كثيراً من طموحاتـه الواسـعة التـي مثلتهـا سياسته الخارجية . دون ان ننسى ما كانت تعنيه الدولـة العثمانيـة لبطـرس حيث ميـاه البحـر الاسود ومضائقه التي أثارت اطماعه في الاستيلاء عليها .



ومن المنطلقات ذاتها سعى القيصر الأكبر الى إقامة علاقات متطورة مع إيران الصفوية التي بدأت تصل موسكو إخبار شاهاتها وخلافاتهم المستمرة مع العثمانيين ، وما يعنيه له ذلك من استغلال الفرصة لإنجاح مخططاته التي تبدأ من بحر قزوين وتنتهي بالوصول الى الخليج العربي والهند الثرية التي وصفتها الأدبيات الأوربية آنذاك بأنها ارض السحر والذهب والتي كانت خاضعة للسيطرة البريطانية ، لذا فأن مشروعاً طموحاً عبر قزوين او خانيات خيوة وبخارى الإسلاميتين بمساعدة ايران قد يضمن الوصول اليها خاصة وان جهود أسلافه كانت قد فشلت في هذا المجال . وبإزاء إصراره على النجاح أرسل بطرس البعثة تلو الأخرى الى إيران حتى حقق بعض مراده في إقامة علاقات طيبة معها .

وبصورة عامة نجح القيصر الأكبر في ان يبني دولة قوية ترتقي إلى مستوى الدولة الأوربية الراقية في جميع المجالات ، ودولة عظمى لعبت دوراً كبيراً في خلق التوازن الدولي في القرن الثامن عشر الميلادي .



المصادر

المصـــادر

أولاً : الوثائــق

أ –الوثائق غير المنشورة

١ – رسالة القيصر بطرس الاكبر الى القائد شرمتيف بنقل بعض الفرق العسكرية خلال حرب الشمال . كما ورد فيها معلومات وافية عن مفاوضات الهدنة الروسية السويدية .

٢ – دائرة الارشيف العثماني ، رقم البحث ٢٩٢٨ ، دفتر مهمة ٣٢ ، ٤ رمضان ٩٨٦ هـ ، ص ٣٨١ – ٣٨٣ ، (مركز دراسات الخليج العربي / جامعة البصرة) C.A.G.S .

ب –الوثائق المنشورة

1 – The Swedish Institute of Inter national Ar Chivies , Sweden and the World , Stockholm , 1980 . (S. I. O. I. A) .

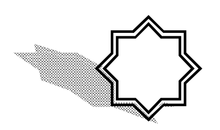
2 – Hurewited . J. C , Diplomacy in the near Middle East Ado cumentory Record 1535 – 1914 , Vol . 1 , New Jearsey , 1956 .

3 – The Royal Institute of Inler national Affrais , London – 1963 .

4 – Saldanha , Selection , from state Paper's , Bamby , Record the Gulf with Summary of Event's 1600 – 1800 .

5 – Proclamtion on the Introduction of anew Calendar , December 20 , 1699 , citedhttp : Hartci – Shu – edu / reasp / documents .

6 – Samvel Collins on the Caurt of Alksei Mikhailovich , Cited in , httt // arts ci – chu – edu / reesp / documents / proc .



المصــادر

الكتب العربية والمترجمة

١ – اليوسف ، عبد القادر احمد ، العصور الوسطى الاوربية ، بيروت – ١٩٤٨ .

٢ - المصري ، حسين مجيب ، معجم الدولة العثمانية ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

٣ - اكاديميــة العلــوم فــي اتحــاد الجمهوريــات الاشــتراكية الســوفيتية ، تــاريخ اتحــاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية منذ العصور القديمة حتى اليوم ، ترجمة مصطفى فقير ، موسكو ، د ت .

٤ - العسلي ، بسام ، بطرس الاكبر ، بيروت ، ١٩٨٠ .

٥ - اهرار ، مارسيل ، تاريخ الادب الروسي ، بيروت ، د ت .

٦ - الاسكندري ، عمر – سليم حسن ، تاريخ اوربا الحديثة واثار حضارتها ، ج ١ ، مصر ، ١٩٢٠

٧ - اندرسون ، ماثيو ، تاريخ القرن الثامن عشر في اوربة ، ترجمة نور الدين حاطوم ، دمشق ، ١٩٨١ .

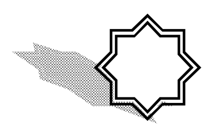
٨ - الصيرفي ، نوال حمزة ، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي من القرن ١٠ هـ - ١٦ م ، الرياض ، ١٩٨٣ .

٩ – الصباغ ، عباس اسماعيل ، تاريخ العلاقات العثمانية - الايرانية ، بيروت ، ١٩٩٩ .

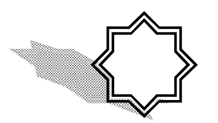
١٠ – ابو زيدون ، وديع ، تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس الى السقوط ، عمان ، ٢٠٠٣ .

١١ – الطحان ، مصطفى محمد ، مستقبل الاسلام في القوقاز وبلاد ما وراء النهر ، الكويت ، ١٩٩٥ .

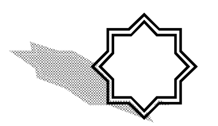
١٢ – اينالجيك ، خليل ، تاريخ الدولة العثمانية (النشوء والانحدار) ، ترجمة محمد الارناؤوط ، بيروت ، ٢٠٠٣ .



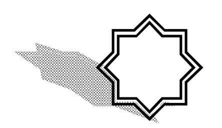
١٣ – أفندي ، ابراهيم ، المصباح الساري ونزهة القاري ، بيروت ، ١٨٥٢ .
العزاوي ، عباس ، تاريخ العراق بين احتلاليين ، ج ٤ ، بغداد ، ١٩٤٩ .
١٤ – التكريتي ، هاشم صالح ، المسألة الشرقية ١٧٧٤ – ١٨٥٦ ، بغداد ، ١٩٩٠ .
١٥ – الوذيناني ، خلف بن دبلان بن خضر ، الدولة العثمانية والغزو الفكري ، مكة المكرمة ، ١٩٩٦ .
١٦ – احمد ، كمال مظهر ، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، بغداد ، ١٩٨٥ .
١٧ - الصلابي ، علي محمد محمد ، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط ، بيروت ، ١٩٩٩ .
١٨ – المدور ، مروان ، الارمن عبر التاريخ ، بيروت ، ١٩٨٢ .
١٩ – آميل ، بول ، تاريخ ارمينيا ، ترجمة شكري علاوي ، بيروت ، د ت .
٢٠ – العيله ، محمد حسن ، آواسط اسيا بين الانقاض الروسي والحذر البريطاني ، الدوحة ، ١٩٨٦ .
٢١ – بروي ، إدوارد وآخرون ، تاريخ الحضارات العام ، ج ٤ ، بيروت ، ١٩٦٦ .
٢٢ – بنيوس ، شارل ، تاريخ التمدن الحديث ، القاهرة ، ١٩٢٠ .
٢٣ – بالمر ، روبروت ، تاريخ العالم الحديث ، ترجمة محمود حسين الامين ، ج ١ ، الموصل ، ١٩٦٤ .
٢٤ – بيرنجيه ، جان ت وآخرون ، اوربا منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر ، ترجمة وجية البعيني ، ج ٢ ، بيروت ، ١٩٩٥ .
٢٥ – بانيكار ، ك . م ، اسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، القاهرة ، ١٩٦٢ .
٢٦ – بلاتنوف ، د . آ ، آكليل الشوك الروسي والتاريخ السري للماسونية ، ترجمة ماون نفاع ، دمشق ، ٢٠٠٣ .



٢٧ – بوتسان ، جيان ، موجز تاريخ الصين ، بدون مترجم ، بكين ، ١٩٨٥ .
٢٨ - بوتسان ، جيان ، موجز تاريخ الصين ، ترجمة حنا عبود ، دمشق ، ١٩٨٣ .
٢٩ – تشيني ، ل . ج ، تاريخ العالم الغربي ، ترجمة تمجد الدين ، القاهرة ، د ت .
٣٠ – تولستوي ، الكسي ، بطرس الاول ، بدون مترجم ، الكويت ، ١٩٩٧ .
٣١ – جمعة ، بديع محمد ، الشاه عباس الكبير ، بيروت ، ١٩٨٠ .
٣٢ - جمعة ، بديع محمد – احمد الخولي ، تاريخ الصفويين وحضارتهم ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٧٦ .
٣٣ - حرب ، محمد ، العثمانيون في التاريخ والحضارة ، دمشق ، ١٩٨٩ .
٣٤ – حمدان ، جمال، بين اوربا واسيا درسة في النظائر الجغرافية، مصر ، ١٩٧٣ .
٣٥ - حسون ، علي ، العثمانيون والروس ، دمشق ، ١٩٨٢ .
٣٦ – حسون ، علي ، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية ، دمشق ، ١٩٨٠ .
٣٧ – ديورانت ، ول ، قصة الحضارة ، ترجمة فؤاد آندراوس ، محمد علي ابو درة ، مج ١٧ ، ج ٣٣ ، القاهرة ، ٢٠٠١ .
٣٨ – دانستيغ ، ب . م ، الرحالة الروس في الشرق الاوسط ، ترجمة معروف خزنة دار ، بغداد ، ١٩٨١ .
٣٩ – راشد ، زينب عصمت ، المختصر في تاريخ اوربا الحديث، القاهرة ، ١٩٧٠ .
٤٠ – رياض ، محمد ، الشرق الاوسط ، دراسة في التطبيق الجيوبولتيكي والسياسي ، بيروت ، ١٩٧٤ .
٤١ – زيتون ، نظير ، روسيه في موكب التاريخ ، ج ١ ، سان باولو – ١٩٤٥ .
٤٢ – زكي ، رمزي ، التاريخ النقدي للتخلف ، الكويت ، ١٩٨٧ .
٤٣ – سليمان ، علي حيدر ، المدنية الاوربية الحديثة ، بغداد ، ١٩٣٣ .
٤٤ – ستروكوف ، آ . آ . تاريخ فن الحرب ، ترجمة صباح الدين الاتاسي ، ج ١ ، دمشق ، ١٩٦٨ .



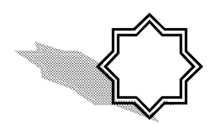
٤٥ – سبطان علي ، الريخ الدولة العثمانية ، طرابلس ، ١٩٩٤ .
٤٦ – شميدت ، تارنوفسكي – بيرخن ، موجز تاريخ الاتحاد السوفيتي ، بدون مترجم ، موسكو – ١٩٨٦ .
٤٧ – شعيب ، علي ، بطرس الاكبر قيصر روسيا ، بيروت ، ١٩٩٢ .
٤٨ – عبد الرحيم ، محمد ، آفغانستان في الميزان ، بيروت ، ٢٠٠٢ .
٤٩ - – فرح ، نعيم ، تاريخ أوربا السياسي في العصور الوسطى ، دمشق – .١٩٩٥
٥٠ – فيشر ، هربرت ، اصول التاريخ الاوربي الحديث ، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى ، القاهرة ، د ت .
٥١ - فيشر ، هربرت ، تاريخ اوربا الحديث والمعاصر ، ترجمة احمد نجيب ، وديع الضبع ، القاهرة ، ١٩٦١ .
٥٢ – فريد ، محمد ، تاريخ الدولة العثمانية ، تحقيق احسان حقي ، بيروت ، ١٩٨١ .
٥٣ – فامبري ، آرمينوس ، تاريخ بخاري ، ترجمة احمد محمود الساداتي ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
٥٤ – كارتسوف ، الكسيف ، تاريخ الاتحاد السوفيتي، بدون مترجم ، موسكو ، د ت .
٥٥ - كارتسوف ، الكسيف ، تروتسكي موجز تاريخ الاتحاد السوفيتي ، ترجمة محمود الجندي ، موسكو ، ١٩٧٤ .
٥٦ – كولز ، بول ، العثمانيون في اوربا ، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، مصر ، ١٩٨٣ .
٥٧ – لوريمر ، ج. ج ، دليل الخليج ، ترجمة مكتب امير دولة قطر ، القسم التاريخي ، ج ١ ، الدوحة ، د ت .
٥٨ – مجموعة مؤلفين ، موجز تاريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، ترجمة طه الصواف ، موسكو ، د ت .



٥٩ – مير ، فيليب فانس ، التاريخ العام للكليات والمدارس العالمية ، بدون مترجم ، بيروت ، د ت .
٦٠ – مصطفى ، آمين – احمد عزت عبد الكريم ، تاريخ اوربا الاقتصادي ، مصر ، ١٩٥٤ .
٦١ – مجموعة مؤلفين ، تاريخ الصين ، بدون مترجم / ج ٢ ، بكين ، ١٩٨٦ .
٦٢ – نعنعي ، عبد المجيد ، اوربا في بعض الازمنة الحديثة والمعاصرة ١٤٥٣ – ١٨٤٨ ، بيروت ، ١٩٨١ .
٦٣ – همو ، عبد المجيد ، الماسونيه والمنظمات السرية ماذا فعلت ؟ ومن ضمت ؟ ، دمشق ، ٢٠٠٣ .
٦٤ – ولماس ، كلود ، تاريخ الحضارة الاوربية ، ترجمة وفيق وهبه ، بيروت ، ١٩٨٢ .
٦٥ – ويلسون ، ارنولد ، الخليج العربي ، ترجمة احمد عبد القادر يوسف ، الكويت ، د ت .
٦٦ – وجدي ، محمد فريد ، دائرة المعارف ، المجلد الرابع ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
٦٧ – يتيم ، مطران ميشيل ، تاريخ الحضارات الشرقية ، لبنان ، ١٩٩١ .
٦٨ – يبيانوف ، فيدرسوف ، تاريخ الاتحاد السوفيتي ، ترجمة خيري الضامن – نيقولا الطويل ، موسكو – د ت .
٦٩ – ياغي ، اسماعيل ، عبد الفتاح حسن ابو عيله ، تاريخ اوربا الحديث والمعاصر ، الرياض ، ١٩٧٩ .

المصادر الأجنبية

أ – المصادر الانكليزية



1 – A uty , Robert – Dimitri obolensky , An Introduction to Russian history , Cambridge – 1976 .

2 - Andersson , In Gvar , A history of Sweden , London – 1957 .

3 - – Alexinsky , Gregor , Modern Russia , London – nd .

Troyat , Henri , Iran the treble , London – 1980 .

4 - Alexeyev , A. ,V. Kartsav , A. Tritsy , A short history of the U. S. S. R , Moscow – 1972 .

5 - Anthony , Katharine , queen Elizabeth , New York – 1929 .

6 - Anderws , Stuart , Eighteen century Europe 1680 – 1815 , London – 1965 .

7 - – Anderson , M. s. , Europen in the eighteen century , 1713 – 1783 , London – 1971 .

8 – Blam , Jerome , Lord and Peasant in Russia from The ninth to the nineteenth century , New Jersey – 1961 .

9 – Botsfard , Gearge . W. , Aprief history of the world , New York – 1917 .

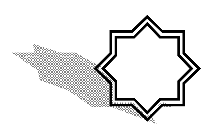
10 – Beloff , Max , The Age of A psalutism , New York – 1966 .

11 – Curits , Glenn .E. , Russia A country study , London - nd .

12 – Char Ques , Richard , A short history of Russia , London – 1959 .

13 - Clark , George , The seventeenth century , London – 1960 .

14 - Creasy, Edward , History of the ottoman Turks , Beirut – 1961 .



15 – Chardin , Sir Ghon , Travels in Persia , London – 1927 .

16 – Curzon , G. N , Persia and Persian Question , Vol. I , London – 1966 .

17 - Coantes , W. P , Russia Finlanda and the Baltic , London – 1940 .

18 – Dobbs , Micheal , Poland , New York – 1980 .

19 – Danials , Robert , Russia , New Jersy – 1964 .

20 - Elliot , J.H , Europe Divider 1559 – 1594 , London – 1990 .

21 – East , W. cordon , A historical of Europe , London – 1961 .

22 – Feyer , J. , A new account of East India and Persia 1672 – 1681 , Vol II , Germanay – 1961 .

23 – Friedrich , J. Carl , The age of the Baroque 1610 – 1660 , New York – 1952 .

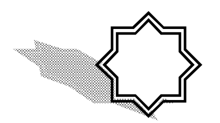
24 – Groot , A. H. De , The Ottoman Empire and the dutch republic , Istambul – 1978 .

25 – Green , V. H , Renaissance and Reformation A surrey of history between 1450 – 1660 . London – 1982 .

26 – Hingley , Ronald , The Russian Mind , London – 1978 .

27 - Hume , Martin , A. S , Spain Its Greatness and decay 1479 – 1788 , London – 1964 .

28 - Jee , Arun Bhattachar , A history of Europe 1453 – 1789 , New Delhi – 1985 .



29 – Kornilov , Alexander , Modern Russia history , Trans lated by Alexander curtiss , New York – 1952 .

30 – Klyuchersky , Vasili , Peter the great , Trans lated by litiana Archipald , New York – 1961 .

31 – Kinross , Lord , The Ottoman centuries , New York – 1977 .

32 - Kruinski , E. J. Tadeusz , The history of the Revolution of Persia , Vol . 1 , New York – 1973 .

33 – Knoll , poul . W , The Rise of the polish Monarchy , chicgo – 1973 .

34 - Lydoloph , Paul , Geography of U. S. S. R , London – 1977 .

35 - Lentin , A ., Russia in the Eghteenth century , London – 1973 .

36 - Lock hart , L. , The fall of Safaui dynasty and the A fghan Occupation of Persia , Cambridge – 1958 .

37 - Lock hart , L . , Nadir Shah , London – 1938 .

38 - Lock hart , L . , Persian cities , London – 1960 .

39 - Lee , Stephen , Peter the great , London – 1993 .

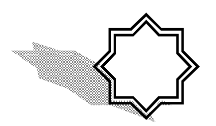
40 - Mcneill , William . H, Aworld history , Oxford – 1967 .

41 - Maland , Divid , Europein the Seventeenth Century , London – 1977 .

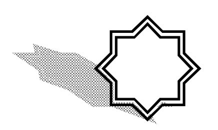
42 - Mancall , Mark , Russia and china , Cambridge – 1971 .

43 - Morby , Jhon . E , Dynasties of the world , Oxford – 1989 .

44 - Marriott , J. , The Eastern question an historical study in European diplomacy , oxford – 1940 .



45 – Oakely , Stewart , A short history of Sweden , London – 1980 .
46 – Platonov , S.F., Boris Godunov , pruge – 1924 .
47 – Perry , K , Modern Europen history , England – 1985 .
48 – Pares , Bernard , A history of Russia , London – 1962 .
49 – Plumb , J. H , The dutch seaborn Empire 1600 – 1800 . Cambridge – 1965 .
50 – Rober , Micheal , A history of Sweden 1523 – 1611 , Cambridge – 1968 .
51 - – Reddaway , W. F, A history of Europe 1610 – 1716 , callan – 1967 .
52 – Ramzani , Rouhollah , The foreign policy of Iran 1500 – 1941 , Virginia – 1966 .
53 - Saunders , J.J , The histioy of the Mongol Conques and Russia , yale – 1970 .
54 –Show , Stand ford , History of the Ottoman Empire and modern Turkey , Vol . 1 , combridge – 1976 .
55 - Sumner , B. H. , peter the Great and the Ottoman Empire , Connecticut – 1965 .
56 - Sykes , percy , A history of Persia , Vol . 2 , London – 1930 .
57 - The new cambriidge Modern history , Vol III , Cambridge – 1971 .
58 - Vernadsky , George , A history of Russia , London – 1961 .
59 - Walsh ,Warren, Russia and the Soviet Union , London – 1958 .



60 -Watson , Huch Setom , The Russian Empire 1801 – 1917 , oxford – 1967 .

61- William , E. N , The Ancien regime in Europe government and Socity in the major states 1648 – 1789 , London , 1970 .

62 - Wolf , Jhon . B . , The Emergency of the Great Power 1685 – 1715 , New York – 1951 .

ب - المصادر الروسية

1 – Samok Vosov , D. La , Ar Khivny matrial , Vol. II , Moscow – 1950 .

2 – Tikhmirov . M. N- i.s.s . Dmitriev , Istoriya S. S. S. R. Tom . I , Moskva – 1948 .

3 – Platonov , La Russia Moscovite , Paris – 1932 .

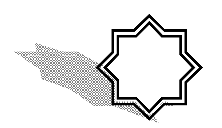
4 – Ivanov , Osherk M. S , Istorii Iran , Moskva – 1952 .

٥ – سيرغي فيدوروفيتش بلاتنوف ، محاضرات في التاريخ الروسي ، على الاله الكاتبة ، ٥ آب ١٩١٧ (مكتبة الاستاذ الدكتور هاشم التكريتي) .

6 – Cmenakak , Kpohzu Hckui , Roccui hoghla comb to isapein , Mockhu – 1965 .

7 – Dat syuk , B. D , Istoria S. S. S. R , Moskva – 1973 .

٨ – هيئة تحرير مجلة سمينا ، مجموعات مؤلفات ألكسي تولستوي ، المجلد العاشر ، موسكو – ١٩٦١ (بالروسية) .



ج - المصادر الفارسية

١ – معزي ، نجف مكي حسام ، تاريخ روابط سياسي ايران از هخامنش تاتحولات آخير ، طهران – ١٣٢٧ ش .

٢ – مقتدر ، غلام حسين ، نبردها بزرك نادرشاه ، طهران – ١٣٧٩ ش .

٣ – باريزي ، باستاني ، سياست واقتصاد عصر صنوي ، طهران – ١٣٥٧ ش .

الموسوعات باللغة الانكليزية

1 – The Encyclopedia Americana , Vol. 21 , U. S. A – 1987 .

2 – Every Man's Encyclopedia , Vol. 7 , London – 1958 .

3 – Great Sovit Encyclopedia , New York – 1979 .

4 - Every Man's Concise Encyclopedia of Russia – 1961 .

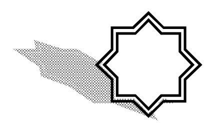
5 – Wikipedia , The free Encyclopedia . Cited in : http : 11en . Wikipedia . org ..

الموسوعات باللغة الروسية

1 – Soviet Skaya Is to riches Kaya en tsiklopedia , Mockva – 1962 .

الرسائل الجامعية

١ – ظاهر ، مشعل مفرح ، الشاه عباس الاول الكبير ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٠ م .



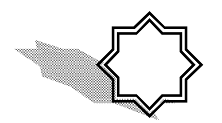
٢ – العكيلي ، صالح حسن ، بولندا ١٧٣٣ – ١٧٩٥ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية (ابن رشد) ، جامعة بغداد – ١٩٩٩ .
٣ – الجبوري ، صالح حسين عبد الله ، السلطان مراد الرابع ١٦٢٣ – ١٦٤٠ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة بغداد ، ٢٠٠٠ .

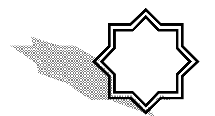
الدوريات العربية

١ – أدهم ، علي ، بطرس الاكبر ومكانته في تاريخ روسيا ، مجلة العربي ، العدد ١٣ ، تشرين الثاني – ١٩٦٩ .
٢ – هيئة التحرير ، بطرس الاكبر قيصر روسيا ، مجلة الهلال ، ج ٤ ، السنة الاولى ، العدد الاول ، ديسمبر ١٨٩٢ .
٣ – مصطفى ، احمد عبد الرحيم ، وصية بطرس الاكبر المزيفة ، مجلة العربي ، العدد ٢٧٣ ، اغسطس ، ١٩٨١ .
٤ – العابد ، صالح محمد ، حملة السلطان مراد الرابع لاستعادة بغداد ، مجلة المورد ، مج ٢ ، العدد الرابع ، بغداد ، ١٩٧٩ .

الدوريات الأجنبية

١ – هرمز ، لطف الله ، آثار تاريخي جلفا ، مجلة هنرو مردم ، العدد ٦٥ ، ١٣٤٦ ش .





الملاحق

ملحــق رقــم (١)



المصدر : جيز هـ . ويلر وآخرون ، جغرافية العالم الاقليمية ، ترجمة محمد حامد الطائي ، ج١ ، بغداد – ١٩٦٤ . (اوربا ولاتحاد السوفيتي) ص٢٨٦ .

ملحـــــق رقم (٢)

أسرة رومانوف

ميخائيل رومانوف انتخب قيصراً ١٦١٣ ـ ١٦٤٥

↓

الكسيس

↓

بطرس الاكبر
١٦٨٩ ـ ١٧٢٥

ايفان الخامس
خلع ١٦٨٩

تيودور
مات سنة ١٦٨٢

↓ (بطرس الاكبر)

كاترين الاولى ١٧٢٥ - ١٧٢٧

اليزابيث
١٧٤١ـ ١٧٦٢

آنـا

الكسيس
اعدم ١٧١٨

↓ (آنـا)

بطرس الثالث
خلع ١٧٦٢

↓ (الكسيس)

بطرس الثاني
١٧٢٧ـ ١٧٣٠

↓ (ايفان الخامس)

آنـا
١٧٣٠ـ١٧٤٠

كاترين

↓

آنـــا

↓

ايفان السادس
١٧٤٠ـ ١٧٤١

↓ (بطرس الثالث)

كاترين العظيمة
١٧٦٢ـ ١٧٩٦

↓

بـــول
١٧٩٦ـ قتل في ١٨٠١

↓

نيقولا الاول
١٨٢٥ـ ١٨٥٥

اسكندر الاول
١٨٠١ـ ١٨٢٥

↓ (نيقولا الاول)

اسكندر الثاني١٨٥٥ـ قتل في ١٨٥٥

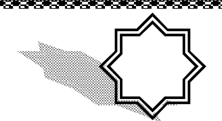
↓

اسكندر الثالث ١٨١٨ ـ ١٨٩٤

↓

نيقولا الثاني ١٨٩٤ ـ قتل في ١٩١٧

المصدر : هربرت فيشر ، اصول التاريخ الاوربي الحديث ، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى ، القاهرة ، ١٩٦٢ .



Back to Documents in Russian History

Samuel Collins on the Court of Aleksei Mikhailovich (1670)

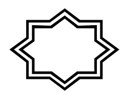
Samuel Collins (1619-1670) was an English physician invited in 1660 to serve as the personal physician of the Russian Tsar Aleksei Mikhailovich. He spent nine years in Moscow before his death. In 1671 a volume entitled "On the Present State of Russia" was compiled by a publisher from a series of letters written by Collins to Robert Boyle, a well-known English scientist.



I shall now give you a further description of the Czar. He is a goodly person, about six foot high, well set, inclin'd to fat, of a clear complexion, lightish hair, somewhat a low forehead, of a stern countenance, severe in his chastisements, but very careful of his Subjects love. Being urged by a Stranger to make it death for any man to desert his Colours; he answer'd, it was a hard case to do that, for God has not given courage to all men alike. He never appears to the people but in magnificance, and on festivals with wonderful splendor of Jewels and Attendants. He never went to any Subjects house but his Governours when he was thought past all recovery. His Centinels and Guards placed round about his Court, stand like silent and immoveable Statues. No noise is heard in his Pallace, no more than if uninhabited. None but his Domesticks are suffer'd to approach the inward Court, except the Lords that are in Office. He never dines publickly but on Festivals, and then his Nobility dine in his presence. At *Easter* all the Nobility and Gentry, and Courtiers kiss the Emperours hand, and receive Eggs. Every meal he sends dishes of meat to his Favourites from his own Table. His stores of Corn, and dry'd flesh are very considerable, with these he pays his *Strelsies* or *Janzaries*, giving them some cloth, but very little money; for they have all Trades, and great Priviledges.

The Emperour with his *Pottash*, Wax and Honey, he buys Velvet, Sattin, Damask, cloth of Gold and Broad-cloth, with which he gratifies his Officers for their service. He hath now seven *Versts* off *Mosco*, built Work-houses for Hemp and Flax, in that good order, beauty and capacity, that they will employ all the poor in his Kingdom with work. He hath allotted many miles of wast Land for that design. The *Czaritza* is to govern the womens side for her use and profit. Thus the *Czar* improves the Manufactures of his Countrey, feeds all the Labourers as cheap as we do our Dogs. And lays up the money that comes out of the Cabacks, Bath stoves, Tarr, Pitch, Hemp, Flax, Honey, Wax, Cariare, Sturgeon, Bellusa, and other salted and dry'd fish from *Astracan, Cazan,* the Lake *Belsira*, and many other Lakes and Rivers with which the Countrey abounds, especially *Syberia* in the latter. [....]

Every year towards the latter end of *May* the *Czar* goes three miles out of *Moscow*, to an house of pleasure call'd *Obrasausky* : In English Transfiguration, being dedicated to the Transfiguration in the Mount. And according to that, *Master 'tis good for us to be here, let us make three Tabernacles* ; So the Emperour has most magnificent Tents, his own is made of cloth of Gold, lined with Sables. His *Czaritsa's* with cloth of Silver, lined with Ermines. The Princes according to their degree. His and *Czaritsa's*, with those of his eleven children and five Sisters, stand in a circle with the Church-Tent in the middle, the most glorous show in its kind that ever I saw. There are Rails and Guards set Musquet shot from them, beyond which no man may pass without order: For the *Czar* will have none of the vulgar people to be eye-witnesses of his pastimes. Indeed the too near approaches of the common Rabble



وثيقـة

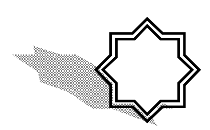
ملحـق رقـم (٤)

Back to Documents in Russian History

How Russians Celebrated the Year 1700

Proclamation on the Introduction of a New Calendar, December 20, 1699

The Great Sovereign ordered that it be said: It is known to the him, the Great Sovereign, that not only in many European Christian countries, but also among the Slavic peoples, who are in full accord with our Eastern Orthodox Church, such as: the Wallachians, Moldavians, Serbs, Dalmations, Bulgarians, and Cherkess, subjects of the Great Sovereign himself, and all the Greeks, from whom our Orthodox faith was received, years are counted starting eight days from the birth of Christ, that is from the first day of January, and not from the creation of the world… And now the 1699th year from the birth of Christ has come, and next January from the first of the month will begin the new 1700th year along with the new century. And for this good and opportune occasion, the Great Sovereign ordered that from now on years are to be counted in the chancelleries and in all papers and documents are to be dated from the present first of January from the birth of Christ as 1700. And as a sign of this benevolent endeavor and the new centennial era in the capital city of Moscow, after the requisite thanks to God and singing of prayers in Churches and in the homes… decorations are to be put up along the large streets and thoroughfares and along the gates of the greatest houses of lay and clerical servitors. [They] should be made from the limbs and branches of pine, yule and juniper trees in accordance with the models that are displayed at the trading court and the pharmacy building or in whatever way seems most appropriate and decent; Poor people should put up at least a bough or a branch on the gate or on their houses. and it should be done on time, this coming January by the first day of this year; and this decoration is to stay in place until the seventh day of 1700. And on the first day in January, as a sign of merriment, in congratulating each other on the New Year and centennial era, the follow should be performed: when on the Great Red Square the fireworks are lighted and the salute begins, the high court Boyars, and Okolnichyi, the important officials, the most prominent people of the chancellery, military servitors and high ranking merchants, each in his own court, should perform a triple salute from a small cannon, for those who have them, or from several muskets or other small arms and set off several rockets, as many as can be mustered. And in the large streets, where there is space, from January 1 to 7 bonfires should be lit at night from logs or brush or straw. Small families should assemble in groups of five or six households and build their fires, for those who so desire, on platforms in one two or three tar barrels, which they should fill it with straw or brush to light. This is so that it will be within the power of the Burgmeister to [oversee] these salutes and fires and also to have jurisdiction over these fires and salutes and decorations.



وثيقــة
ملحــق رقــم (٥)

make discovery of Princes' infirmities, not to say vanities, Majesty is jealous of Gazers. *This made* Montezume *King of* Mexico *keep his Subjects at such a distance that they aurst not behold him, familiarity breeds contempt, when Princes expose themselves too much unto pulick view, they grow cheap, and are little regarded. Therefore in a Theatre, the State is rail'd in, that the Spectators may not crowd upon the Scenes, which show best at a distance. And so it fares with Princes, the more they are reserv'd the more they are observ'd, the more implor'd the more ador'd; otherwise they run a great hazard of being condemn'd, and reckon'd no better than their Subjects, seeing an equal mortality and frailty of flesh attends all men.* When the *Czar* goes into the Country or fields to take his pleasure he gives strict charge that none should interrupt him with Petitions. A Captain of white *Russia*, and native of that Countrey being three years without pay, and finding no reliefs from *Peter Solticove* Lord of that Province, came and press'd too near the *Czars* coach; the *Czar* perceiving no petition in his hand, suspected he might be an Assassinate, and with his staff (once *Cxar Juans*) not unlike a dart, intending to push the fellow away, he struck him to the heart, and he died. The Nobility rid up to the coach, and searching what arms the man had, found nothing but a wooden spoon, and a petition for three years Arrears, Whereupon the *Czar* smote his Breast, saying, I have kill'd an innocent person, but *Peter Solticove* is guilty of his blood, whom God forgive; and immediatly sending for him, after a severe check, he turn'd him out of his place, banished him from the Court, and appointed *Nashockin* that great Minister of State to take his Office, and examine and find out the misdemeanours thereof. This hapned in *June* last, and this action was but whispered, and that too with too much peril of a mans tongue.

In the night season the *Czar* will go about and visit his Chancellors Desks, and see what Decrees are pass'd, and what Petitions are unanswer'd. He has his spyes in every corner, and nothing is done or said at any Feast, publick Meeting, Burial or Weding but he knows it. He has spyes also attending his Armies to watch their motions, and give a true account of their actions: These spyes are Gentlement of small fortunes who depend on the Emperours favour and are sent into Armies, and along with Embassadors, and are present on all publick occasions.

'Tis death for any one to reveal what is spoken in the *Czars* Pallace. I being curious to see the fine buildings for the Flax and Hemp, ask't to what end they were built, but not a Workman durst tell me, though they know it well enough; but they replied, God and the Emperour know best, this was all I could get from them. The *Czars* children are attended with children of their own bred up with them, and there is none of them but know their distance, and their degrees of bowing to all sorts of persons. None dare speak a word what passes in their Court.

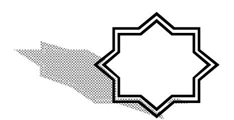
NOTES

1. *Strelsies*. Musketeers. From the Russian *Streliat'*, meaning to shoot. The modern transliteration is *Streltsy*.

2. *Versts*. An old Russian unit of measurement. One verst = .66 miles.

3. *Cabacks*. Taverns. Standard translateration is *Kabak.*

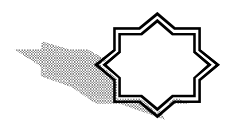
4. *Obrasausky*. Collins is referring to the estate known as *Preobrazhensky* which is located on the outskirts of Moscow.



تابع لوثيقة ملحق رقم (٥)

5. *Nashockin.* Afanasy Ordin-Nashchokin. One of the Aleksei Mikhailovich's key assistants during the latter part of his reign.

Excepted from Samuel Collins, On the Present State of Russia, (London, 1671) On-line edition edited by Marshall Poe. Used with permission of the editor.



ملحـــــق رقم (٦)

الترجمة الدقيقة لوصية بطرس الأكبر المزورة

أولا ً : يجب ان تشتبك روسيا دائما ً بحرب مع إحدى الدول المجاورة لها او غيرها حتى يبقى جندها في حالة استعداد دائم للقتال ، وحتى تكون لها باستمرار الأولوية في خوض الحروب .

ثانيا ً : عليها ان تجتذب اليها مشاهير الرجال الاجانب ولا سيما رجال الحرب وان تحبب اليهم الاقامة فيها ، والدخول في خدمتها .

ثالثا ً : يجب ان لا تدع فرصة اختلاف الدول الاوربية بعضها ببعض ، ان تفوتها بدون ان تتدخل في امورها ، ولا سيما المانيا .

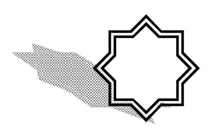
رابعا ً : يجب على معتمدي روسيا سفرائها وقناصلها ان يدسوا الفتن في بلاط الممالك الاجنبية وبين مجالسها واجهزتها التشريعية مما يعود نفعه على روسيا وان لا ينتخب لعرش بولندا الا من كان مواليا ً لروسيا ، ومخلصا ً في خدمة مصالحها .

خامسا ً : يجب علينا ان . نقتطع ما يمكن اقتطاعه من السويد ونجعل عداوة دائمة بينها وبين الدنمارك .

سادسا ً : ليختر أمراء روسيا وملوكها زوجات لهم في ألمانيا ولينظر في الوسائل التي يمكن لها تطوير العلاقات معها ، وزيادة التقرب منها .

سابعا ً : تجب ملاطفة الانكليز لاجل مصالحنا التجارية فهي تحتاج اشجارنا لبناء سفنها ، ونحن نحتاج الى مصنوعاتها فنتبادل الفائدة وتروج التجارة .

ثامنا ً : يجب توسيع الحدود الروسية في كل اتجاه للوصول شمالا ً الى بحر البلطيق وجنوبا ً الى البحر الابيض المتوسط .



تاسعاً : يجب على روسيا العمل باستمرار لاحتلال القسطنطينية لان من يمتلكها يسيطر على العالم . كما يجب السيطرة على تجارة الهند لان اكتسابها يغنينا عن ذهب الانكليز . والوصول الى الهدف الاول ، ويجب متابعة الحرب باستمرار ضد الاتراك . وان تكون لنا مواقع محصنة على شواطيء بحري البلطيق والاسود ، ويجب ان نحتل الخليج (الفارسي) .

عاشراً : يجب بذل كل الجهود الممكنة للحصول على معاهدة ثابتة مع النمسا ودعمها فيما يزيد من التفوق على المانيا ، والعمل في الوقت ذاته على ازعاجها باثارة الشغب والاضطراب فيما بين شعوبها وتحريض ملوك المانيا سراً عليها .

احد عشرة : يقتضي الاجتهاد في حمل النمسا على الموافقة على امتلاكنا القسطنطينية ، واذا لم يتم ذلك ، فبحملنا اياهم على عدم الاشتراك في حروب اوربية ، او نتخلى لها عن بعض فتوحاتنا ، ونسترجعه في القريب من الزمن .

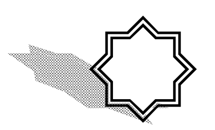
اثنا عشر : يجب على روسيا ان تأخذ اليونان في كل مكان تحت حمايتها ، فيكونون لنا اصدقاء بين الاعداء .

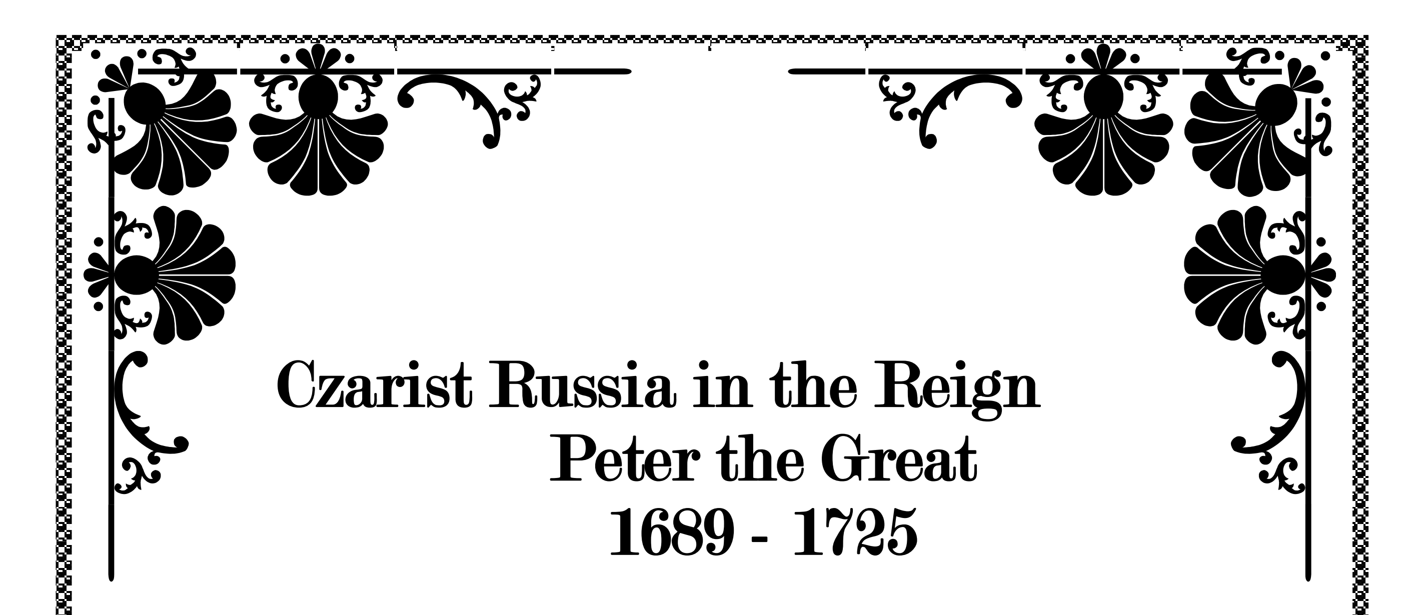
ثلاثة عشر : بعد ان تضم روسيا اليها السويد وبولندا ، والدولة العثمانية وايران يجب عليها ان تتصل بفرنسا والنمسا لحملها على مشاركتها في السيادة على العالم ، واذا امتنعتا فعلى روسيا ان توجد اسباباً لمحاربتهما فتصبح سيدة الشرق والقسم الاكثر اهمية في اوربا .

اربعة عشر : اذا رفضت فرنسا والنمسا مشاركتنا في اقتسام العالم ، فعلينا تحريض احداهما ضد الاخرى ، وعندما يحتدم القتال بينهما ، تنتهز روسيا الفرصة فتهاجم المانيا وفرنسا معاً ، فاذا تم الانتصار عليهما ، تخضع البقية بدون ادنى مقاومة .

المصدر :

Tikhmirov . M. N- i.s.s . Dmitriev , Istoriya S. S. S. R. Tom . I , Moskva – 1948 .





Czarist Russia in the Reign
Peter the Great
1689 - 1725

A Thesis

Submitted to the council of the college of Arts University of Basrah as A partial fulfillment of the Requirements of the Ph. D. Degree in Modern History

By

Misha'al Mifrih Dhahir Al - Shimiry

Supervised by

Prof. Dr . Basim Hattab Al - Toan

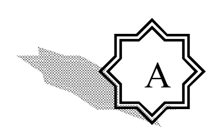
2006 A . D **1427 A.H**

ABSTRACT

Czarist Russia in the Reign of Peter the Great

Although the testament of Peter the Great 1682-1725 is undoubtedly a falsefied document, it indicates the outset of an Asian policy. This policy is set up by Peter and followed by his successors. At the same time, the Russian orientation towards Asia is a part of a larger scheme. Aftermath the demise of Peter's brother, Ivan, the Czar, Peter, intends to find out external outlets to his country. The Czar realizes that his country is underdeveloped when it is compared with European neighbours. There are many reasons in this regard. Because of Russia position, it is deprived from an open port to be an outlook on the world. This outlook would provide a cultural and economic intermingle with other peoples. The only one port of the country is Arechangle which is slopped from the Baltic Sea. It is always frozen along the year. In addition, the strong countries of the 18th C. such as Sweden and the Ottoman Empire seperate between Russia and the sea.

One of the Russian chroniclers exactly expresses the above fact. He states that "the sea is adjacent but it is unaccessible". Peter's insistence to be near the open seas is represented in that his political and economic improvements resuscitate the state budget. At the beginning of the 18th C., the amount of the Russian commercial exchange increases to six million Robel. This provides better circumstances to develop the external and domestic commerce. The authority does its best to increase



the exports and reinforces the protection of the national production throughout imposing high customs. Peter the Great adopts Marcantilis policy. This policy succeeds because it affects in the Russian political, economic and social life, particularly of the high social classes.

Here, the Czar does not find any solution but to resort to power to take over new lands to be adjacent to the open seas. This is not an easy task. For the sake of reaching to the Baltic Sea, it is necessary for him to possess the nearby lands which are under the power of strong Sweden. The other important outlet is the Black Sea which is under the power of the Ottoman Empire. This outlet is highly significant to the extent that the Ottoman Sultan prefers the strangers' entrance to his bedroom rather than their ships sail on his waters.

In the same policy, in spite of Peter's occupations, he does not forget Iran and the Caspian Sea. The Czar wishes to connect the Caspian Sea and the middle parts of Asia via a network of rivers and canals to provide a possible connection with Iran and the Arab Gulf. This may be regarded the start of the path to India the Czar wishes to connect commercially via Iran. The former Russian attemps in this regard are doomed to failure to set up such a connection.